وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
الشعبة : فلسفة
التخصص : فلسفة معاصرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د الطور الثالث في الفلسفة

موسومة بـــــ :

منهج التحليل الفلسفي ونقد اللغة

برتراند راسل نموذجا

إعداد الطالب:
شريف حسني خليل

إشراف:
أ.د. بلبولة مصطفى

لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة	الصفة
ا.د مذكور مليكة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	رئيسا
ا.د بلبولة مصطفى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	مشرفا ومقررا
ا.د شارفي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشلف	مناقشا
ا.د زاوي حسين	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	مناقشا
ا.د مغرابي زين العابدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
د عجوط محمد	أستاذ محاضر ا	جامعة الشلف	مناقشا

السنة الجامعية : 2021/2020

الإهداء

اهدي هذا العمل إلى :

من قال الله فيهما " وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" إلى الوالدين الكريمين

لزهاري ويمينة أمد الله في عمرهما.

والى إخوتي

الشكر

الشكر والحمد لله، جل في علاه، فإليه ينسب الفضل كله في انجاز هذا العمل.
أقدم خالص شكري وامتناني للأستاذ المشرف "بلبولة مصطفى" على كل ما قدمه من نصائح وإرشادات من بداية هذا البحث إلى نهايته.
كما لا أنسى كل الأساتذة الكرام على الجهد الذي بذلوه واخص بالذكر بلعالية دومة الميلود والأستاذة مبارك فضيلة

مقدمة

مقدمة

الفلسفة حقل للبحث والتفكير نسعى من خلالها إلى اكتشاف العالم الداخلي للإنسان والخارجي على حد سواء، فقد كانت الفلسفة هي الأم الحاضنة والرحم التي ترعرعت في كنفها جميع العلوم التي لم تستطع أن تبقى في رعاية الفلسفة، واستقلت واحد تلو الأخر، إلى أن بقيت الفلسفة وحيدة مع القضايا الميتافيزيقية، وبطبيعة الحال لم يؤد استقلال العلوم عن الفلسفة إلى إلغائها أو تنحيتها جانبا لكنه كان يمهد للقيام بثورة قد تعيد للفلسفة بريقها أو تطفئ ما تبقى من نورها الساطع.

إن بداية القرن العشرين عرفت تحولات فكرية مست جميع العلوم دون استثناء، وقد كان منهج الفلسفة التحليلية أبرز حدث واهم ما تطرقت له الفلسفة، فقد أعاد رسم خريطة الفلسفة الفكرية، فالمواضيع التقليدية والمسائل الكلاسيكية في الفلسفة أصبحت تصنف ضمن خانة الإرث القديم، ولم يعد التأمل الفلسفي ميزة في الفلسفة، بل أصبح عائقا يمنع تطورها مثل سائر العلوم الأخرى، ومع بروز التحليل في الساحة الفلسفية كانت اللغة تقريبا هي الدارس والمدروس في نفس الوقت، إذ لم تعد اللغة مجرد أداة اتصال، أو أداة لنقل وتدوين المعلومات وتوارثها عبر الزمان، بل أصبحت اللغة بحد ذاتها جزءا من الحقيقة العلمية، إذ بواسطتها يمكننا أن نتجاوز الكثير من الأخطاء المعرفية، والتي مردها إلى اللغة وليس إلى الجانب المعرفي لأي علم، لذا كان العديد من الفلاسفة والعلماء قد تفطنوا لهذا الأمر، وسعوا إلى تشكيل ما يسمى باللغة المثالية، أو اللغة الاصطناعية، أو اللغة العلمية، أو اللغة المنطقية وبطبيعة الحال قد اختلف هؤلاء الفلاسفة والعلماء في تناولهم لمسألة اللغة، لكن اختلافهم كان اختلاف فروع لا اختلاف أصول، أي أنهم كلهم متفقون على ضرورة التركيز على اللغة ودروها في إيصال الحقائق، لكن كل واحد منهم ارتأى منهجا أو طريقة يعبر بها

عما يبدو له صحيحا.

تقوم الفلسفة التحليلية على ما تتضمنه نتائج تحليلنا للأفكار والقضايا وتبسيطها من الكل إلى الجزء، وهذا التفكيك يروم تقليص الألفاظ واستخدام اقل عدد ممكن من المصطلحات، لأن كثرة الألفاظ تؤدي إلى خلط في المعاني، لذا نجد الفلاسفة الأوائل قد تجاهلوا هذه المسألة الجوهرية مما أدى بهم إلى الوقوع في مشكلات يعود سببها الأول إلى اللغة وهذا حسب تعبير فلاسفة التحليل الذين جعلوا من التحليل اللغوي منطلقا لمنهج الفلسفة التحليلية، ولا يمكننا أن نرد ظهور الفلسفة التحليلية إلى فيلسوف واحد أو إلى تيار معين، لأن الفلسفة التحليلية تعددت منابعها ومصادرها، إذ نجد أن نشأتها كانت ردة فعل على سيطرة النزعة المثالية التي اجتاحت الفكر الفلسفي آنذاك.

ولا ينفك حديثنا عن منهج الفلسفة التحليلية إلا عن جملة من المصطلحات والمفاهيم التي تتداخل بعضها مع بعض رغم وجود بعض الفروقات بينها، ونحن نقصد في هذا الصدد الفلسفة التحليلية كمنهج والتحليل اللغوي والفلسفة التحليلية وفلاسفة التحليل، إضافة إلى مدرسة أكسفورد وغيرها من المفاهيم التي تُعزى إلى الترجمة الحرفية للغاتها الأصلية أو إلى تنوع واختلاف كل من يتبنى التحليل كمهج فلسفي، لأن مصطلح التحليل بحد ذاته لا يوجد تعريف جامع مانع له، لكن هذا من الناحية الاصطلاحية فقط لأن فلاسفة التحليل باختلاف اتجاهاتهم عملوا على التحليل اللغوي كوسيلة للكشف عن الأخطاء الموجودة في تعبيراتنا اليومية، إضافة إلى دحض الأفكار الميتافيزيقية التي شكلت عائقا أمام تطور الفلسفة وارتقائها لما يؤهلها أن تكون علما يساير ويحاكي بقية العلوم كالرياضيات والفيزياء.

يعتبر الكثير من المفكرين والفلاسفة بان جورج ادوار مور كان له الفضل الكبير في نشأة فلسفة التحليل المعاصر وذلك بعد نشره لمقال يرفض فيه المثالية التي كان في وقت سابق متأثرا بها، والتحليل الذي عرضه في مقاله كان تحليلا للتصورات وليس تحليلا

للألفاظ، لكن معالم الفلسفة التحليلية بدأت شذراتها الأساسية مع برتراند راسل الذي اعتمد على مَنطَقة الرياضيات وإعادة النظر في بعض جوانبها من خلال استعانتها بالمنطق، فقد انبهر راسل بالتطورات العلمية الحاصلة آنذاك مما دفعه إلى الارتقاء بالفلسفة وجعلها فلسفة علمية مستخدما المنطق الرياضي والمنهج التحليلي.

وقد تنوعت المدارس التحليلية ولم تكتف باتجاه واحد يمثلها، إذ أننا نجد التجريبية المنطقية مع شليك وزملائه والتي عرفت فيما بعد باسم الوضعية المنطقية، والتي جعلت من اللغة الشغل الشاغل لها وذلك من حيث الدقة والاستخدام المنطقي للألفاظ، كما نجد الواقعية الجدلية مع مور وراسل بالرغم من أن هذا الأخير لم يصرح ولو لمرة عن اتجاهه الفلسفي أو مذهبه، وكان يكتفي دائما بالقول إنه تحليلي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كما أننا نجد التجريبية العلمية مع كوهلر وليفين، وللإشارة فإن التحليل قد عُرف في الفلسفة اليونانية وهناك العديد من الفلاسفة الذين اعتمدوا عليه في أفكارهم على غرار لوقيبوس وديموقريطس،وليس هذا فقط بل إن أبحاث غوتلب فريجه في المنطق والرياضيات واعتماده على التحليل في القضايا الرياضية كان له تأثير كبير على الفلسفة من زاوية التحليل كمنهج، إضافة إلى جورج بول وبيانو، واكتشاف جورج كانتور للمجموعات اللامتناهية، كل هذا قد مهد الطريق لإعادة رسم خريطة التفكير الفلسفي التقليدي الذي ظل باسطا نفوذه على الخطاب الفلسفي بمختلف اتجاهاته، وقبل هؤلاء المناطقة والرياضيين كانت أفكار جوتفريد لايبتنس كلها تنصب في هذا السياق التحليلي، لكن عمله بقي مبتورا ولم يجد المناخ المناسب آنذاك للارتقاء.

ويعتبر التحول اللغوي الذي عُرف في الفلسفة التحليلية احد أهم نتائجها، إذ أصبحت اللغة موضوعا دارسا ومدروسا في نفس الوقت، بعد أن كانت مجرد وسيلة وأداة لنقل المعارف والخبرات والتواصل بين أفراد المجتمع، وهذا التحول اللغوي لم يكن تحولا على

الصعيد الفلسفي فقط، بل كان تحولا علميا مُمَنهجا، فالتحليل اللغوي عند فيتغنشتاين اعتمد على رد ما هو مركب إلى عناصره الأولى، لأن اللغة ككل تنحل إلى مجموعة من القضايا الذرية، وهذا التحليل هو نفسه الذي عمد إليه راسل من خلال تحليل المركبات إلى عناصرها البسيطة، وهذا ما يُزيل الشوائب الموجود في كيان اللغة حسب تحليل راسل اللغوي.

من الصعب الحديث عن فلسفة التحليل كفكر متجانس أو نسق متكامل ، فكلمة التحليل أُستخدمت لتجمع عددا من الفلاسفة مختلفين يشتركون في اهتمامات وغايات معينة،ويكاد فلاسفة التحليل يجزمون أن أصل المشكلات الفلسفية في حقيقة الأمر لا تعود إلى طبيعتها أو غموضها بقدر ما هي مشكلة لغة، وهكذا أصبح تحليل اللغة هو العمل الأساسي للفلسفة، لكنهم اختلفوا حول طبيعة اللغة التي ستخضع للتحليل، إذ نجد اتجاه من قال بحتمية تأسيس انساق لغوية اصطناعية جديدة، أو إنشاء لغة مثالية أو لغة شاملة، وقد تعددت التسميات حول تلك اللغة الاصطناعية، أو الكاملة منطقيا مثلما أشار إليها راسل،وقبله لايبتنس، وتولي هذه اللغة اهتماما بالغا للحساب لأنها تعتمد في الأساس على انساق رياضية وقواعد منطقية خالصة، وهذا ما عكف راسل وفيغينشتاين في مرحلته الأولى على تطبيقه، أما الاتجاه الثاني فهو يؤكد أن أفضل سبيل لمعالجة المشكلات الفلسفية يعود بالدرجة الأولى إلى التحليل الدقيق للغة العادية، وهؤلاء هم من يُطلق عليهم فلاسفة اللغة العادية أو وأبرزهم مور وأوستين وحتى فيتغنشتاين في مراحله المتأخرة.

وبطبيعة الحال من بين أهم الأسباب والتجاذبات الفكرية التي جعلتنا نبحر في أعماق هذا الموضوع –الذي مهما أبحرنا في جوفه لن نستطيع الإلمام بكل جوانبه المتعددة–، نذكر الأسباب الموضوعية والمتمثلة في كون المنهج التحليلي أصبح موضوع العصر، فالفكر الفلسفي قد عرف قفزة نوعية تمثلت في هيمنة، وكل هذا قد حدث بالتزامن مع سطوة علمية مبهرة، بالإضافة إلى ذلك فإن أصالة هذا الموضوع وتشعبه مع باقي العلوم الأخرى جعلته

موضوع دراسة في مختلف العلوم ولم يقتصر ذلك على الفلسفة، في حين هناك أسباب ذاتية تمثلت في إزالة بعض الشكوك والتساؤلات التي لطالما شغلت ذهني حول هذا الموضوع بالذات إضافة إلى الانطلاق من نتائج هذا البحث كمقدمات خاصة للمضي قدما في استكشاف أكثر حول الموضوع

الإشكالية المحورية التي تناولناها في هذا البحث تدور عموما حول نشأة منهج الفلسفة التحليلية وعلاقته باللغة، فالفلسفة المعاصرة قد حملت في طياتها العديد من التيارات والتوجهات الفكرية لكن السمة البارزة تمثلت في التحليل، وما يجعل هذا الموضوع شائكا هو ذلك التنوع الفكري للفلاسفة والعلماء وحتى المناطقة الذين اعتمدوا على التحليل في توجهاتهم الفكرية، فالتحليل لا يقتصر على دراسات فريجه وبيانو في المنطق ولا يقف عند دراسات كانتور وراسل في الرياضيات ولا ينسب لمور في مقاله ضد المثالية، وما زاد من إثارة هذا الموضوع هو ذلك التداخل الجوهري بين التحليل واللغة، وهذا راجع لخصوصية اللغة في حد ذاتها، هذا الأمر جعل العديد من الفلاسفة المعاصرين يصبون جل اهتمامهم للغة وأبرزهم راسل الذي دخل إلى غرفة اللغة بمفتاح رياضي وخرج منها بالمنطق الرياضي.

وفي ضوء ذلك، تمركزت تحت الإشكالية المحورية الأسئلة الفرعية التالية :

هل الفلسفة التحليلية هي نفسها فلسفة التحليل أم أن هناك فرق بينهما؟ هل قولنا فلاسفة التحليل يعتبر قولا صحيحا من الناحية المنطقية إذا ما اعتبرنا أن الفلاسفة الذين اشتغلوا بالتحليل لم يكونوا على اتفاق فيما بينهم؟ أم أن ذلك الاختلاف مرده إلى الفروع لا إلى الأصول؟

هل فعلا استطاع برتراند راسل أن يزيل ذلك الغموض الذي كان مُتضمنا في اللغة حسب تعبيره أم أنه لم ينجح في ذلك؟ وهل اللغة الكاملة منطقيا عند راسل استطاعت أن تضاهي اللغة العلمية الرياضية مثلا أو الفيزيائية أم أنها بقيت طي التنظير فقط ؟ هل كانت

نظرية راسل في الأوصاف والإشارة كفيلة بدحض الأفكار الفارغة من المعنى والميتافيزيقية؟ والى أي مدى يمكننا أن نفسر ذلك الاختلاف بين فلاسفة التحليل خاصة اختلاف راسل مع فيتغنشتاين في مرحلة ما واختلاف مور مع راسل؟

كيف ساهمت التحليل المنطقي في تغير نمط الفكر الفلسفي المعاصر؟ وهل استطاع المنهج التحليلي أن يرد الاعتبار للفلسفة مقابل التطور العلمي الذي شهدته بقية العلوم أم أنه زاد من الفجوة بينهما؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على منهج تحليلي نقدي للوقوف على أهم النقاط الرئيسية للموضوع والإلمام به، وذلك عن طريق تمحيص وتدقيق أصول الفلسفة التحليلية وآلياته كمنهج نقدي للغة.

وقد اعترضتنا بعض الصعوبات والعوائق في انجاز هذا البحث، أهمها اتساع المجال الخاص بالدراسة، فالتحليل كمنهج فلسفي يضم في طياته العديد من الفلاسفة والاتجاهات والمدارس التي لا يكفينا المقام للإحاطة بها جميعا في بحث واحد، إضافة إلى تداخل بعض المواضيع الرياضية والمنطقية باللغة مما يضفي على البحث جانبا رياضيا بحت، فإذا كانت أغلب مؤلفات راسل قد كتبت بطريقة رياضية وأنا اقصد مؤلفاته في مجال الفلسفة والعلم فإننا نجد أنفسنا مطالبين بضرورة استعمال بعض المعادلات الرياضية لبرتراند راسل، ولا يقتصر الأمر على راسل فحسب بل جل فلاسفة التحليل كانوا منبهرين بالتطور العلمي الحاصل آنذاك مما جعلهم ينكبون على دراسة العلوم الدقيقة كالفيزياء مثلا مع كارناب أو الرياضيات مع راسل والهندسة مع فيغينشتاين، إضافة إلى الاعتماد على الترجمة لأن اغلب المؤلفات في هذا المجال كتبت باللغة الانجليزية مما استدعى ترجمة بعض الأجزاء المتعلقة بالموضوع.

يمكننا القول إن منهج الفلسفة التحليلية ونقده للغة لم يكن موضوعا جديدا يلوح في

الأفق الفلسفي، بل كان يضرب بجذوره في أعماق الفكر الفلسفي اليوناني، وقد توالت العديد من الدراسات الأجنبية في هذا الموضوع من تأريخ وسرد ونقد لنشأة المنهج التحليلي، أما على المستوى العربي فإننا نجد عدة دراسات ألمت هذا الموضوع لكنها لم تكن دراسات مستقلة إلا في دراسة أو دراستين فقط، وذلك راجع إلى إدراج الباحثين للمنهج التحليلي ونقده للغة ضمن سياق الفلسفة المعاصرة بشكل عام، وقد كانت دراسة الزواوي بغورة للمنهج التحليلي مفصلة إلى حد كبير في مؤلفه الفلسفة واللغة(2005)، إذ نجده قد أحاط بعدة جوانب متعلقة باللغة والمنعطف اللغوي الذي حول مسارها من وسيلة تواصل إلى موضوع دراسة مستقل كغيره من المواضيع وعلى الرغم من حديث الزواوي بغورة عن اللغة والتحليل بشكل عام فانه استطاع أن يوضح تحول المنعطف اللغوي من الفلسفة اللغوية إلى فلسفة اللغة، وقد كانت دراسة جمال حمود بعنوان المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة برتراند راسل نموذجا (2011) دراسة تحليلية تهدف إلى شرح تحول المسار اللغوي في الفلسفة المعاصرة، وقد اكتفى بالفيلسوف برتراند راسل كنموذج نظرا لأن فلسفته اللغوية قائمة على الترابط بين ما هو منطقي ورياضي وفلسفي ، إضافة إلى ذلك فقد تطرق احمد عبد الحليم عطية إلى التحليل كمنهج فلسفي وعلاقته بالتحول اللغوي في دراسته التي أدرجها تحت عنوان الفلسفة التحليلية، ماهيتها، مصادرها، ومفكروها(2019) ، إذ وضح فيها التحليل بوجهه العام والتحليل كمنهج فلسفي، وتطرق لأهم مصادر وأسس الفلسفة التحليلية، أما الجانب الذي أضفى نوعا من الإثارة والتشويق في هذه الدراسة هو عرض الكاتب للانعكاس الذي شهده الفكر الفلسفي العربي من خلال تأثر العديد من المفكرين سواء بالتبني أو بالنقد أو بالمقارنة بالفلسفة التحليلية التي امتد شعاعها إلى جميع العلوم.

وقد تم توزيع هذا البحث إلى أربعة فصول، الفصل الأول تناولنا فيه تمهيدا وتعريفا عاما وخاصا لمنهج الفلسفة التحليلية باعتباره منهجا نقديا برز في الساحة الفلسفية وألقى بظلاله على اغلب روافد التيارات الفلسفية المعاصرة، ونظرا لاتساع مجال التحليل وعلاقته

باللغة تم عرض مقاربة فلسفية بين وايتهد وكارناب وذلك بغية تمحيص دقيق لأهم رواد المنهج التحليلي، كما عرضنا في هذا الفصل الفلسفة التحليلية عند راسل وفيتغنشتاين، لأن كليهما كان له دور كبير في تطور المنهج التحليلي في الفلسفة، كما أن جل فلاسفة التحليل المعاصرين اعتبروهما نقطة عبور لبوابة التحليل سواء بتبني أفكارهما والدفاع عنها أو بنقدها وتفنيد صحتها.

الفصل الثاني: تطرقنا فيه إلى دلالة النقد اللغوي والتحليل المنطقي عند راسل، وهذا بعرض نظريتي الأوصاف والدلالة عنده ، لقد كان المنطق الرياضي سمة بارزة في فكره راسل، لذا فالتحليل اللغوي عند راسل لا يخضع لقوانين لغوية أو نحوية بل كان يُحلل وفقا لمبدأ الاقتصاد في الفكر أي الامتناع عن تعدد الكيانات غير الضرورية، كما عملنا في هذا الفصل على توضيح لمفهوم الذرية المنطقية عند راسل، وكان تركيزنا منصبا على دراسة مبدأ الاختزال في التحليل المنطقي.

أما الفصل الثالث: فركزنا فيه على اللغة الكاملة منطقيا عند راسل، وقبل ذبك توجب علينا التطرق للمحاولات التي سبقت راسل في تحليل بنية اللغة، وقد خصصنا المبحث الأول لعرض بعض المواقف الفلسفية تجاه اللغة العادية ، في حين تطرقنا في المبحث الثاني إلى المعرفة والدلالة في اللغة الكاملة منطقيا، وفي هذا المبحث ركزنا على رفض راسل لاشتراكه مع فلاسفة التحليل في كون التحليل تعريفا، لأن الذرات المنطقية للغة يمكنها أن تقدم تعريفا عن طريق الوصف دون تحليل، أما المبحث الثالث فركزنا فيه على محل الميتافيزيقا في فلسفة راسل خاصة والفلسفة التحليلية بصفة عامة.

أما الفصل الرابع: فقد خُصِصَ إلى دراسة نقدية للمنهج التحليلي وآفاقه المستقبلية، إذ بينا في المبحث الأول واقع فلسفة اللغة وهي تحت معول التحليل، وقد تم ذكر التغيرات التي طرأت على الدراسات اللغوية من وجهة نظر الفلسفة التحليلية وليست اللغة كنحو أو

بلاغة،أما المبحث الثاني فتمحور حول إمكانية التغيير من الفلسفة التحليلية إلى التحليل العلمي، لأن فلاسفة التحليل انطلقوا جميعهم من خلفيات علمية، بل كان بعضهم يدعو إلى مساواة الفلسفة بالعلم إذا أردنا النهوض بالخطاب الفلسفي، وكان التحليل في ظاهره منصبا على اللغة، لكن في باطنه كان يدك حصون الفلسفة للولوج إلى بوابة العلوم الدقيقة، أما المبحث الثالث فقد ركزنا فيه على دور الفلسفة التحليلية في الفكر الفلسفي المعاصر، و ختمنا الفصل الأخير بمبحث رابع بعنوان التحليل اللغوي بداية النهاية أم نهاية الفلسفة، نعم هنا حاولنا أن نستكشف دور وأهمية الفلسفة التحليلية ومدى تأثيره على المشهد الفلسفي لاحقا.

.

الفصل الأول

كرونولوجيا التحليل الفلسفي كمهج نقدي

المبحث الأول : برتراند رسل وفلسفته

المبحث الثاني : المنهج التحليلي نشأته واتجاهاته

المبحث الثالث : الفلسفة التحليلية بين وايتهد والوضعية المنطقية "كارناب"

المبحث الرابع : الفلسفة التحليلية عند برتراند رسل وفيتجينشتاين

الفصل الأول: كرونولوجيا الفلسفة التحليلية كمنهج نقدي

لم يؤسس المنهج التحليلي من طرف تيار معين، بل كانت له خلفيات علمية مهدت الطريق لظهوره، وهذا ما سوف نتطرق إليه بالتفصيل، من حيث الأسس الجينالوجية التي بلورت لنا المنهج التحليلي، والذي بدوره نسبت إليه الفلسفة التحليلية، وذلك من خلال تعريف المنهج التحليلي والتعرض لأهم رواده واتجاهاته وخصائصه، وإبراز الفرق بين التحليل كمنهج والفلسفة التحليلية، والفلاسفة التحليليين.

المبحث الأول : برتراند راسل وفلسفته

يعتبر الفيلسوف الانجليزي «برتراند راسل» في طليعة الفلاسفة المعاصرين، الذين نبغوا وأبدعوا في العديد من المجالات، فهو لم يكن حبيس الفلسفة فقط كما يعتقد البعض،بل كان فيلسوفا وعالم منطق ورياضيات، كما أنه لم يعش منفصلا عن واقعه المعيش ، إذ اشتهر بميوله الليبرالية ونبذه للحروب والأزمات العالمية، فأكد ضرورة تحرر الفرد من النظم الاجتماعية والسياسية التي يراد بها التحكم في حرية الآخرين والاستيلاء على العقول.

لطالما ارتبطت فلسفة راسل بحياته الشخصية بدرجة كبيرة، إذ نجد أن طفولته عرفت عدة تغيرات وهو في سن مبكرة وعايش أحداثا كانت سابقة لأوانها، كانت حياة ليبرالية خاضعة لسلطة جدته التي لعبت دورا كبيرا في نحت شخصية راسل فيما بعد.

« وحدث حادث عظيم في حياتي عندما كنت في عامي الحادي عشر، وهو أني بدأت دراستي لإقليدس الذي لم يزل عندئذ هو المتن المعترف به في دراسة الهندسة،وأحسست بشيء من خيبة الرجاء حين وجدته يبدأ هندسته ببديهيات لابد من التسليم بها بغير برهان، فلما تناسيت هذا الشعور، وجدت في دراسته نشوة كبرى، حتى لقد ظلت الرياضيات تستوعب شطرا كبيرا جدا من اهتمامي، وقد كان اهتماما قائما على أكثر من عنصر واحد، فهو من ناحية لذة خالصة لما استكشفته في نفسي من قدرة خاصة في الرياضيات، و من ناحية أخرى نشوة لما لمسته من قوة في استدلال النتائج مع مقدماتها، ثم من ناحية ثالثة شعور بالاطمئنان إزاء ما في الرياضيات من يقين،فلما بلغت الخامسة عشرة انتهيت إلى نظرية شديدة الشبيهة بنظرية الديكارتيين، إذ شعرت باعتقاد الواثق أن حركات الأجسام الحية إنما تنظمها قوانين الديناميكا تنظيما تاما، وإذن فحرية الإرادة وهم الواهمين،لكنني وقد سلمت بوجود الشعور الواعي عند الإنسان على أنه حقيقة قائمة لا شك

في صدقها».[1]

وكغيره من الفلاسفة فإن راسل لم يسلم من التوجيه الإيديولوجي المبكر، فقد عمد والده إلى تعليمه وفق ما كان يريده هو وهكذا استطاع أن يزرع بذور الفكر العلماني إلى راسل في سن مبكرة، رغم انه حاول أن يجعل من جون ستيوارت ميل أستاذا له، وقد عرف هذا الأخير بأفكاره المادية.

ولكن أكثر من أثَّر في راسل أشد التأثير كان أحد معاصريه الشباب، وكان ذلك هو جورج ادوارد مور، وقد بدأ كمعتنقٍ للفلسفة الهيجلية شأنه شأن راسل، ولكنه سرعان ما نبذها، وأقنع راسل أن يحذوَ حذوه. «كان برادلي يرى أن كل ما يصدقه المرء بدافع المنطق السليم — مثل التعددية والتغير في عالم الأشياء — ليس إلا مظهر خارجي، وأن الواقع ما هو إلا حقيقةُ ذهنيةُ مطلقةُ. رفض كلٌّ من راسل ومور هذا الرأي من منطلق حِسِّي عنيد بالتحرر. ومع أنهما تطورا بعد ذلك بطريقتين مختلفتين، ومع أن راسل بالتحديد حاول بكل جهده البحث عن بدائل مُرضية، فإن العمل الفلسفي الذي أنجزه كلٌّ منهما كان يسلم بالواقعية والتعددية.»[2]

يبدو أن طفولة راسل القاسية، والأحداث التي تعرض لها إبان دخوله جامعة كمبردج،كانت بمثابة المنهج الذي استمد منه فلسفته وأفكاره فيما بعد، فبالرغم من أنه في فترة لاحقة قد غير من أفكاره لكن كان لأصدقائه في كمبردج دور كبير في ذلك، لأنهم أثاروا دهشة وحفيظة شخصيةِ فذة استطاعت أن تغزو عالم المنطق والرياضيات وحتى الفلسفة.

«وعلى صعيد عمله في مجال الرياضيات — الذي كان من الممكن أن يمنحه

[1] غالب مصطفى، في سبيل موسوعة فلسفية، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط5، 1983، ص 16-17

[2] المرجع السابق، ص 14

السلوى — حدث تغيُّر جذري خطير مشابه، وهو أن راسل اكتشف تناقضًا في صُلب المشروع الذي كان يحاول تنفيذه. يأتي وصفٌ للتناقض وأهميته في المكان المناسب في الفصل الثاني أدناه. وبسبب تأثير ذلك التغيُّر توقَّف عمل راسل لمدةٍ تزيد عن عامين، كان يحدِّق خلالها في صفحة بيضاء وهو لا يدري كيف يبدأ. وفي هذه الفترة كان منشغلًا بكتاب «أصول الرياضيات»، وهو كتاب ألَّفه بقصد أن يكون جزءًا ثانيًا لكتاب «مبادئ الرياضيات». وكان من المقرر أن يحتويَ هذا الجزء الثاني المفترض على التفاصيل الفنية للأفكار الواردة باختصار في كتاب «مبادئ الرياضيات»، إضافةً إلى معالجةٍ أشمل لعددٍ من الصعوبات التي لم يتناولها الكتاب الأول؛ ولكن سرعان ما اتَّضَح أن راسل يحتاج لما هو أكثر من ذلك لإنجاز هدف المشروع، وهو «إثبات أن كل الرياضيات البحتة تنبع من مقدمات منطقية بحتة ولا تستخدم إلا المفاهيم القابلة للشرح بالحدود المنطقية»[1] ولذلك طلب تعاون وايتهيد معه في الكتاب، ومنذ ذلك الحين وحتى عام ١٩١٠ كرَّس راسل جُلَّ طاقاته الذهنية لإنتاج هذا العمل البارز. كان راسل مسؤولًا عن الجوانب الفلسفية للكتاب وصياغته الفعلية انطلاقًا من المادة الفنية؛ وقدَّم وايتهيد إسهامات مهمة من حيث استخدام مجموعات الرموز، وأسهم بقدرٍ كبير في استنباط البراهين، وذلك من بين نواحٍ أخرى.[2]

لقد أمضى راسل وقتا طويلا في دراسة المنطق الرياضي مع أستاذه وايتهد، وقد شهد المنطق قبل ذلك تحولات جذرية بدأت مع الألماني « غوتلوب فريجه »،إذ قام بتعديلات عليه بعد أن كان خامدا جامدا، بالإضافة إلى ذلك فإن نظرية المجموعات* وجهود فريجه لم تكن بالشكل المنطقي المتكامل، وهذا ما أظهرته مراجعات راسل فيما بعد إذ تبين أن هناك

[1] راسل برتراند ، فلسفتي كيف تطورت، تر و تق عبد الرشيد الصادق، زكي نجيب محمود، مطبعة الجنة البيان العربي، القاهرة، ط1، 1960، ص 57

[2] جرايلينج ايه سي، المرجع السابق، ص 18

* تعتبر نظرية المجموعات Set theory بمثابة شعبة، اخترعها العالم الألماني جورج كانتور في نهاية القرن 19 م، ترتكز هذه الأخيرة على مفاهيم أساسية هي المجموعة والانتماء التي تبني من خلالها المواضيع الأساسية للرياضيات، والتي نعرفها كالدوال والأعداد النسبية والأعداد الحقيقة وغيرهم.

مفارقات ومشكلات منطقية، وهذا ما جعل كلا من راسل وأستاذه وايتهد يحرصان على اشتقاق حقائق الرياضيات من مجموعة محددة.

«وفي ذلك الوقت أثار نشر كتاب برادلي، الظاهر والحقيقة 1893، اكبر اهتمام في عالم الفلسفة، وكان ينبغي أن يطلق عليه اسم اختفاء الحقيقة، «نظرا لان برادلي تناول سائر الأشياء التي تعد عادة مكونة للعالم المتطور، مثل الأشياء والكيفيات والزمان والمكان،وألغاها واحدا تلو الأخر باعتبار أنها تتضمن علاقات رأى أنها تشمل التناقض الكامن، وفي نظر برادلي أن منطقة الظاهر، متناثرة الأجزاء متناقضة، كما أن الحقيقة الوحيدة الصادقة هي كل متفرد غير محدود بزمان اسمه المطلق يشمل في رحابه كل شيء، وأصبح راسل بعد أن تعرض لإغراء كبير تابعا لهيغل وبرادلي، ويبدوا واضحا أن السبب في هذا يرجع إلى أحاديثه مع أصدقائه أكثر من دراسته الأكاديمية في كمبريدج، ولم يخبره أساتذته في الرياضيات شيئا عما وجده فيها من تطورات مثل أعمال وايرستراس، في حين صرفه أساتذته في الفلسفة عن المذهب التجريبي، ولم يبدأ عمله الأصيل–سواء في الرياضيات أو الفلسفة– إلا بعد تخرجه من الجامعة، وفي كلتا الحالتين، قاده سخطه على أسس الرياضيات في نهاية الأمر إلى التمرد على الأرثوذكسية العلمية السائدة في كمبريدج، وعاد إلى دراسة الرياضيات فكتب رسالة تؤهله إلى الزمالة في الجامعة بعنوان أسس الهندسة أهداها إلى ماك تاجرث ولكن هذا الكتاب كان يعكس ما سبق أن تعلمه في كمبردج».[1]

يبدو أن تأثر راسل بالمثالية الهيغلية لم يكن لأسباب موضوعية بقدر ما كان بسبب التأثير الواضح والجلي من طرف أصدقائه، وحتى الأساتذة الذين درس عندهم في كمبردج عُرفوا بتوجهاتهم المثالية والكانطية، وما يمكن أن نفهمه من هذا التأثر هو البداية الكانطية التي عرفها راسل، فقد كان يحاول الدفاع عن كانط من خلال تفسيره للهندسة اللااقليدية،وأما الشيء الذي كان غامضا في ذلك هو التوجه الفكري العام الذي ميز الفلسفة الانجليزية ألا

[1] ألان وود ، برتراند راسل بين الشك والعاطفة، تر رمسيس عوض، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1984، ص 28–29

وهو الطابع التجريبي الواقعي، وهو ما يتناقض مع مثالية هيغل ويتفاوت مع أفكار كانط.

«تبرأ راسل من هذا العمل فيما بعد، بصرامته المعهودة، واصفًا إياه بأنه ليس إلا محض هراء لقد طرأ التغير الجذري في أسلوبه الفلسفي — كما رأينا — نتيجةً لثورته المشتركة مع مور على المثالية، ونتيجةً لاكتشافه للعمل الفلسفي الذي أنجزه بيانو. وكان عمل بيانو مهمًّا للغاية؛ لأنه حفز من رغبة راسل لاشتقاق الرياضيات من المنطق، وقدَّم له الوسيلة اللازمة لتنفيذ ذلك. وكرس راسل السنوات ما بين عام 1900 و1910 لهذه المهمة أساسًا، ونتج عن ذلك قدرٌ كبير من الإنجاز الفلسفي القيِّم. يناقش كتاب «مبادئ الرياضيات» (1903) هذا المشروع، ويتألف كتاب «أصول الرياضيات» من وصف تفصيلي لمحاولة تنفيذه. ومن بين الأبحاث الفلسفية القيِّمة التي أنجزها راسل أثناء ذلك كتاب «عن التدليل» (1905)، وبعض الأفكار الواردة فيه صار لها تأثير هائل على تاريخ الفلسفة لاحقًا».[1]

واستمرَّ الإنتاج الفلسفي إبان هذه السنوات بعد نهاية العمل المنطقي المشترك بإصدار كتاب «أصول الرياضيات». وشرع راسل في تطبيق أساليب التحليل التي توصل إليها في هذا العمل على مشكلات الميتافيزيقا (استقصاء الواقع) والإبستومولوجيا (الاستقصاء عن طريقة حصولنا على المعرفة واختبارنا لها). ويصف كتابه القيِّم القصير الخالد «مشكلات الفلسفة» (1912) الآراء الميتافيزيقية والإبستمولوجية التي كان يعتنقها آنذاك. كان ينوي أن يتناول هذه الآراء بمزيد من التفصيل في كتاباته اللاحقة.

لكن لم يلبث راسل طويلا حتى ثار على المثالية تحت تأثير جورج مور، إذ نجد أنه قد عاد إلى الطابع التجريبي الذي ميز الفكر الانجليزي، وبالرغم من ذلك فإنه لم يتخذ نسقا فلسفيا معينا بل كان متقلبا لا يتخذ منهجا واحد ولا فكرا واحدا، وقد كان للفكر المثالي

[1] جرايلينج ايه سي، المرجع السابق، ص 36

الألماني دور كبير في ذلك، إذ يبدو أن الفلسفة المثالية الألمانية قد أحكمت سيطرتها على الفكر الانجليزي بصفة عامة والفلسفة بصفة خاصة.

لقد أحدثت هذه الآراء المثالية التي أطلقها الفيلسوف البريطاني برادلي ردة فعل كبرى في الأوساط الفكرية الانجليزية اتسمت بعودة الفكر الانجليزي إلى جذوره التجريبية السابقة،«مما أدى إلى ظهور بوادر حملات عنيفة جديدة تنهد إلى تقويض معالم الفلسفة المثالية التي زرعت في الأوساط الفكرية الانجليزية، فنشر الفيلسوف جورج مور سنة 1903 بحثه المشهور دحض المذهب المثالي، واخرج راسل سنة 1912 كتابه علمنا بالعالم الخارجي،كما نشر آخرون حملات أخرى أطلقوها ضد الفلسفة المثالية، مثل برتشارد في كتابه الذي ينقد فيه نظرية المعرفة عند كانط، ويبدو أن هناك أراء فلسفية أخرى قد انطلقت في انجلترا لتقويض ما تبقى من معالم الأفكار المثالية وعلى رأسها التحليلات المنطقية والرياضية التي قام بها راسل في كتابه المعروف أصول الرياضيات الذي أصدره سنة 1903 وفي كتاب أسس الرياضيات الذي كتبه بالاشتراك مع وايتهد وهو عبارة عن تحليلات عميقة الجذور بعيدة الغور» .[1]

وفي عشرينيات القرن العشرين سعى راسل إلى تحسين تطبيق أساليبه التحليلية على فلسفة علم النفس والفيزياء والتوسع في ذلك، وكانت أول ثمرة لهذا السعي هي كتاب «تحليل العقل» (1921)، ويطبق فيه فهمه لمبدأٍ يشبه مذهب الظواهر على تحليل الكيانات العقلية،وكان الكتاب الثاني هو «تحليل المادة» (1927)، وفيه يسعى راسل إلى تحليل المفاهيم الأساسية للفيزياء، مثل القوة والمادة، وحجة هذا الكتاب تتبع مذهب الواقعية تمامًا؛فقد كان راسل يرى أنه من غير الممكن تحليل المفاهيم الأساسية للفيزياء دون الإقرار بوجود كيانات معينة يستحيل إدراكها؛ وبهذا انتهت علاقة راسل مع مذهب الظواهر، ومن الممكن أيضًا وصف الكتاب بأنه عودة إلى الواقعية؛ لأن راسل كان ملتزمًا بشكلٍ صارم

[1] غالب مصطفى، المرجع السابق، ص 48 – 49

بعض الشيء من الواقعية قبل أن يؤلف كتاب «معرفتنا بالعالم الخارجي».[1]

يبدو أن حياة فيلسوف مثل راسل لم تكن بالهينة نظرا للأحداث التي عايشها لهذا السبب نرى تنوع اتجاهات راسل الفكرية، فهو لم يتخذ اتجاها واحدا، بل كان متعدد الاتجاهات وهذا ما يتضح جليا في كثرة مؤلفاته ومقالاته العديدة، فكما أظهر عبقريته العلمية في مجال المنطق والرياضيات، كانت فلسفته أيضا زاخرة بكل ما هو جديد وأضفى عليها طابعا علميا جعل العديد من الفلاسفة من بعده يتأثرون بأفكاره الفلسفية ، وليس هذا فقط، إذ نجده إنسانا حمل على كاهله هموم غيره من المضطهدين والمستضعفين في الأرض، وكان يحارب لأجل مبادئ الحرية والسلام إلى أن توفي إثر أنفلونزا حادة في 02 فبراير 1970،في ميريتنشاري في ويلز.

[1] المرجع السابق، ص 38

المبحث الثاني : المنهج التحليلي نشأته وتطوره

إن التغيير السريع المتلاحق في شتى مجالات الحياة هو أبرز صفة تميز القرن العشرين; فقد تقدم العلم بصورة ما كان يمكن أن يتصورها أولئك الذين عاشوا قبل هذا القرن وظهرت أمم جديدة، وأصبحت خريطة العالم مختلفة عما كانت عليه من قبل، ويحمل لنا كل عقد من العقود تغيرات جديدة وهامة في التكنولوجيا والفن، بل حتى في العادات والأخلاق،ولم تكن الفلسفة استثناء لتلك الصفة التي تميز عصرنا، فمنذ أوائل هذا القرن مرت الفلسفة بمرحلة من مراحل التطور السريع الذي يطلق عليه مؤرخو الفكر اسم الثورات،وكانت انجلترا مركز هذه الحركة، وكمبردج على وجه الخصوص، وكان مور وراسل ثم فيتغنشتاين قادة تلك الثورة الفلسفية التي عرفت باسم " الفلسفة التحليلية ".[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإرهاصات الأولى ظهرت مع جوتلب فريجه Gottlob Frege في كتابه "أسس علم الحساب"، وذلك من خلال دراسته وتحليله للعبارات اللغوية، إذ يعتبر من الأوائل الذين اهتموا بتحليل الخطاب اللغوي.

خصائص الفلسفة التحليلية

قبل تحديدنا لمفهوم التحليل وتعريفنا له تجدر بنا الإشارة إلى التنويه بما إذ كان هناك فعلا منهج تحليلي أم هو ليس بمنهج وقد يكون مبدأ أو تيارا أو نزعة تحليلية، وبما أننا تكلمنا عن المنهج فالمقصود به هو ذلك الطريق المنظم الذي يرتب وينسق الفكرة ويمنعها من التيه، أما المبدأ فهو الأساس التي تقوم عليه أفكارنا لتوجهنا إلى بلوغ أغراض معينة،ولعل الفرق شاسع بين الاثنين فالأول قابل للتعديل، قابل للمسايرة، يمكن تحديده وضبطه وفق قوانين، أما الثاني فهو غير قابل للتعديل وإن كان كذلك يصبح فكرة لا مبدأ

[1] Ammerman,R.R.Classics of Analytical Philosophy, Tata McGrawn-Hill, Pombay-New Delhi, 1965,P 41

في الأساس.

لعله من الصعب تماما أن نقدم تعريفا دقيقا لهذه الفلسفة، أعني أنه قد يكون من العسير أن نضع جميع الخصائص التي تميز الفلسفة التحليلية في عبارة واحدة نأخذها كتعريف لهذه الفلسفة، أي ذلك النوع من التعريف الذي يطلق عليه المناطقة اسم " التعريف الجامع المانع "، ذلك لأن الفلاسفة التحليلين، لا يمثلون نمطا واحدا من الفلاسفة يتفقون على دوافع تفكيرهم وأهدافه، بل ليس هناك في الواقع اتفاق عام حتى على الاسم الذي يميز تلك الحركة الفلسفية، فتسمى" التحليل اللغوي "حينا، و" التحليل المنطقي " أحيانا، وكانت تسمى في مرحلة من المراحل باسم " فلسفة مدرسة كمبردج "، وتسمى الآن في تطورها الأخير " فلسفة أكسفورد " أو " فلسفة اللغة العادية ".[1]

والمجمل العام لهذه الفلسفة هو ما يجعلها منصبة على اللغة وتحليلها, خاصة في الفضاء الانجلوسكسوني، كما ترتكز على المنطق في تفسيرها اللغوي، وذلك لأنها كانت تهتم باللغات الطبيعية الحية أكثر من اللغات المنقرضة.

فإن شئنا أن نبحث عن شيء مشترك بين جميع الفلاسفة التحليلين فإننا لا نستطيع تقديمه إلا بشكل عام للغاية، لأنه على الرغم من أنهم يتفقون على أن " التحليل " هو الهدف الرئيس من الفلسفة بالمعنى الخاص الذي يقدمونه لهذا اللفظ، فإنهم يمارسونه لدوافع مختلفة تماما بل قد يقول قائل إنهم لا يشتركون في موقف فلسفي بعينه، بل بالأحرى هم مرتبطون بخط معين لتطور الأفكار عن طبيعة الفلسفة ودورها، ذلك الخط الذي بدأه " مور " و "راسل " واتجه به " فيتغنشتاين" وجهة جديدة، وانحرف به " آير " عن طريقه وأعاده " وزدم " وطوره إلى التحليل العلاجي Therapeutic analysais ووصل إلى نهايته– وربما إلى المأزق– على يد " فلاسفة اللغة العادية " في أكسفورد من أمثال "رايل" و " أوستين ".[2]

[1] Charlesworth, M.J.Philosopy and Linguistic Analyais, Duquense Studies, Philosophical Sacrics Duquense University, Pattsburgh, 1959, PP 3-4
[2] Ammerman,R.R., Op cit, P 3

ولم يقتصر " التحليل " عند الفلاسفة التحليلين إلى البحث في أصل الموضوعات والأشياء والمعرفة بصفة عامة، بل تجاوز ذلك إلى البحث في ماهية الألفاظ والمعاني وإخضاعها للنقد لأنهم كانوا من دعاة الدقة والوضوح.

والواقع أن لفظ التحليل لم يكن له معنى واحد بعينه عند الفلاسفة التحليلين، وعلى ذلك فقد لا يكون من الخطأ أن نقول : «هناك فلاسفة تحليليون لا فلسفة تحليلية، إذ لا يجب أن يؤخذ اسم التحليل بجدية أكثر مما يؤخذ اسم الوجودية مثلا على أنه عنوان محدد لمواقف فلسفية عبر عنها بعض الفلاسفة من أمثال هيدغر ومارسيال وميرلوبونتي وسارتر، فبنفس الطريقة التي نقول بها عن هؤلاء الفلاسفة أنهم وجوديون، يمكن أن نطلق على مور، و وراسل، و فيتغنشتاين، آير، وزدم، رايل اسم التحليليين».[1]

والأن فإننا لو شئنا أن نصف الفلسفة التحليلية بأنها فلسفة التحليل لما قدم لنا هذا الوصف الكثير عن طبيعة هذه الحركة الفلسفية، «لأن لفظ التحليل يستخدم بكثرة وبطرق مختلفة في مناسبات كثيرة للغاية على وجه يصبح فيه هذا اللفظ في الغالب بلا معنى،وفضلا عن ذلك فإن البحث في طبيعة الفلسفة التحليلية بهذه الطريقة لابد أن يبدأ بتحليل مفهوم التحليل، ولو حدث ذلك لكان من الضروري تحديد نوع التحليل المطبق في تحليل مفهوم التحليل، وهكذا يظهر التراجع إلى مالا نهاية بشكل واضح تماما إذا ما اتبعنا مثل هذا الإجراء».[2]

وكما أن فلسفة التحليل لا تعد وصفا دقيقا للفلسفة التحليلية، فإن تمييز هذه الفلسفة بأنها تنصب فقط على معالجة الألفاظ، لا يعد بالمثل وصفا دقيقا لها، أعني أنها ليست مرادفة لفلسفة أكسفورد اللغوية، فإن هذه الأخيرة مثلها في ذلك مثل حلقة فينا، وتعاليم فيتغنشتاين لا تمثل سوى جزء الحركة التحليلية[3] ولا تمثل الفلسفة التحليلية جميعها، بل إن

[1] Ibid., p 3
[2] Skolimowski, H, Polish Analytical philosophy, Routledge Kegan Paul, London, 1967, P 1
[3] Skolimowski, Op Cit, P 3

هذا الاتجاه – وهو أساسا ينبع من فيتغنشتاين المتأخر– لا يعبر عن الاتجاه الصحيح للفلسفة وأهدافها، لأنه لو صح هذا الاتجاه فيما يرى راسل لكانت «الفلسفة على أفضل وجه مساعدة زهيدة لواضعي قواميس اللغة، أو هي أسوأ وجه تسلية قوم كسالى حول مائدة الشاي».[1]

تهتم الفلسفة التحليلية اهتماما بالغا باللغة، نظرا للدور التي تلعبه اللغة في استخدام الفيلسوف للتحليل، ولكن ذلك الاهتمام ودراسة اللغة لا يعني أننا نخلط بين فقهاء اللغة ودارسيها وبين فلاسفة التحليل، فحتى وإن كانت السمة المشتركة بينهما هي اللغة فإن لكل منهما استخدامه الخاص، فرجال اللغويات مثلا والنحويون يدرسون بدايات وتطور اللغات عبر التاريخ في حين تستخدم اللغة كأداة للتحليل إذ تصبح تحت معول الفلسفة من حيث التحليل والنقد.

وعلى الرغم من اتفاق الفلاسفة التحليليين على ضرورة التحليل اللغوي; فإنهم انقسموا واختلفوا حول ماهية اللغة المراد درستها، إذ نجد فريقا ينادي بضرورة إنشاء لغة اصطناعية جديدة، وهذا لتفادي المشكلات الزائفة التي كانت متضمنة في اللغة العادية حسب قولهم،لكن في الجهة المقابلة نجد أن آخرين اعتبروا أن تحليل اللغة العادية الجارية وتمحيصها من جديد يفي بالغرض المناسب.

إن فلسفة التحليل لم توجد من العدم، بل وجودها مرتبط بمرجعية تاريخية،وفكرية،ومعرفية تتمثل في النظر إلى الوراء، ومما لا شك فيه أن الفلسفة التحليلية وليدة القرن العشرين، الذي هو عصر التغير السريع الذي اندفع فيه العلم بقوة كان يصعب من قبل تصورها، فقد حدثت انقلابات جديدة هامة في التكنولوجيا والفن حتى في السلوك والأخلاقيات ولم تكن الفلسفة استثناء، فقد عانت هي الأخرى تغيرا في المحور لا يزال نبضه حيا لكن هذا التحول لم يكن منقطع الصلة بالماضي، وإنما يمتد فيه بجذوره، ومع ذلك

[1]Russell B., My Philosopical Development, George, Allen, Unwin, London, 1959, P 217

فبإمكاننا الزعم بأنه لم يكن مجرد استمرار لهذا الماضي، وما نعنيه بالتحول هو ظهور الفلسفة التحليلية.[1]

«ففي القرن التاسع عشر حدث نوع من التباعد بين العلم والفلسفة، لأن معظم فلاسفة القرن 17 وأوائل القرن 18 قاموا بدور هام في الفلسفة، لا يمكن أن يوصفوا بأنهم مجرد هواة في المسائل العلمية، غير أن هذا الاتساع في نطاق النظرة الفلسفية اختفى خلال القرن 19 في انجلترا وألمانيا على الأقل، وكان ذلك راجعا في المحل الأول إلى تأثير الفلسفة المثالية* لسبب بسيط هو أن لغتهم لا تتلاءم بسهولة مع هذا النوع من الفكر التأملي».[2]

هناك من يعتبر أن جذور نشأة الفلسفة التحليلية ترجع في أساسها إلى مقال مور الذي يكمن جوهره في إبطاله للمثالية، فقد احتوى هذا المقال على منهج بواسطته نصل إلى معالجة وحل المشكلات التقليدية الفلسفية، مطبقا ذلك الحس المشترك، هذا الأخير يمدنا بهيكل الحقائق الموثوق بها، ولكنها غير محللة، وهذه الحقائق بدورها توضع أمام الفلسفة لتقرر معناها.

وعليه فإن الفلسفة التحليلية تُعنَي "بدقة اللغة وتنظيم الرموز المستخدمة وتساعد على توضيح ما نقوله من جمل وفروض كما أنها تجعل كل هذا شيئا ذا معنى، «أو شيئا خاليا من المعنى، وتعتمد في منهجها على الرجوع إلى العناصر الأولية، والوحدات الجزئية الأساسية التي يقوم عليها الفكر والوجود».[3]

---

[1] مهران محمد ، محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2004، ص 139

* يطلق اسم المثالية بوجه عام على النزعة الفلسفية التي تقوم على رد كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه وهي بهذا المعنى مقابلة للواقعية الوجودية التي تقرر أن هناك وجودا مستقلا عن الفكر .انظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج2، دار الكتاب اللبناني،بيروت، دط،دت، ص 337

[2] راسل برتراند ، حكمة الغرب، تر فؤاد زكريا، ج2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1983، ص ص 193-194

[3] زروخي الدراجي ، المذاهب الفلسفية الكبرى، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2015، ص 345

والكلام عن التحليل بمعناه العام لا يعني أنه وليد القرن العشرين فقط، فهو كما سبق واشرنا إليه يمتد إلى الحضارات الشرقية وبعدها مع الفلسفة اليونانية والحديثة، لكن البوادر الأولى التي مهدت لنشأة الفلسفة التحليلية ذات المنعطف اللغوي بدأت مع المقال الذي نشره "ألكسيوس ماينونغ" والذي كان يصبو فيه إلى تفسير الكائنات غير الموجودة، وقد عبر عن ذلك بمقولة شهيرة اختصرها في بضع كلمات"ليس موجود لكنه يَنوجد" نعم هكذا عبر "ماينونغ" تلميذ برنتانو عن تفكيرنا في الموجودات التي نفكر فيها ونتخيلها دون أن يكون لها دلالة في الواقع، فهو يرى انه بمجرد تفكيرنا فيها تصبح إمكانية وجودها قائمة، وقد أثار هذا المقال ضجة كبيرة آنذاك بين مؤيد ومعارض رغم أن الأغلبية كانت تسخر وتستهزئ من تفسير كهذا، وهذا ما اعتقده اغلب فلاسفة التحليل وعلى رأسهم راسل الذي رد على ماينونغ بنظرية الأوصاف.

« ويأخذ مفهوم التحليل عدة معان يرتبط بعضها بالتفكيك، أي تحويل الكل إلى أجزائه البسيطة، ويرتبط بعضها بفكرة الحل»[1] أي إثبات صدق القضايا، وذلك بالاستناد إلى مجموعة من القضايا والمقترحات ترمي إلى إيجاد النتيجة المطلوبة، إذ يكون الانتقال إلى قضية جديدة مطلبا ضروريا، فالتحليل بشكل عام هو تفكيك الكل المركب إلى أجزائه البسيطة، حتى يصبح أكثر وضوحا وسلاسة، ولعل الصعوبة في ضبط مفهوم التحليل لوحده وليس الفلسفة التحليلية، ترجع إلى تباين استخدامه في عدة سياقات، فالتحليل في علم النفس ليس هو التحليل في الفيزياء، والتحليل في الفيزياء ليس هو التحليل في الأدب.

إن منهج التحليل في الفلسفة الانجلوسكسونية ليس جديدا، وإنما تطوير لمنهج طويل ممتد عبر التاريخ، ولم يكن مألوفا عند الفلاسفة من قبل فحسب بل كان مألوفا أيضا عند علماء الطبيعة والرياضيات وفي تفكيرنا وفي حياتنا اليومية، فلم يكن غريبا في أي عصر أن

[1] لالاند أندري، معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية، المجلد الأول، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، 2001، ص–ص. 64، 65

يترك العالم الطبيعي أحيانا عمله التجريبي أو الاستنباطي ويتجه إلى تحليل تصوراته وفروضه لدينا نيوتن الذي وقف عند مبدأ الاطراد بالحوادث باحثا عن صلته بعمومية القوانين، ثم ارتيابه في عموميته التامة فوصل في النهاية إلى قبول المبدأ بما فيه من عمومية احتمالية.[1]

وفي هذا الشأن يتضح أن منهج التحليل في نظر فلاسفة الانجليز المعاصرين، لم يكن بالجديد عليهم بل هو تطوير لمنهج أو مناهج ممتدة عبر الزمان والمكان، والفرق هذه المرة يكمن في طريقة التعامل مع التحليل من حيث الموضوع واللغة على حد السواء، فكما سبق وأشرنا إليه تُعد سيادة الفكر المثالي الهيغلي- على وجه الخصوص - على الفكر الانجليزي التجريبي أمرا يدعو إلى التساؤل لا لشيء سوى لهيمنة وطغيان النزعة التجريبية على الفكر الانجليزي ابتداء من فرانسيس بيكون، وقبله كانت البوادر مع روجر بيكون،وبعده جون لوك،ودافيد هيوم، لغاية جون ستيوارت ميل، فمن المعلوم أننا كنا ننتظر بوادر جديدة تلوح في الأفق الفلسفي الانجليزي ذو النزعة التجريبية حتى يحرر ذلك التسلط الفكري المثالي، لكن بوادر ذلك التخلص لم تكن بالنزعة التجريبية المحضة كما كان يُنتظر.

وقد كان لذلك التحول أو الانعراج الفكري، صدى وأثر بليغ على الفلسفة، التي تغيرت طبيعتها من الأنساق الميتافيزيقية، إلى تأملات تحليلية، وكان الفضل في ذلك للفيلسوف مور * وراسل و فيتغنشتاين، وبالتالي فإن الفلسفة التحليلية لم تكن مذهبا بل هي منهج في البحث اهتمت اهتماما شديدا بالتحليل اللغوي بهدف إضفاء الوضوح والدقة على لغة الفلسفة والكشف عن حقيقة الكثير من مشكلاتها، وأن مور يعتبر رائد النزعة التحليلية التي يطلق

[1] زيدان محمود ، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، دط، 1977، ص 82

* مور جورج ادوارد (George Edword More) ، (1873-1958) ، فيلسوف انجليزي بدا مثاليا، ثم شاطر راسل منصبه المضاد للذاتية، اتجه نحو مذهب تجريبي وتعددي، ميز في مقال شهير له بعنوان " دحض المثالية " بين مضمون الوعي وموضوع الوعي، واكد في مقال له عنوان "دفاع عن الحس المشترك". انظر : جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص 644

عليها اسم الواقعية الجديدة، والتحليل عند مور ينصب على التصورات أو الأفكار أو المفاهيم، وليس على الألفاظ أو العبارات اللغوية.[1]

مما سبق يتبين أن الفلسفة التحليلية جاءت رافضة للوضع الفلسفي السائد آنذاك، أو يمكننا القول أنها كانت ردة فعل تجاه المثالية الهيغلية، وجاءت بالجديد في المنهج ولهذا نجد كلا من راسل ومور وفتجينشتاين – وهم ابرز أعلام الفلسفة التحليلية – قد ساهموا من خلال أعمالهم إلى حد كبير في دحض المثالية والنهوض بفلسفة التحليل اللغوي، وهناك

«إن أول فروع التيار التحليلي هو ما يمكن أن نسميه مذهب التحليل العلاجي الذي ساد في كامبردج ذاتها طوال الثلاثينات مع "جون ويزدم*" و"موريس ليزر" و "ويتز"، ورأوا المشكلات الفلسفية الكبرى تقوم بدور في تنوير العقل البشري، ولا بد أن ثمة أسبابا وجيهة تدفع إلى الانشغال بالمشكلات الميتافيزيقية الكبرى كحقيقة المادة ووجود الآخرين وخصائص المطلق، لهذا رأوا أن مهمة الفلسفة التحليلية ليست مجرد التوضيح وإزالة اللبس والغموض بل أيضا تهدئة القلق الفلسفي وعلاج العقول من الهم الميتافيزيقي وتحريرها من ضغوطه».[2]

والمقصود هنا انه ليست هناك فلسفة تحليلية واحدة، لأن كلمة تحليلية يمكن استعمالها لنجمع بها مجموعة من الفلاسفة وحتى الأدباء، وغيرهم من المفكرين، فالتحليل لا نجده عند فيلسوف معين فقط، لأن تاريخ الفكر الفلسفي قد عرف التحليل عن طريق فلاسفة السوفسطائين، وسقراط وأفلاطون وصولا إلى ديكارت، وبيكون وبركلي وغيرهم من الفلاسفة، وهذا ما أدى إلى إطلاق اسم حركة التحليل عليها.

---

[1] نقلا عن عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، دط، 2007، ص 20

* جون ويزدم (Johon Wisdom) ، (1904–1974) ، فيلسوف انجليزي، أحيا مدرسة كامبردج التي كانت ازدهرت قبل ستين عاما مع راسل ومور وفتجنشتاين، من مؤلفاته: مشكلات الذهن والمادي، عقول أخرى، انظر : جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص 733

[2] الخولي يمنى طريف ، فلسفة العلم في القرن العشرين، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، دط، 2000، ص ص 278–279

لقد رأينا التجريبية العلمية العتيدة للفلسفة الإنجليزية، منذ فرنسيس بيكون ثم جون لوك وباركلي وديفيد هيوم وصولًا إلى جون ستيوارت مل، ومع هذا لم تسلم هي الأخرى من مد المثالية الألمانية. وفي بدايات القرن التاسع عشر انضم الشعراء والكُتَّاب الرومانتيكيون في إنجلترا إلى زملائهم في القارة الأوروبية، واستقطبوا اتجاهات مثالية فرارًا من عقلانية التنوير المفرطة وتعملق العلم الذي كان حتميًّا ميكانيكيًّا. وظهرت المثالية الألمانية في أشعار شيلي ووردزورث وكتابات توماس كارليل، واكتسبت ثقلًا مع الشاعر الكبير كولريدج الذي درس فلسفة كانط بتفاصيلها.

«ومع هذا كانت غزوة ضعيفة؛ لأنها تمت على أيدي هؤلاء الرومانتيكيين من الكُتَّاب والشعراء، وجميعهم غير متخصصين في الفكر الفلسفي ولا محترفين إياه؛ لذلك سهل اندحارها على يد جون ستيوارت مل، وقد رأيناه يناصب المثالية الألمانية العداء. لكن هبت على الأراضي الإنجليزية غزوة مثالية ثانية في الثلث الأخير من القرن، افتتحها ستيرلنج .J بكتابه «سر هيجل 1865م»، حيث أوضح كيف أن هدف هيجل أو سره هو إحياء الإيمان بالله وخلود الروح وحرية الإرادة، فانتشرت المثالية مجددًا في أعطاف الفلسفة الإنجليزية، من أجل إحياء تلك القيم التي هددها تقدم العقل العلمي، وبدى ذلك في كتابات جمع من الفلاسفة الإنجليز أهمهم فرنسيس برادلي (1846–1924) وجون ماكتاجارت (1866–1925) وقرناء لهم من فلاسفة كمبردج العظام ذوي الثقل، ليبرزوا قوة المد المثالي آنذاك. في كتابيه «المظهر والحقيقة 1883م»، وأيضًا «أصول المنطق 1883م» يعرض فرنسيس برادلي للمذهب الواحدي الذي يرى العالم ككل واحديًّا محكومًا بعلاقات داخلية ولا أجزاء له ولا تعدد فيه، فيما يمكن اعتباره من أقوى عروض المثالية المتطرفة التي تنكر أية جدوى أو أي دور للتجريبية، وفي تاريخ الفلسفة بصفة عامة».[1]

لقد عرفت المثالية الألمانية منذ سنة 1900 عدة انتقادات عنيفة حتى أصبحت مركز

[1] المرجع السابق، ص 229

عبور العديد من الفلاسفة، فنجد كل الفلاسفة آنذاك قد تطرقوا بالنقد للمثالية التي استمرت مدة طويلة، متربعة على عرش الفلسفة، والجدير بالذكر أنه حتى في ألمانيا عرفت المثالية تضاربا مع صدور كتاب ادموند هوسرل "بحوث منطقية"، فقد كانت الفينومنولوجية بمثابة المنفذ التي استطاعت منه التجريبية أن تتغلغل في أوساط المثالية الألمانية، إذ توجهت الفلسفة الألمانية من مجال المطلق والزمكان الكانطي، إلى روح علمية جديدة، كانت ترفض الأنساق الميتافيزيقية وتسعى لجعل الفلسفة علما يستند إلى منهج علمي .

وهنا« يتقدم الفيلسوف النمساوي لودفيج فيتغنشتاين L. Wittgenstein (١٨٨٩–١٩٥١م) بوصفه صاحب الأثر الواسع والعميق في صبغ فلسفة القرن العشرين بالصبغة المنطقية، تقنينًا وتنضيدًا للغة، وإحكامًا وضبطًا للتفكير بواسطة قصر اللغة على صياغة العبارات التجريبية والعلاقات المنطقية. فيمثل فيتغنشتاين نقطة التقاء الخطوط السابقة، المد التجريبي والمنطق الرياضي كعصب الفلسفة وكيف تم تلاقيهما معًا وتفاعلهما في التجريبية وهي تتمنطق في شكل فلسفة للغة.كان فيتغنشتاين نموذجًا لفئة المنطقي/الفيلسوف، بل هو حاد في الاتسام بالسمة المنطقية. الفلسفة في عرفه إما هي منطقية أو أنها لا شيء وقول فارغ يخلو من المعنى، بله الجدوى. قام بدوره في تطوير وسائل المنطق الرياضي من قبيل قوائم الصدق، ودوال الصدق التكرارية انطلق من الرياضيات وله بحث في أصولها، ويقف عمله على أكتاف فريجه وراسل، إلا أنه لا يوضع ضمن أقطاب المدرسة المنطقية في فلسفة الرياضيات، ويظل من أرباب الفلسفة التحليلية. وتحتل «الرسالة المنطقية الفلسفية» موقعًا استراتيجيًّا بالنسبة لدور المنطق في فلسفة القرن العشرين على العموم، وفي فلسفة العلم على الخصوص.»[1]

أوضحت «الرسالة المنطقية الفلسفية» أن المنطق ما هو إلا صورة للفكر كما يتمثل في اللغة. إذن فالمنطق ما هو إلا صورة للغة، وكل ما يمكن التفكير فيه يمكن التعبير عنه

[1] المرجع السابق، ص251

بوضوح، يقول فيتغنشتاين:

"تهدف الفلسفة إلى التوضيح المنطقي للأفكار، وليست الفلسفة علمًا Lehre إنما هي نشاط. حصيلة الفلسفة ليست عبارات فلسفية، وإنما توضيح للعبارات. يجب أن تعمل الفلسفة على توضيح الأفكار وتحديدها تحديدًا قاطعًا، وإلا ظلت تلك الأفكار مبهمة وغامضة."[1]

من خلال ذلك، يتضح أن فيتغنشتاين قد اختزل نشاط الفلسفة في توضيح الأفكار،وذلك عن طريق التحليل المنطقي للعبارات، وتحليلها من الكل المركب إلى الجزئي البسيط، فهو يعتقد جازما أن جل المشكلات التي يُنظر اليها على أنها مشكلات فلسفية ما هي إلا أفكار ميتافيزيقية خالية من المعنى، ووجودها مرتبط بتراكمات العصور السابقة،فالميتافيزيقا تحت معول فيتغنشتاين تصبح لا تحمل معرفة ولا تضيف جديدا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى فعالية اللغة في تجاوز مشاكل الفلسفة.

ويمكننا بوجه عام أن نميز بين ثلاثة اتجاهات رئيسية في الفلسفة التحليلية المعاصرة،جاءت متعاقبة إلى حد ما وتنحصر فيما يلي : الاتجاه الواقعي، ثم الاتجاه الوضعي المنطقي، وأخيرا فلسفة اللغة العادية.

1- الاتجاه الواقعي

وهو الذي جاء ليقوض أركان المذهب المثالي الذي ساد الفكر الانجليزي منذ منتصف القرن التاسع عشر، ويعد برتراند راسل أهم ممثل لهذا الاتجاه، ويضم إلى جانب راسل بعض الفلاسفة المعروفين من أمثال "سي.د.برود*" (1887-1971) و"صمويل الكسندر**" (1859-1938) و"جون ليرد" وكانت المشكلة الرئيسية التي أولاها هؤلاء الفلاسفة هي العلاقة بين الفلسفة والعلم، إذ كانوا على اقتناع كامل بضرورة أن تصبح

[1] L. Wittgenstein, Tractatus Logico-Philosophicus, Trans, By C. K. Ogden, Kegan Panl, London, 1933, 4, 112

الفلسفة علمية على أساس واقعي، فيمكن للفلسفة – بتطبيق المنهج التحليلي– أن تحقق وظيفة أساسية وهي توضيح وتنظيم المبادئ المنطقية التي يستخدمها العلم، « كما يمكنها عن طريق فحص ما يترتب على هذه المبادئ بالنسبة لبنية العالم القصوى أن تقيم نوعا متينا من الميتافيزيقا».[1]

في الوقت التي شهدت فيه العلوم تطورا ومنحى تصاعديا، كانت الفلسفة لا تزال تعيش فوضى معرفية تسعى من خلالها لمواكبة باقي العلوم، وهذه العلاقة الجدلية حاول من خلالها الاتجاه الواقعي أن يجعل من الفلسفة، فلسفة علمية، تستند إلى مبادئ منطقية، وهذا بعد أن تتخذ الفلسفة من التحليل منهجا.

« ويدور محور الفلسفة الواقعية الجديدة حول محاولة فهم العلاقة التي تنشأ بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، دون تمييز بين العارف والمعروف، وتحليل العلاقة التي تربط بين الذات العارفة وموضوعها، ورفضت القول بوجود وسيط بينهما كما جاء لدى الواقعيين التقليديين».[2]

وهذا معناه أن الواقعية الجديدة رفضت أي وسيط يقوم بين الذات العارفة وموضوعها،وهذا الوسيط يجعل معرفتنا وإدراكنا للشيء الخارجي صورة مطابقة لحقيقته في الخارج، وقد وضع أصحاب الواقعية الجديدة مبادئ رئيسية يرتكز عليها مذهبهم أهمها:

---

[1]Purt, E,A, In scarch of philosopical undeerstanding, George Allen & unwin, London, 1967, P, 27

* سي.د.برود (1887–1971) C.D.Broad : باحث في فلسفة العلوم وفي الأخلاق والفلسفة النظرية، وصار أستاذا للفلسفة الأخلاقية في جامعة كامبردج، من مؤلفاته العقل ومكانته في الطبيعة، انظر : عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 352

** صمويل الكسندر (1859–1938) S.Alexander فيلسوف استرالي معاصر، درس في ملبون ثم في أكسفورد، وفي عام 1893، عين أستاذا في جامعة فيكتوريا، تأثر بالتيارات الواقعية الانكلوساكسونية السائدة في عصره، من مؤلفاته التطور المنبعث، انظر: جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص 90

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جروج سنتيانا في الوجود والمعرفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1994، ص ص 220–221

1- يقوم العقل بدور إيجابي في عملية معرفتنا بالأشياء الخارجية التي تصلنا من العالم الخارجي.

2- تقوم الذات المدركة بدور ايجابي في المعرفة لأنها ليست سلبية إزاء الموضوعات الخارجية.

3- إن معرفة الإنسان بالموضوعات الخارجية الجزئية وقدرته على تحديدها تمكنه من الوصول إلى فكرتي الوحدة والكلية.[1]

2- الاتجاه الوضعي المنطقي

إذا تحدثنا عن هذا الاتجاه الوضعي المنطقي، فنحن نقصد بالتحديد المدرسة الوضعية المنطقية التي تعد أحد أهم اتجاهات الفلسفة التحليلية، ويمكننا القول إن الوضعية المنطقية تعتبر هي المسؤولة عن كل ذلك الأثر البليغ الذي أصيبت بها الفلسفة مع مطلع القرن العشرين، إذ سلم أصحاب هذه المدرسة بالنزعة التجريبية منذ القرن السابع عشر، لقد اعتمدوا على المنطق الرياضي حتى أصبح المحرك الأول الذي يحرك دواليب الفكر الفلسفي المعاصر، ولم تعرف باسم الوضعية المنطقية فقط، بل كانت تعرف أيضا بالوضعية الحديثة، والتجريبية المتسقة، أما من أطلق عليها اسم الوضعية المنطقية فهو بلومبرغ وفيغل سنة 1931، رغم أن الاسم الأصلي لهذه المدرسة هو ما يعرف بحلقة فيينا.

في عام 1895م قررت جامعة فينا لأول مرة إيجاد كرسي لفلسفة العلوم التجريبية؛لتنمية وصقل هذا الفرع الفلسفي الهام النامي حديثًا، « وكانوا يفضلون أن يشغله عالم طبيعي ذو ميول فلسفية قوية، أول من شغله إرنست ماخ، وفي عام 1922م استدعت جامعة فينا شليك من وطنه ألمانيا لشغل هذا الكرسي، فقد كان موريتس شليك* عالم طبيعة،وكان منذ البداية يأخذ بتجريبية ماخ وهلمهولتس الحادة واصطلاحية بوانكاريه،ويرفض

[1] المرجع نفسه، ص 221

فينومينولوجيا إدموند هوسرل والكانطية الجديدة التي شاعت في جامعات ألمانيات آنذاك،ويرفض الكانطية الأصلية رفضًا للمطلق النيوتوني ولاعتبار قضايا الفيزياء قطعية أو قضايا الرياضة تركيبية. هكذا كان شليك فيلسوفًا على الأصالة، معنيًّا بنظرية المعرفة ومنطق العلم، وأيضًا بالأخلاق وفلسفة الحياة والثقافة؛ لذلك اصطنع شليك لنفسه لقب العالم/الفيلسوف، ربما أسوة بآينشتين، وقد كان شليك في طليعة شرَّاح النظرية النسبية ومفلسفيها بألمانيا».[1]

وبالطبع لم يكن شليك لوحده، فما إن حط الرحال بفينا حتى التقى بالكثير من الفلاسفة والرياضيين، وكانوا كلهم يتوقون إلى مناقشة المفاهيم الفلسفية من زاوية منطقية علمية تختلف عن الفترات السابقة.

يتفق أصحاب الوضعية المنطقية على مبادئ تمثل دعائم فلسفتهم التي لا بد من التسليم بها جميعًا، ولا بأس من الاختلاف في أية مسألة بعد هذا، هذه المبادئ على وجه التحديد هي:

أولًا: الفلسفة تحليلية.

ثانيًا: الفلسفة علمية.

ثالثًا: القضية إما تحليلية أو تركيبية.

رابعًا: الميتافيزيقا لغو.

خامسًا: معيار التحقق سيمانطيقيًّا، ولغة العلم سينتاطيقيًّا؛ لتمييز المعرفة العلمية، أي

* موريتس شليك (1882–1936) M. Schlick فيلسوف ألماني، درس فلسفة العلوم الاستقرائية في فيينا، عرف النظرية العامة للوضعية المنطقية في المعرفة، وندد بالوسائل الكاذبة للميتافيزيقا، اهتم بمسائل علم الجمال وعلم الأخلاق، من مؤلفاته المكان والزمان في الفيزياء المعاصرة، انظر: جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص 399

[1] الخولي يمنى طريف، المرجع السابق، ص 277

إن معنى القضية هو منهج التحقق منها.[1]

وفي الحقيقة قد أعلن أصحاب الوضعية المنطقية منذ أول وهلة على تصنيفهم للعلوم، فهم يرون أن الفلسفة لم تعد الأم الحاضنة لأبنائها، أو أن أبناءها لم يكونوا كما كان يُنتظر منهم، فقد انفصلوا عنها متخذين لأنفسهم مواضيعهم الخاصة ومناهجهم، وبقيت الفلسفة تبحث لنفسها عن خلاص من خلال تمسكها بالعلوم المعيارية والميتافيزيقا، وهذا ما لا يرضي جماعة فيينا، فحاولوا أن يجعلوا مهمة الفلسفة مقتصرة على تحليل اللغة وليس طرح مواضيع وإثارة مسائل غيبية، لأنها بذلك لن تزيد من لهفة الحيران إلا ضياعا وخسرانا.

هكذا جعل الوضعيون المنطقيون العلم هو النشاط العقلي الأوحد، الذي ينقسم بين فئتين لا ثالث لهما، فئة العلماء الذين يقومون بجمع المعلومات ووضع النظريات، « ثم فئة فلاسفة العلم الذين يقومون بتحليلات منطقية تساعد على تقدم العلم وازدهاره. قد يقوم العالم نفسه بهذه التحليلات، وفي هذه الحالة سوف يصبح فيلسوفًا بعد أن كان عالمًا، أو يصبح العالم/الفيلسوف، بالمفهوم الوضعي المنطقي للفلسفة الذي يعني المطابقة بينها وبين التحليل المنطقي للعلم، فتغدو الفلسفة بأسرها علمية، ولا يعود ثمة متسع للميتافيزيقي السابح في أجواء المطلق، أو الأخلاقي الحالم بمجتمع الفضيلة أو السياسي الباحث عن اليوتوبيا أو الجمالي الهائم في العالم الأستطيقي الخلاب، ولكي يستطيع الوضعيون المنطقيون أن يُعَلْمِنوا الفلسفةَ بهذا الحصر والقصر ارتكزوا على حجة منطقية؛ وهي أن القضية إما تحليلية، وإما تركيبية[2]».

فقد كانت الرياضيات عقبة كئود في وجه التجريبيين، طالما أن العقل الرياضي يستقل بنفسه عن التجربة ليصل إلى القضايا الرياضية الضرورية الصدق ذات اليقين المطلق،«فكيف نفضل على هذا المنهجِ العقليِّ الخالصِ المستقلِّ عن التجربة — منهج

[1] المرجع السابق، ص 280

[2] المرجع نفسه، ص 281

الرياضة الذي تقتفيه الميتافيزيقا — منهجًا آخر يعتمد على التجربة، فتجيء نتائجه احتمالية؟! ولم يكن التجريبيون جميعًا بجرأة جون ستيوارت مل وصلابته التجريبية كي يزعموا معه أن الرياضة أيضًا تستند على تعميمات تجريبية».[1]

لقد استخدمت الوضعية المنطقية التحليل ومن خلال ذلك نجدها قسمت العبارات أو الجمل أو سائر ما يتمثل في الصور النحوية إلى فئتين :

(1)العبارات ذات المعنى: وهي إما العبارات التحليلية، أي قضايا العلوم الصورية «المنطق والرياضة»، وإما القضايا التركيبية التجريبية «قضايا العلوم الطبيعية الإخبارية»،واصطلاح «ذات معنى» أفضل من اصطلاح «لها معنى »؛ لأن الأول يظهر أن المعنى ليس شيئًا يُضاف إلى العبارات، بل صفة تتحد بنفس طبيعة العبارة.

(2)العبارات الخالية من المعنى وهي كل ما يخرج عن النوعين السابقين، وخصوصًا قضايا الميتافيزيقا، إن الوضعية المنطقية تطابق بين المعنى وبين العلم، وحيث لا علم لا معنى![2]

ومعنى هذا أن العبارات الخالية أو الفارغة من المعنى هي كل ما يخرج من النوعين السابقين أي (القضايا التحليلية والتركيبية) وخاصة قضايا ومشكلات الميتافيزيقا، لأن الميتافيزيقا تعتبر لغوا ما دامت قضاياها لا تحليلية ولا تركيبية، وبالتالي فان الوضعية المنطقية توحي بوجود علاقة بين العلم والمعنى، فعدم العلم يعني عدم المعنى حتى وإن تم التفكير فيه.

3- فلسفة اللغة العادية

هو الاتجاه الثالث الذي استطاع أن يمثل مركز الاهتمام الفلسفي بعد الوضعية

[1] J. Passmore, A Hundred Years of Philosophy, Penguin Books, London, 1975, P. 367

[2] الخولي يمنى طريف ، المرجع السابق، ص 282

المنطقية، ويمكن أن نلتمس تلك الإرهاصات عند الفيلسوف جورج مور، لكن هذا الاتجاه استلهم جل أفكاره من فلسفة فيتغنشتاين.

قد شاع هذا الاتجاه في البداية في كامبردج على يد مجموعة من الفلاسفة تأثروا بشكل مباشر إلى حد ما بفيتغنشتاين ، « ويمكن أن نطلق على هؤلاء اسم "مدرسة كامبردج"على الرغم من أنهم لا يشكلون مدرسة فلسفية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، واهم شخصيات هذه المدرسة هم "جون ويزدم" المولود 1904، و"مالكوم" و"ح.ا.بول" و"ليز ويتنز"و"انسكومب" و"فايزمان"، وقد ترعرع هذا الاتجاه في أكسفورد بعد وفاة فيتغنشتاين وانتقل مركز الاهتمام من كامبردج إلى أكسفورد تحت زعامة "جلبيرت رايل" و"جون أوستين"ويمكن أن نطلق هذا على الاتجاه الذي ساد في أكسفورد بعد أن كان مركز اهتمامه في كامبريدج»[1]

يعتبر مور من أول الفلاسفة الذين لمحوا إلى البحث في اللغة العادية وذلك يرجع إلى استهدافه تحليل القضايا الفلسفية، والهدف من ذلك طبعا في نظره ليس اكتشاف حقائق جديدة أو معارف كنا نجهلها، بل المهم هو معرفتنا لما ندعي أننا نعرفه، وتعتبر اللغة العادية في نظر مور هي الوسيلة الأنسب لإدراكنا للمعارف التي اكتسبناها مدعين معرفتها لأنها لغة فطرية سليمة نتوصل إليها بالحس المشترك، هذا الأخير لا يقصد به الحواس التي نعرفها أو مطلقيته بما أنه مشترك بين الناس، بل يُقصد به المعتقدات والتصورات التي يتفق عليها الناس بالإجماع، كقولنا النعاس طريق النوم، والظمأ يحتاج للماء، وغيرها من التصورات التي يتشارك في معرفتها الجميع، عن طريق التجارب اليومية.

يمكننا القول إن أهمية هذا الاتجاه تبدو في غاية الأهمية نظرا لإسهاماته في الفلسفة التحليلية، التي ركزت بشكل كبير على اللغة، فالفيلسوف التحليلي يدرس اللغة ليس بهدف

[1] رشوان محمد مهران ، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984، ص ص 180-181

صياغة فروض علمية تتعلق باللغة، وإنما لاعتقاده أن هذه الدراسة ذات قيمة كبرى في حسم ما يعترضنا من المشكلات الفلسفية: فمهمة الفلسفة التي توحد بين الفلاسفة التحليليين هي توضيح اللغة، أو هدف الفلسفة الوصول إلى عدد من القضايا، كما أن هدفها الأساسي هو أن تجعل القضايا واضحة وذلك بأن تزيل الخلط الذي ينشأ عن سوء استخدام الإطارات التي تصاغ فيها أفكارنا ألا وهي اللغة.[1]

أما إذا تكلمنا عن أهم مصادر مدرسة أكسفورد، يمكننا حصرها كالتالي :

1- أعمال كل من "بريشارد" و "روس" وذلك لعنايتهما بالخواص اللغوية للمسائل الأخلاقية.

2- أعمال كل من"جورج مور" و "فيتغنشتاين" في أعماله المتأخرة و"جون ويزدم"و"رايل" و"برايس" لأنهم قاموا بالثورة ضد الفلسفة التقليدية في أكسفورد أواخر القرن العشرين.

3- مجموعة المناقشة الأسبوعية التي كانت تضم عددا من أساتذة أكسفورد الشبان وخاصة "أوستين" و"بيرلين".[2]

وحتى إن لم يتم تعريف دقيق للغة العادية من طرف فلاسفة أكسفورد الكبار فإن تلاميذهم حاولوا توضيح ذلك، ويكاد يجمع أغلبهم على أنها اللغة التي نستعملها في حياتنا اليومية، ويشترك فيها العالم والفلاح والشرطي والطبيب في نفس الوقت، ولا ضير من استعمال الجميع للغة واحدة فحتى وإن شارك جميع فئات المجتمع لغة الفيلسوف لا يوجد في ذلك عائق، لأن هذا الأخير إذا كان دوره إيضاح المفاهيم والتصورات للناس، يجب أن يشاركهم نفس اللغة وإلا أصبحت الهوة بينه وبينهم كبيرة بحيث يصعب الانسجام بينهم.

[1] نقلا عن مهران محمد، المرجع السابق، ص 45

[2] رشوان محمد مهران، المرجع السابق، ص 182

المبحث الثالث : المنهج التحليلي عند وايتهد

لم تكن فلسفة وايتهد تلقى من اهتمام الباحثين إلَّا قليلًا، وذلك يرجِع أولًا إلى المَوجة المُعاصرة في الفلسفة، أعني تلك الموجة التي تمقُت الميتافيزيقا مقتًا يجعلها لا تصبِر على فيلسوف مِثل وايتهد، إلَّا يكن شبيهًا بالفلاسفة المِيتافيزيقيّين القُدامى في مضمون بناياتهم الفلسفية، فهو على كلِّ حالٍ ينزع منزعهم في طريقة التناوُل، «ويرجع ثانيًا إلى العُسر الشديد الذي يُصادِفه القارئ في فَهْم فلسفته، وهو عُسرٌ مَردُّه إلى مُصطلحاته الجديدة التي أراد أن يَسوق بها فكرَه حتى لا يختلِط معناه بمعاني الألفاظ الدارجة في الحياة اليومية؛ فنَفَر الناس من دراسته بادئا ذي بَدْء نفورًا أنساهم أنه هو شريك برتراند راسل في تأليف «أُسس الرياضة»، كما أنساهم أنَّ كتاباته الميتافيزيقية الأخيرة ما هي إلَّا امتدادات وتطبيقات للمنطق الرياضي الذي اشتغل به في الشطر الأول من حياته الفكرية، لكن الأعوام الأخيرة قد شهِدت تغيُّرًا في موقف الدارسين إزاء وايتهد، فرأيْنا المؤلِّفين والمُعلقين يتَّجِهون إلى ما كانوا قد أهملوه؛ وذلك لأنهم وجَدُوا في كتاباته مناقشةً دقيقةً عميقة لكثيرٍ من المشكلات التي يهتمُّ بها فلاسفة العِلم في يومنا الراهن، فلعلَّه أن يكون من طليعة الفلاسفة الذين استخدموا المنطق الرمزي في مُعالجتهم للمشكلات المُجسَّدة التي تُصادفنا في مجرى الخبرة.»[1]

« تكشف فلسفة وايتهيد عن محاولة الجمع بين (أ) اهتمامه المنطقي الرياضي ب بالأنساق العلاقية المجردة (ب) علم الكون لا بالمعنى الفني المستخدم في فيزيقا الفلك ولكن بالمعنى الواسع الذي يعني تفسير العالم تفسيرا توحي به أفكار عامة ينطوي عليها العلم الفيزيقي (ج) اهتمامه الخلقي والديني والجمالي و كذلك ما يتعلق بالعلاقات الإنسانية داخل المجتمعات».[2]

[1] زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993، ص 163

[2] جلال كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار العلم، بيروت، دط، دت، ص 494

«يتحدث وايتهيد في أحد المواضع عن دور (الفلسفة النظرية) فيقول (إن مهمة الفلسفة النظرية تنحصر في تكوين إطار متماسك منطقي ضروري من الأفكار العامة التي تسمح لنا بأن تفسر كل عنصر من عناصر تجربتنا) ومعنى هذا أن للمعطيات العلمية أهمية كبرى في تكوين مذهبه الميتافيزيقي العام وإن كان وايتهيد يعترف بأن العلم يكون عن الأشياء نظرة جزئية ،فلابد للفلسفة من أن تحاول التعبير عن تلك الجوانب الواقعية التي قد يغفلها العلم هذا ،إلا أن إطار الفلسفة أعم وأكثر تجريدا من إطار العلم ،نظرا لأن من شأن الفلسفة أن توسع من رقعة بحثها حتى أنها لتريد أن تصور العالم الواقعي ككل ،ولكن فيلسوفنا يحاول(في موضع آخر) أن يلقي لنا بعض الأضواء على الصلات الوثيقة التي تجمع بين العالم والفيلسوف فيقول (أن من شأن العلم والفلسفة أن يتبادلا النقد ،وأن يمد كل منهما الآخر بالمواد الخصبة التي تسمح له بالتقدم وعلى حين أن المذهب الفلسفي يقوم بمهمة توضيح الحقيقة الملموسة التي يحددها العلم ،لتأتي العلوم فتتخذ مبادئها من تلك الوقائع الملموسة التي يقدمها المذهب الفلسفي ،وليس تأريخ الفكر سوى القصة التي تروي لنا مدى نجاح هذا المشروع المشترك أو فشله».[1]

لم يعرف وايتهد نسقا فلسفيا متكاملا طيلة حياته، بل قد عرف عدة محطات فكرية،كانت بدايتها تتركز حول الأبحاث الرياضية والمنطقية، وفي هذه الفترة بالذات اشترك مع راسل في تأليف كتاب "المبادئ الرياضية"، وبعد ذلك اتجهت أبحاثه إلى دراسة علم الطبيعة ومكوناتها، ليختتم ذلك بدراسة الميتافيزيقا، وقد يكون ذلك سببا في عدم شهرته إذا ما تمت مقارنته بغيره من جيل عصره.

ويرى وايتهد أن مكانة الحياة في الطبيعة ما هي الإ المشكلة الحديثة للفلسفة والعلم،وهي في الحقيقة النقطة التي تلتقي بها جميع تيارات الفكر المنتظمة الإنسانية، إن

[1] نقلا عن إبراهيم زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر للنشر والتوزيع،القاهرة, ط1، 1968، ص 172

الفلسفة كلها مسعى أو محاولة للحصول على فهم منطقي منسجم للأشياء الملاحظة[1]، و بصفة تقليدية، يعتبر وايتهد الميتافيزيقا كمجال للتحقق المنهجي للبنية الأساسية للحقيقة،فهي تسعى إذن لتبيان الفئات العامة التي تسمح بالتعبير عن الجوانب ذات الطابع الكوني العالمي.

علم الطبيعة في نظر وايتهيد هو العلم الذي يدرس الكائنات البسيطة كالذرات ونموها،بينما يدرس علم الحياة الكائنات الأكثر تركيبا وهو بهذا لا يقرب مسافة الفرق بين الكائنات العضوية وغير العضوية فحسب بل ينكر إثنينية العقل والجسم ،إذ ليس العقل في نظره سوى (نظام) خاص في مجموعة (الحوادث) التي يتألف منها الجسم، « وعن هذا النظام تصدر الظواهر العليا التي نسميها بالظواهر العقلية ولكن ليس معنى هذا أن وايتهيد ممن يعتقدون بوجود جواهر ثابتة للأشياء بل هو بالعكس يأخذ بوجهة نظر علماء الطبيعة الحديثين الذين يعتبرون الحوادث لا الجواهر الوحدات الأولية التي يتألف منها الكون أي أن الكون في نظره ونظرهم مجموعة مؤلفة من حوادث ومما بين هذه الحوادث من نسب ،وتختلف الحوادث بساطة وتعقيدا، فالمركبة منها تتألف من جمل من الحوادث التي هي أبسط منها، وهكذا حتى ينتهي التحليل إلى الحوادث الذرية فالكون على هذا الرأي مجرى يتدفق بالحوادث بلا انقطاع، وهو رأي يشبه رأي هرقليط في (التغير) ولو أن وايتهيد يفترض بالإضافة إلى هذا وجود ما يسميه بالمثل أو الأعيان الثابتة أو المقولات الكلية كما فعل أفلاطون وبذلك يحتفظ في فلسفته بفكرة الدوام التي قال بها الإيليون كما احتفظ بفكرة التغير التي قال بها هرقليط (ففي ذلك العالم الزاخر بالحوادث المتغير على الدوام شيء ما ثابت قار ،وفي ذلك القار الثابت عنصر ما يعتريه التغير».[2]

[1] Charles hartshorne et w.creightion peden, whitehead’s view of reality, combridge scholars,new castle, 2010, p14

[2] وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، تر أبو العمر عفيفي،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، (دت) ، ص 126

لقد حمل وايتهد على عاتقه إصلاح الأخطاء التي وقع فيها الرياضيون والمناطقة قبله، وبالرغم من تبنيه بعضا من أفكار فريجه، كقوله إن الرياضيات تنتج عن علاقات منطقية صورية، وهذه العلاقات هي التي توضح الصورة الاستنباطية للنتيجة الختامية، فهو يعتقد أن الطبيعة في حد ذاتها انغمست في براثين الرياضيات فانتُزِعت منها خاصيتها، وذلك لتركيز العلماء خاصة الرياضيين والمناطقة، على تفسيرا الكون تفسرا ماديا، وهذا ما يتنافى مع نواميس الطبيعة.

«وما يميز فلسفة وايتهد عن غيره مصطلح الحادثة Event و الحادثة هي الواقعة النهائية للإدراك الحسي، والحوادث هي أشد وقائع الطبيعة عينية، فهي تعد وتمتد في المكان والزمان، كما أنها تندرج في حوادث أخرى وتضم حوادث غيرها في داخلها، وهذا ما يسميه وايتهد بالتداخل في طبيعة الحوادث الواقعية، وفي هذه المرحلة اهتم وايتهد بنقد النظرية النسبية لإينشتاين، واضعا مكانها نظرية النسبية القائمة على النزعة الواقعية في الفلسفة بدلا من أن تتأسس على النزعة الإجرائية[1].»

« وهكذا أراد وايتهد أن يضع أسسا فلسفية للآراء التي أخذت الفيزياء الحديثة تنادي بها وكذلك نظرية الكم والنظرية الذرية، ولقد كان النصيب الذي ساهم به وايتهد في فهم الفيزياء الرياضية الحديثة فهما فلسفيا صحيحا وفي استغلالها في ميدان الفلسفة يفوق في قيمته واستقلاله وأصالته نصيب كل من ساهموا في الموضوع، ونمت فلسفته الطبيعية بطريقة عضوية تماما لعدم تقيدها بأي نظرة سابقة، وتشمل هذه الفترة على كتاباته التي ظهرت فيما بين 1919–1922، وأولها بحث في مبادئ المعرفة الطبيعية، الذي عرض فيه أفكاره الرئيسة بطريقة منهجية لأول مرة، ثم مفهوم الطبيعة الذي عبر فيه عن الآراء الجديدة تعبيرا فلسفيا أكمل، وأخيرا مبدأ النسبية الذي نوقشت فيه النظرية من الناحية الفيزيائية».[2]

[1] المرجع السابق، ص130

[2] كامل فؤاد ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص 55

جمع وايتهد الأفكار المنطقية والمعيارية والرياضية والنفسية وحاول دمجها في نسق واحد، ويكون هذا النسق ميتافيزيقيا، يعني يعتمد على الوصف أكثر من أي شيء آخر كالاستنباط والاستقراء مثلا.

« قُلنا إنَّ وايتهد يبحث في خِبرته عن عناصر يستعين بها على إقامة بناء ميتافيزيقي يشمل الكَون كلَّه، فما يصدُق على الخبرة المُباشرة، يصدُق أيضًا على الطبيعة بكامِل ما فيها من أحداث، وذلك هو ما انتهى به إلى نظريَّةٍ من أهمِّ جوانب فلسفته، أطلَقَ عليها كلمةً من كلماتِهِ الإصطلاحية الكثيرة، التي تشير إلى غموض المعنى على من لا يفهمها، وهي كلمة ومعناها على الدِّقةِ هو انتقال الخصائص من حادثةٍ ماضية إلى حادثةٍ حاضرة، ثم تَوريث هذه الخصائص نفسها إلى حادثة مُستقبلة، وبهذا يتكوَّن الرباط الذي يَصِل حوادث الماضي والحاضر والمُستقبَل في خطٍّ واحد يظلُّ ينمو ويزداد خصوبةً على مرِّ الزمن، لأنَّ خصائص الماضي تظلُّ تتراكَمُ بالانتقال والتوريث من حادثةٍ إلى حادثة. ولستُ أدري بماذا أُسمِّي هذا كله في كلمةٍ عربية واحدة تُقابِل الكلمة الإنجليزية، وأقترح مُؤقَّتًا كلمة «التشرُّب» فالحاضر يتشرَّب الماضي ثُمَّ يَسقِيَه للمُستقبَل فيَشرَبه وهلمَّ جرًّى؛ لهذا ترى الخطَّ السبَبِيَّ مُمتدًّا مُتصلًا في كل كائن، فهذه الشجرة وهذا النهر وأنا وأنت امتداد من حوادث ماضيها يُسبِّب حاضرها،وحاضِرها يَرسُم طريق السَّير لمُستقبَلِها».[1]

وما يحسب لوايتهد عن غيره من الفلاسفة أنه اهتم بفكرة الجوهر من الناحيتين العلمية والميتافيزيقية فقد ساد بين الفلاسفة فكرة أن "الجوهر" لكي يوجد يجب أن يكون على ما هو عليه أي يكون ثابتا ولكي يتغير فإن هذا يعني توقفه على أن يوجد أو أن يكون على ما هو عليه إذ تعتبره إشارة واضحة لصيرورته، لذا يجب علينا أن نقبل فكرة الجوهر كخاصية ميتافيزيقية للكيان الفعلي[2]

[1] زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص 170

[2] محمد كامل عويصة،الفرد نورث وايتهد، فيلسوف العلم والعلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص 93

1- المنهج التحليلي عند كارناب ونقد الميتافيزيقا

لطالما كان هدف الوضعية المعاصرة – وتسمى بالوضعية المحدثة، الوضعية التجريبية، الوضعية المنطقية– هو التخلص من الفلسفة عموما، والفكر الميتافيزيقي خاصة،إذ دعت الوضعية الكلاسيكية إلى استخدام طرق وأساليب العلوم الطبيعية في رفضها للميتافيزيقا، في حين استخدمت الوضعية المعاصرة " تحليل اللغة " و الوضعية في جميع أشكالها ترفض الفلسفة وإدعاءاتها بمعرفة حقيقة الأشياء وكشف أسرار النفس البشرية .... لا تعترف بغير الواقع، أي إخضاع الأشياء للمشاهدة والتجربة.

«بدأ كار ناب في رسالة قصيرة له ظهرت في نفس السنة التي ظهر فيها كتاب (التركيب) عام 1928، وكان متأثرا فيها إلى حد كبير بفيتغنشتاين بدأ ينتقل من حياة الشك تجاه الميتافيزيقا إلى موقف مضاد جذريا ولقد كان عنوان هذه الرسالة هي (المشكلات الذائعة في الفلسفة عقول الآخرين ومشكلة الفلسفة الواقعية) وكان يرى أن المشكلات الميتافيزيقية بصفة عامة، ومشكلة الفلسفة الواقعية والفلسفة المثالية بصفة خاصة ينبغي وصفها بأنها أشباه مشكلات أو أنها مشكلات زائفة، وسرعان ما أصبحت هذه النظرة سائدة بين أعضاء جماعة فيينا، فقد امتنع كارناب، وحتى موريس شيليك بأن يتخلى عن واقعيته.[1]»

ولعل أبرز طابع يميّز العمل الذي أداه «كارناب» في مجال التحليل هو اشتغاله بالسميوطيقا — أو علم الرموز — فقد أنفق في ميدانه شطرًا كبيرًا من جهده، ووضع فيه المؤلَّفات الفنية، التي تحتاج دراستها إلى تخصُّص وانقطاع، إذ لم يَعُد أمر «الفلسفة» — باعتبارها تحليلًا من هذا الطراز الرمزي المُعقَّد الدقيق — صفحات تقرؤها وأنت مسترخٍ على كرسيك، تأخذ منها ما تشاء وتدع ما تشاء.

[1] زكريا إبراهيم ، المرجع السابق، ص 291

والسميوطيقا — أو علم الرموز — تنقسم ثلاثة أقسام، هي:

1 التداولية (البراجماطيقا)، وهي تبحث في المتكلم نفسه باعتباره أداة الكلام.

2 الدلالة (السمانطيقا)، وهي البحث في مدلولات الألفاظ.

3 التركيب (السنتاطيقا)، وهي البحث في العبارات اللفظية نفسها من حيث تركيبها وتكوينها، بغضِّ النظر عن المتكلم وبغضِّ النظر أيضًا عمَّا تشير إليه الألفاظ من مدلولات.[1]

ورد كارناب على هذا الاعتراض، أن الميتافيزيقا لا تنطوي على نظريات كما أنها لا تشتمل على قضايا علمية، ولكنها مع ذلك تعبر عن شيء ما، وما هذا الشيء الذي تعبر عنه سوى الشعور بالحياة، « فالميتافيزيقا أقرب ما تكون إلى الشعر والأساطير وإن كان الفارق بين الميتافيزيقي والشاعر أن الأول منهما لا يريد أن يعترف بأن أقواله وليدة الانفعال والعاطفة في حين أن الثاني منهما يسلم بأن شعره أداة فنية يعبر بواسطتها عن شعوره بالحياة والفيلسوف الميتافيزيقي فيما يقول كارناب هو فريسة لوهم بالغ، لأنه يصوغ عباراته في قالب منطقي محاولا أن يقيمها على أسس برهانية كثيرا ما يتوهم أن أداته هي العقل أو التفكير لا الخيال أو العاطفة بينما الواقع أن تأملاته كلها لا تخرج عن كونها أحلام شاعر ضل سبيله».[2]

وهذا الوهم الذي سيطر على عقول الكثيرين توقف عند فلسفة نيتشه الذي يصوغ فلسفته على صورة أشعار أودعها كتابه (هكذا قال زرادشت) وبذلك اعترف ضمنا بأن الفلسفة تعبير عن الشعور بالحياة والحق أن الموسيقى أقدر من الفلسفة على التعبير عن الشعور، لأن لديها من جهة وسائط أنقى، ولأنها من جهة أخرى متحررة تماما من كل ما هو

[1] زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993، ص 204

[2] زكريا إبراهيم ، المرجع السابق، ص 292

موضوعي، « فهذا الشعور التوافقي بالحياة الذي يريد الميتافيزيقي أن يترجم عنه بمذهبه الأحادي يتجلى بصورة، أوضح في موسيقى موتسارت وهذا الشعور البطولي، بالصراع أو الجهاد الذي يعبر عنه الميتافيزيقي بمذهبه الثنائي إنما يدلنا على أن الموهبة الموسيقية معدومة لدى الفيلسوف فهو لا يملك عبقرية بتهوفن مثلا حتى يستطيع أن يتحرك في الوسط الملائم له ومعنى هذا أن الميتافيزيقي ليسوا إلا موسيقيين قد عدموا كل موهبة موسيقية فهم يحاولون التعويض عن هذا النقص بما لديهم من ميل شديد نحو العمل في مجال النظريات والاتجاه نحو التأليف بين الأفكار والمفاهيم بينما يعبر الموسيقار بانسجام شعوره بالحياة».[1]

«هنا يقول «كارناب»: إن قواعد المنطق صادقة بمعنى أننا اتفقنا عليها حين اتفقنا على رموز اللغة وطريقة استخدامها، فقواعد المنطق مختارة مِنَّا اتفاقًا، وصدقها اتفاقي، كأن يتفق اثنان — مثلًا — على أن يتفاهما برمز معين مثل هذا الرمز «—» على أنه يعني عدم وجود الشيء الذي يجيء هذا الرمز سابقًا لاسمه، فإن قال أحدهما «— س» فهم الآخر أن س غير موجود، فإذا وجدا بعد ذلك أن الرمز «—» يدل دائمًا على معنًى معين،لَما جاز لهما أن يَعْجَبا؛ لأن دوام معناه ودوام صدقه هو نتيجة اتفاقهما، وقد كان في مستطاعهما أن يتفقا على خلاف ذلك، كأن يتفقا — مثلًا — على أن الرمز نفسه دال على وجود الشيء الذي يجيء الرمز سابقًا لاسمه، فقولنا عن العبارتَين الآتيتَين: «نابليون وُلِدَ في كورسكا» و«نابليون لم يُولَد في كورسكا» إنهما جملتان متناقضتان، أي إن الواحدة منهما تنفي الأخرى منطقيًّا، معناه أننا اصطلحنا بحكم القواعد التي تواضعنا عليها في اللغة واستعمالها، على أن كلمة النفي «لم» إذا وُجِدَت في جملة، كان معناها أن الجملة تصبح متناقضة مع نفس الجملة إذا خَلَتْ منها، بحيث يستحيل صدقهما معًا أو كذبهما معًا».[2]

تتجلى نزعة كارناب التجريبية بوضوح في منهجه العلمي، فهو لا يكاد يشك في خلو

[1] المرجع نفسه، ص 293

[2] Carnap, R, Introduction to Semantics, Harvard, Cambridge, MA, 1942, P 28

الأفكار الميتافيزيقية من المعاني، وهذا عكس وايتهد،هذا الأخير الذي بالرغم من بحوثه الرياضية والمنطقية فإنه صوب في مراحله الأخيرة من أفكاره، ليصبح معتدلا في تحليله للقضايا الميتافيزيقية، ميز كارناب العبارات إلى أصناف متعددة ومتمايزة في الوقت نفسه، إذ هناك عبارات شيئية تتمثل في الأشياء، كما نجد عبارات شبه شيئية تشبه العبارات الأولى لكنها ليست منها في شيء، أما النوع الثالث فهي عبارات بنائية تستند إلى القواعد التي تحكم الألفاظ والعبارات المستخدمة، وهذا التمييز الذي قدمه كارناب يؤكد ضرورة وإمكان استحداث لغة ثانية غير اللغة التي نعرفها، وهذه اللغة المستحدثة يمكنها أن تحدد صدق وتطابق اللغة العادية من خلال التحليل المنطقي الذي يستند إلى روح علمية.

«تعتبر المشكلات الكبرى التي شغلت الميتافيزيقا نفسها بها منذ القدم مجرد أوهام،فهي في زعم كارناب ليست مشكلات علمية على الإطلاق لأن المشكلة تقوم حين تصاغ قضية وينظر هل هي صحيحة أو باطلة، أما إذا كانت القضية بغير معنى، فإن المشكلة التي تعبر عنها هي مشكلة وهمية زائفة»[1] وكأنها بلغة المنطق مصادرة عن المطلوب، فإذا اعتقدنا أن القضية (ج) قضية صادقة، وأردنا أن نبرهن على صدق قضية أخرى وهي (د) ، وطُلب منا أن نبرهن على صحة (د) من خلال (ج) ، فان النتيجة حتما ستكون صادقة بصدق القضية (ج) لكن إذا كانت (ج) في الأساس لا ترقى لما يؤهلها حتى لإثبات صدقها فمن المستحيل أن نبرهن على صحة (د) وهذا ما يثبته كارناب من خلال تحليليه المنطقي، وليس هو فقط من يؤمن بذلك، بل جل أنصار الوضعية المنطقية.

لقد جاءت محاولة كارناب في البناء المنطقي للغة العلم، على أساس أن العلم يتعامل فقط مع وصف الخصائص البنائية للأشياء في الزمان والمكان والعلاقات التي تربط بعضها ببعض، ووضع كارناب قواعد هذه اللغة على نوعين؛ « هما قواعد تشكيل وصياغة الجمل والتعبيرات الفيزيائية ثم قواعد استنباط جملة من أخرى، وهي قواعد يمكن تعديلها فور

[1] عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، ج2، 1984، ص 251

أن يتضح لنا ما هو أفضل.[1]»

أما الأسس التجريبية التي ترتكز عليها لغة العلم فهي ما يسمى بجمل البروتوكول،ويعرفها كارناب «بأنها الجمل التي تشير مباشرة إلى خبرات حسية متاحة، جمل البروتوكول هي المحك الذي نبدأ منه قياس واختبار بقية جمل اللغة العلمية، بغير أن تكون هي ذاتها، بحاجة إلى قياس أو اختبار أو تبرير، وهي جمل أساسية غير قابلة للتعديل،على هذه الأسس تكون لغة العلم المنطقية التي شيدها كارناب برفقة أوطو نويراث O. Neurath 1882–1945 قادرة على حصر التعبيرات داخل حدود العالم التجريبي، وتنغلق دون متاهات الميتافيزيقا التي لا تقبل بحال الصياغة في حدود هذه اللغة، وكل ما هو ذو معنى يمكن التعبير عنه في حدودها، خصوصًا علم النفس على قدر ما هو علم، هكذا ترتد العلوم جميعها إلى الفيزياء داخل إطار هذه اللغة، وأي مجال فرعي للعلم يمكن ترجمة عباراته — بصورة مكافئة تمامًا لصورتها الأصلية — إلى لغة العلم. ونخلص إلى أن العلم نسق واحدي تكاملي مركزي، لا نجد داخله مجالات لمواضيع ذات تباين جوهري، وتبعًا لهذا لا نجد هوة بين العلوم الطبيعية والعلوم السلوكية مثلاً»[2]

وهذا من أهم ركائز الوضعية المنطقية، بهذا تصبح الفيزياء هي العلم المتحكم في بقية العلوم الأخرى، وهذا ما صرح به كارناب نفسه حين اعتبر أن إلغاء الميتافيزيقا واستبعاده يحتاج إلى لغة منطقية واقعية على أسس رياضية متمثلة في علم الفيزياء.

اتفق الوضعيون المنطقيون جميعًا على مشروع العلم الموحد، الذي يبرز مدى تطرفهم في الافتتان بالفيزياء بنفس درجة تطرفهم في الغضب الذي لا يبقي ولا يذر على الميتافيزيقا،لكن الدائرة انقسمت على نفسها انقسامًا حادًّا بين فريقين، أحدهما فريق التحقق السيمانطيقي وعلى رأسه شليك وفيزمان، وقد حصر نفسه في الخبرة التجريبية. والثاني هو

[1] R. Carnap, The Logical Syntax of Language, Routledge & Kegan Paul, London, 1951, P. 318.
[2] Ibid, P 375

فريق التركيب اللغوي السينتاطيقي، الذي على رأسه كارناب ونويراث، وقد حصر نفسه في العبارات والأنساق اللغوية. هذا في حين أن الوضعية المنطقية قامت أصلًا للربط بين هذين الجانبين: الخبرة التجريبية والتعبيرات اللغوية؛ لتنحصر الثانية في حدود الأولى كوسيلة لاستبعاد الميتافيزيقا وتمييز المعرفة العلمية، استمرارًا لمهمة فلسفة العلم منذ أن نشأت في القرن الأسبق من أجل تبرير وتمييز العلم.[1]

سبق وتحدثنا عن الأهمية التي عرفها التحليل كمنهج يغزو القرن العشرين ليتربع على الساحة العلمية بفروعها المختلفة، ولم يكتف بعض الفلاسفة والعلماء من ذلك التقدم العلمي الذي حصل نتيجة لتطبيق المنهج التحليلي المنطقي على العلوم، بل حاولوا أن يتجاوزوا ذلك إلى ما هو أبعد من تطبيق المنهج التحليلي، وفي اعتقادهم كان ذلك لإزاحة الفلسفة التي بقيت ترثي حالها، لكن في حقيقة الأمر ما حصل لم يكن في حسبان هؤلاء، وعلى رأسهم أنصار الوضعية المنطقية الذين بدورهم انقسمت أفكارهم وتضاربت في بعض الأحيان، لأن النتيجة كانت عزل الإنسان عن إنسانيته لصالح المادة، فالمنهج التحليلي يرد كل الحقائق إليه دون أن يتكامل مع غيره من المناهج، حتى صار فلاسفة القرن العشرين مطالبين بالدقة والوضوح للتعبير عن أفكارهم أكثر من حرصهم على طرح المواضيع.

«إن الوضعيين المناطقة و على رأسهم كارناب يعتقدون أن الميتافيزيقا ذات منهج تأملي استنباطي قبلي على عكس الاستقراء، أما التفسير حسب وايتهد ما هو إلا توسيع للتفسير العلمي من حيث المبدأ وتطوير وامتداد للمنهج العلمي ويمكن القول إن العلم يختص بأحد مجالات الميتافيزيقا المختلفة وتهدف إلى وضع مفاهيمي شامل تصبح على ضوئه التجربة ككل مفهومة ومنتظمة، لهذا السبب يقول وايتهد إن الميتافيزيقا تتناول بالبحث سمات العالم الأكثر عمومية وشمولا[2]».

[1] نقلا عن الخولي يمنى طريف، المرجع السابق، ص 291

[2] المرجع نفسه، ص 292

إن الاختلاف بين المنهج العلمي و المنهج الميتافيزيقي حسب كل من كارناب ووايتهد لا ينشأ بسبب اختلاف في المجال، لأن التحديد الذاتي التي تتصف به العلوم الجزئية هو الذي يسمح بوجود مسلمات أولية تسند إليها هذه العلوم ومثل هذا التحديد غير وارد في مجال الميتافيزيقا، لذلك لو تم تبني اللغة الفيزيائية التي أرادها كارناب على أساس شموليتها،كلغة نسقية للعلم، لتحولت كافة العلوم إلى علم الفيزياء ولتم استبعاد الميتافيزيقا بوصفها خالية من المعنى.[1]

يركز اتجاه وايتهد على ان الميتافيزيقا لا تهتم بالمشكلات الرئيسة للعلم، ولكن المشكلات الرئيسة للعلم هي التي وجهته إلى الفلسفة بغية إيجاد حلول مناسبة لها، على عكس كارناب الذي كان اهتمامه منصب على اللغة العلمية أكثر من العلم ذاته، كما كان ذلك على حساب الميتافيزيقا أو القضايا الخالية من المعنى كما يعتقده كارناب.

دخل وايتهد محراب الفلسفة حينما أعلن أن المشكلة النهائية تتعلق بإدراك الواقعة الكاملة، وحينما وجد نفسه داخل هذا المحراب وجد أن عليه أن يتلمس أصول الفكر الفلسفي وتطوره بادئا من اليونان متنقلا إلى فلسفة العصور الوسطى والفلسفة الحديثة، لكنه طيلة هذه الفترة الإعدادية لطالما اعتبر وايتهد الميتافيزيقا قسما من أقسام الفلسفة وفرعا من فروعها،لذا نجده يقول " إنني أعني بالميتافيزيقا، العلم الذي يبحث عن اكتشاف الأفكار العامة، المناسبة أساسا والتي لا غنى عنها بالنسبة إلى تحليل كل شيء يحدث[2] ".

لقد شرع كارناب في بيان المهمة الأولى التي لا تزال الفلسفة تضطلع بها، مؤكدا أن هذه المهمة ليست بالتأكيد الميتافيزيقا، ولا العلوم الطبيعية ولا المنطق الرياضي وإنما مهمة الفلسفة هي تحليل مختصر على نمط الذرية المنطقية، والمعتقد الآخر الذي يوضحه كارناب

[1] نقلا عن حسين علي،الأسس الميتافيزيقية للعلم، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة,(دط) ،2003، ص 109

[2] نقلا عن ايفور ليكيرك، ميتافيزيقا وايتهد، تر علي عبد المعطي محمد، ملتقى الفكر للنشر، الإسكندرية,(دط) , 1999، ص 46

في نقده للميتافيزيقا هو وحدة العلم لأن جميع العلوم التجريبية في نظره تشترك في مفردات موحدة على عكس اللغة الميتافيزيقية.[1]

[1] كارناب رودولف، مدخل إلى فلسفة العلوم، تر السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، (دط) ، 2003 ، ص 13

المبحث الرابع: الفلسفة التحليلية عند راسل وفيتغنشتاين

ليس من السهل على فيلسوف أن ينطلق من قاعدة مثالية ليصبح أحد ألد الأعداء للمثالية، نعم هذا ما حصل مع راسل، وقد كان للمنهج التحليلي دور بارز في تحول راسل من المثالية إلى النزعة التحليلية الواقعية، وهذا بالتأكيد لم يكن صدفة عابرة، فقد كانت لديه خلفيته التي استطاعت أن تعيده إلى الصورة الحقيقية للفيلسوف الانجليزي ذي النزعة التجريبية، عن تلك الخلفية المتمثلة في ابحث فريجه وكانتور، ومقالة مور ضد المثالية.

«وإذا ما تساءلنا عن فحوى التحليل عند راسل فهو باختصار يعتمد على رد المركب إلى عناصره الأولى والبسيطة، التي نكون على معرفة مباشرة بها، أما المركبات التي نجهلها فقد وجب دحضها وحذفها وإعادة النظر فيها، أي العودة إلى صياغة التعبيرات اللغوية التي تشير مباشرة إلى مركبات رمزية، واستعاضتها بتعبيرات لغوية علمية تكون دقيقة»[1].

يعتقد راسل أن التحليل هو نوع من التعريف، هذا التعريف مرتبط بوقائع ذرية، فالعلم متكون من ذرات منفصلة حسب تعبيره، وهذه الذرات مختلفة عن ذرات الفيزياء، فهو يقصد بذلك تفكيك اللغة إلى مكوناتها، إذ يجب أن نقف على الوحدات المنطقية.

1- أدوات التحليل عند راسل

«يعود الفضل إلى وايتهد في لفت انتباه راسل إلى أهمية نصل اوكام، إذ رأى وايتهد أن النقاط والجسيمات تندرج ضمن الأحداث، وفي مقدورنا حذفها بواسطة نصل اوكام، لأنه يزيل الشوائب اللغوية، فإذا افترضنا أن (1.2.3) كائنات، وأردنا أن نرد (1) إلى (2.3) فإننا بهذا نزيل (1) ونكتفي بـ (2.3) ليصبح لدينا كائنان لا ثلاثة[2]»، هذا ما عرف باقتصاد

[1] غيوة فريدة، اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، شركة دار الهدى، الجزائر، دط، 2002، ص ص 124-125

[2] المرجع نفسه، ص 128

الفكر الذي بفضله استطاع راسل رد الأشياء المادية إلى ذرات منطقية.

إن غرض راسل من هذا الاقتصاد الفكري هو التقليل من عدد الكائنات في العالم وضبطها منطقيا، والتقليل من المفردات اللغوية، حتى نقلل من الوقوع في الأخطاء اللغوية،فالكائنات المستدل عليها نحن في غنى عنها، فالتحليل يقع على المركب غير المستدل عليه، أما ما تم استدلاله فهو غير قابل للتحليل المنطقي، ما يستثنى من الاستدلالات التي نعرفها هو ما يتطابق مع بنية التحليل المنطقي، وما يتنافى مع ذلك يعتبر ركاكة لغوية تحول بيننا وبين غلة العلم.

«لكن الغريب في الأمر عندما نتكلم عن نصل اوكام نجد أن هناك تضاربا في الأقوال حول صحة هذا النصل الاوكامي، إذ نجد بعض الباحثين ينفي تطابق المعنى الأصلي لهذا النصل مع ما تم تداوله من فلاسفة التحليل وغيرهم، فنصل المسميات كما هو اسمه الأصلي عُرف في القرون الوسطى واستخدم لغايات ميتافيزيقية دينية، وهذا لا يعني أنه يتنافى مع ما يريده راسل أو غيره، لكن تأويل معناه الحقيقي لا يزال قائما إلى يومنا هذا[1].»

وإذا سلمنا بصحة نصل اوكام الذي يقلل من الكائنات ويضبطها، «فما هي الأسس التي قدمها راسل لهذا الاستغناء ؟ فالاستغناء يستحيل أن يكون عشوائيا، لابد أن يرتكز على أسس منطقية، وهذا ما لم نجده في مؤلفات راسل، وحتى هو لم يقدم جوابا لذلك، لأنه يجعل من الصدفة منهجا لذلك، ولكنه قد أجاب ضمنيا بأن وصولنا إلى اللامعرفات يكون كفيلا باستغنائنا عن الكائنات المستدل عليها وليست جميعا قابلة للحذف وإنما ما يتنافى مع الواقعة الذرية في الواقع هي التي تحذف[2].»

---

[1] المرجع السابق، ص 126

[2] المرجع نفسه، ص 129

1-1- البناء المنطقي

يعد هذا المبدأ من أهم أدوات التحليل الذي اعتمد عليه راسل في تحليله للكثير من المشكلات التقليدية، خاصة في مجال الفيزياء، إذ يعتبر البناء المنطقي عنده التخلص من كيانات مستدل عليها، أي غير واضحة لتحل محلها بناءات منطقية من كيانات تجريبية تكون على معرفة مباشرة من قبيل المعطيات الحسية.[1]

معنى هذا أن البناءات المنطقية في فلسفة راسل هي التخلي عن الكائنات غير التجريبية، هذه الأخيرة لا نكون على معرفة مباشرة بها، وذلك عن طريق معطيات الحس،الهدف من ذلك كله هو الإبقاء على ما هو يقيني ودقيق، والتخلي عما هو موضع للشك، لكن ما نتخلى عنه لن يُترك مكانه شاغرا بل يعوض بكائنات مستدل عليها منطقيا.

يمكننا القول بأن راسل كان تحليليا بامتياز حين فكر بمبدأ البناء المنطقي، وهذا ليس بالجديد عنده، لكن ما يفتح باب التساؤل هو تأليفنا لكيانات مكان أخرى وكأنه بذلك يضيف أو يبتكر أشياء جديدة، وهذا أمر مقبول إلى حد ما، إلا أنه يتعارض ضمنيا مع مهمة الفلسفة التي نادى بها ألا وهي التحليل والتحديد وليس التحليل والتركيب.

1-2- اللغة المثالية

لطالما اعتبر راسل اللغة نقطة مركزية في بناء منهجه التحليلي، وهذا بمعية المنطق الذي يوجهها حتى صارت اللغة عنده مرادفة للرموز الرياضية والمنطقية، « من هنا فكر راسل في استحداث لغة اصطناعية، وقد عرفت هذه الأخيرة بجملة من التسميات منها اللغة المثالية، واللغة الكاملة منطقيا، والهدف من ذلك هو سد الثغرات والنقائص التي عجزت عنها اللغة العادية، وفي هذا الصدد يمكننا القول إن راسل يتفق مع ما كان يسعى إليه لايبتنس

[1] نقلا عن الخولي يمنى طريف ، المرجع السابق، ص 271

حين ألح على مدى أهمية لغة عالمية قائمة على أساس المنطق[1].»

1-3- تحليل المنطق الرياضي

« يعتبر علم المنطق الرياضي من أبرز العلوم في فلسفة راسل التحليلية إذ نجده يقول "ولتوضيح المنطق نرى له جانبين، يقوم كلاهما على التحليل،أحدهما جانب فلسفي والآخر رياضي، ونستطيع أن نصل إلى الجانب الأول، إما عن طريق تحليل التجربة، وإما عن طريق تحليل اللغة، أما الجانب الرياضي فنصل إليه عن طريق تحليل المفاهيم والتصورات الرياضية وتحويلها إلى مفاهيم منطقية.[2]»

من خلال هذا الاعتقاد يؤكد راسل أن المنطق هو الكفيل والقادر على بناء المعرفة بناءا يقينيا، فعن طريق المنطق الرياضي يمكننا التمييز بين الصواب والخطأ، وقد اشترك في ذلك مع فريجه في الفكرة القائلة إن الرياضيات تستمد صدق قضاياها من المنطق، لكن هذا التلاقي بينهما لم يلبث طويلا حتى اكتشف راسل ما فيه من تناقضات ومفارقات فندها لاحقا.

ومن ناحية علمية فإن برتراند راسل يوضح مدى علاقة الرياضيات بالمنطق، «بمعنى أن تحليل المنطق الرياضي يعد وسيلة لكشف وإدراك جميع الثوابت المنطقية، وفي هذا الصدد يقول" من الواضح أن علاقة الرياضيات بالمنطق وثيقة جدا، فكون الثوابت الرياضية جميعا ثوابت منطقية، وأن المقدمات الرياضية كلها تختص بتلك الثوابت، وأما الثوابت المنطقية نفسها، فطريقة تعريفها لا تكون إلا بمجرد ذكرها، ومع ذلك فمن الوجهة العلمية يتخذ تحليل المنطق الرياضي وسيلة للكشف عن الثوابت المنطقية»[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 272

[2] راسل برتراند ، بحوث غير مألوفة، تر سمير عبده، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، دط، 2009، ص 6

[3] راسل برتراند ، أصول الرياضيات، تر محمد مرسي احمد واحمد فؤاد الاهواني، ج1، دار المعارف، مصر، دط، دت،ص 37

كان حلم لايبتنس هو وجود لغة كونية، تحل بواسطتها جل المشكلات الفلسفية، وقد ذكر ذلك راسل في كتاباته، ولمح إلى المنطق الرمزي، لكنه لم يكن متيقنا من صحة ما لمح إليه لايبتنس تماما، لأنه حينها اعتقد أن المنطق يساعدنا على الاستدلال فقط لا على بلورة المفاهيم اللغوية، لكن بعد اطلاعه على أعمال فريجه وبيانو استدرك الأمر مباشرة من خلال تقديمه لمفاهيم رياضية مستخدما أقل ما يمكنه من الثوابت المنطقية.

ومثال ذلك انه إذا كان k و m يرمزان إلى عبارات تكون هذه العبارات كالتالي: الربط (m و k) ،التضمين (إذا كان k يكون m) ،النفي (ليس k) ،الوصل (k و m) ،فقد كانت الروابط المنطقية من متغيرات وثوابت كلها قابلة للتمثيل العددي أو ما يعرف بالأعداد الطبيعية.

لقد اتبع راسل منطق فريجه الرياضي في بداياته الأولى، حيث" كان يستولد الرياضيات من قضايا ومفاهيم منطقية صرفة، حتى أنه كان يمضي أبعد من فريجه الذي كان يحصر استنتاجاته في حالة العدد الأصلي، وكان يدفع التحليل حتى المفاهيم الهندسية الآلية"[1]

ومن هذا المنطلق يرى راسل أن المنطق الجديد له مهمة في تحليل المبادئ الرياضية، بمعنى أنه يلعب دور الوسيلة، في تحليل القضايا والمفاهيم الرياضية، وهذا ما نجده يتجلى بوضوح في نظرية الأوصاف التي سوف نتكلم عليها بالتفصيل.

وفي سياق حديثنا عن المنطق الرياضي لراسل، لا يمكننا أن نتغاضى عن جهود المناطقة والرياضيين الذي سبقوه، وحتى راسل لا ينكر ذلك في كتاباته، فهو قد طبق المنهج التحليلي على الرياضيات، بغرض إرجاعه إلى العناصر الأولية، وهذا ما توصل إليه أستاذه بيانو الذي أرجع جل العلوم الرياضية إلى الكم المنفصل، وميز في الكم المنفصل ثلاثة

[1]B.Russell, the philosophy of logical atomism, in logic and knolege, London, 1950, p 16

مبادئ وهي ما نعرفها بالصفر، والعدد والفئة، إلا أنه في هذه الفكرة، يختلف راسل عن أستاذه، حين يعتبر أن العدد ليس مستقلا بنفسه بل هو ضمن مجموعة الفئة، والفئة كما هي مبدأ من أهم مبادئ المنطق.

2- هدف التحليل عند راسل

الهدف من منهج التحليل هو الكشف عن صدق أو كذب قضية ما أو عبارة ما، عن طريق العلاقة التي تربط بين تلك القضية والشيء الواقعي فمثلا عند تحليل اللغة إلى عناصرها الأولى، يمكننا معرفة مكوناتها الأولى، حتى نصل إلى أبسط وحداتها وهي التي تشمل قضية توحي إلى حادثة أو واقعة من وقائع العالم.

أما ما يتعلق بالتحليل وأهميته في الفلسفة فإن راسل كان صريحا في ادعائه خلو الفلسفة من طابعها المعرفي إذا لم تسلم منطقيا بالقضايا المنطقية، فقد كانت فلسفته الذرية مختصرا لتطبيق المنهج التحليل على الفلسفة، وكأننا نريد أن نقول الفلسفة الذرية عنده، هي نموذج مصغر، لما يريده أن تكون عليه الفلسفة ككل متكامل في سياق رياضي منطقي.

«التبسيط: إن الدارس لتاريخ الفكر الفلسفي قد يقف عاجزا أمام أفكار بعض الفلاسفة، خاصة حينما يتعلق الأمر بمسائل الوجود والماهية وأصلِ الكون، بل وهناك من لا ندرك جزءا من أفكاره إلا إذا تعمقنا في جميعها، وهذه الميزة المعقد كانت حسب راسل ترجع إلى أصل اللغة، لهذا يرى أن المنهج التحليلي كفيل بتبسيط الأفكار من خلال تفكيك عناصرها المركبة، حتى نكون على معرفة مباشرة بها[1].»

« التقليل من عدد الكائنات في العالم: وهذا ما يتضمنه المبدأ الاوكامي، فالتقليل من المفردات اللغوية يقلل من وقوعنا في الأخطاء، فاختزال عدد مفرداتنا اللغوية لا يعني ترك

[1] الخولي يمنى طريف، المرجع السابق، ص 272

مكانها خاليا، وإنما التخلي عما هو موجود بالفعل نتيجة للتكرار والحشو الزائد[1].»

وقد لخص راسل هدف التحليل في حصولنا على معارف وأفكار جديدة دون أن نفقد ما تمت معرفته سابقا، فهو قد "اصطنع التحليل كأداة منهجية لم يقتصر في تطبيقه على ما يتعلق ببناء الأشياء الطبيعية، بل وطبقه على عالم المدركات العقلية، واعتبره أهم أحكامه فيما يتعلق بمناهج البحث الفلسفي.[2]

منهج التحليل عند راسل لا يوصف بأنه توضيح وفك الغموض واللبس عن المشكلات الفلسفية فحسب بل يوصف أيضا بأنه منهج يمدنا بمعرفة جديدة وحقائق أكثر عن المواضيع التي نحللها ونفسرها، دون أن نستغني عن جميع معارفنا السابقة، فهو يعتبر قاعدة منهجية تزيد من معرفتنا بالعالم وبالمشكلات الفلسفية التي تواجهنا، ويبدو أن راسل مقتنع تماما، أنه لا يوجد منهج يضاهي منهج التحليل، إذا ما أردنا التقدم بالعلوم والمُضي نحو تحقيق الأفضل.

3- العقل والمادة

تعد مشكلة العقل والمادة من بين المشكلات الميتافيزيقية القديمة، ولطالما لفتت انتباه الكثير من العلماء والفلاسفة ومن بينهم راسل ومعالجته لهذه المسالة كانت وفق المنهج التحليلي، « فقد أعجب راسل في وقت ما بالأحادية المحايدة التي تحدث عنها جيمس، لكنه لم يسلم بها مطلقا، فالجواهر التي يتألف منها العالم لا يمكننا القول عنها أنها عقلية ومثالية بحتة، ولا يمكن أن نردها إلى المادة وحدها، بل ما يتألف منه العالم هو الأشياء الأحادية،التي تنتج عن تداخل بين ما هو مادي وما هو عقلي، وبعد مدة وتردد اقتنع راسل

[1] المرجع السابق، ص 274

[2] مهران محمد، فلسفة برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، دط، 1976، ص 31

بما قاله جيمس، لأنه في رأيه الحل الأقرب للصواب من الناحية المنطقية[1].»

فإذا كان العقل يتألف من وحدات أو مقولات، وأن الإنسان يستطيع التعبير عنها بواسطة اللغة والكلام، « يكون المنهج التحليلي قادرا على أن يكتشف صحة ودقة هاته الوحدات، التي يتكون منها العقل، هذا الأخير لديه خاصيتان، كل خاصية تؤدي إلى تعريف العقل، أما الخاصية الأولى وهي الفيزيقية، فكونه متصلا بالجسم لذلك فإنه مجموعة من الإحداث الذهنية، و أما الخاصية الثانية فهو يعتبر الإحساسات والصور الذهنية التي تشكل العقل تكون منسجمة على شكل بنية واحدة[2].»

يشير راسل في كتابه "تحليل العقل" إلى معرفة حقيقة المادة التي نتحدث عنها" إنني أعتقد أن مادة حياتنا الذهنية باعتبارها معاكسة لعلاقاتها وبنيتها، تتألف كليا من الأحاسيس والصور، الأحاسيس ترتبط بالمادة، أي كل منها عضو في منظومة هي شيء مادي معين،أما الصور باعتبارها معاكسة للأحاسيس، تحدد فقط من خلا سببيتها المختلفة، أي سببها الترابطي مع إحساس ما، وليس باعثا خارجيا يحرض الدماغ"[3]

يوضح راسل أن معرفة وتحليل المادة يتعلق أساسا بالأحاسيس والصور، وبذلك يعتقد أن الأحاسيس التي نحس ونشعر بها بوجه عام، هي تلك التي تكون فيها الأحاسيس متماثلة تماما، وعليه فإن أشد الأحاسيس تميزا لها علاقة مع الأشياء التي يمكن للآخرين أن يشاهدوها أو يلاحظوها.

وهذا ما يؤكد أنه لا يوجد شيء اسمه المادة ولا شيء اسمه العقل، بل الموجود هو المعطيات الحسية، هذه الأخيرة التي تعني الأشياء والموضوعات التي ندركها بطريقة مباشرة

---

[1] المرجع نفسه، ص 32

[2] المرجع نفسه، ص 33

[3] راسل برتراند ، تحليل العقل، تر عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2016، ص 108

في الإحساس كاللون مثلا، وما نقصده هنا بالإحساس، فهو تجربة الوعي المباشر بتلك الأشياء أو الموضوعات، مثلا حينما نرى لونا يكون لدينا إحساس بذلك اللون، يمكننا أن نعبر عنه بالمعطى الحسي وليس بالإحساس.

وعلى هذا الأساس فراسل يعتقد أنه " ليس لنا سبيل إلى الشك في الحقائق الحسية التي جعلتنا ندرك أن هناك منضدة، ونحن حين ننظر إلى المنضدة لا يساورنا الشك فيما نراه من لون وشكل معينين يظهران لنا كما هو الحال، ونحن نضغط عليها فيما نجربه من إحساس معين بالصلابة على أننا لا نتناول هذه الأمور بالبحث والتساؤل، ولا نشك بكل هذا من الناحية النفسية، مهما يكن فإن الشك يبدو أكيدا تماما، فلا يجوز لنا أن نشك في بعض هذه الإدراكات على الأقل التي تبدو مستيقنة لا يجوز الشك بواقعه[1] ".

4- العالم الخارجي

يحلل راسل العالم المحسوس إلى عناصر أولية، هي عبارة عن ذرات، هذه الأخيرة تثبت وجود العناصر الأولى التي يتألف منها العالم المحسوس، ومنطقية لأنها تؤكد أن هذه العناصر يتركب منها الكون على نظام منطقي مثلها مثل الذرات، فالذرات ليست هي الأصل في بناء الأشياء وإنما هي الوجه الظاهر للمكونات التي نجهلها داخل الذرة، نفس الشيء ينطبق على ذرية راسل الفلسفية، وهو يحلل الوقائع إلى جزيئات بسيطة، وتلك الجزيئات بنظامها الداخلي المتماسك تعطينا الصور الكامنة لديها.

« وحسب ما يذكره راسل فإن وصولنا للذرات هو ذروة التحليل، ويقدم راسل على هذا الأساس «استطرادًا لمناقشة الميتافيزيقا»، فمذهب الذرية المنطقية هو الرأي القائل إن التحليل يوصِلنا نظريًّا — إن لم يكن عمليًّا — إلى العناصر البسيطة الأولية التي يتألَّف منها

[1] راسل برتراند، مشكلات الفلسفة، تر سمير عبده، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2016، ص ص 22-21

العالم، وتُعرَّف العناصر البسيطة بأنها أيٌّ عناصر غير مركبة — بمعنى أنها غير قابلة للتحليل إلى حدٍّ أبعد — وكل عنصر منها عبارة عن شيء مستقل ومستمر ذاتيًّا، وهي فضلًا عن ذلك قصيرة الأمد للغاية؛ ولذلك فإن العناصر المعقدة المؤلفة منها عبارةٌ عن «أوهام منطقية»، تؤلَّف لخدمة أغراضنا المعرفية والعملية.[1]»

يبين راسل في هذه العبارة أن العالم في نظره يتركب من عدد كبير من الموجودات والحوادث، التي لا نعلم أنها متناهية العدد أو غير متناهية، وهذه الموجودات أو الأحداث تكون مرتبطة بعضها ببعض، ويمكن القول إن العالم في نظره كله مركب ومؤلف من نوع هيولي واحد، وهكذا أصبحت الأشياء في نظر راسل تترجم إلى مجموعة من الأحداث تمتد عبر الزمان، فالمادة لم تعد عنده مجرد صلابة، بل أصبحت ذرات متداخلة.

و هذه الفكرة تتوافق مع قوانين الفيزياء المعاصرة التي بها فقدت المادة خاصيتها،وبذلك أصبحت وصارت تلك الأشياء ذاتها عبارة عن إشعاعات كهربائية أو سلسلة من الحوادث، وهذه القضية لفتت انتباه اينشتاين الذي استبدل الأحداث بالجزئيات، وهذا يرجع إلى التطور الذي أحدثته الفلسفة والفيزياء المعاصرة.

وعلى هذا يمكن القول " إن الأحداث لا الجزئيات، يتحتم أن تكون خادمة الفيزياء وما ظن اينشتاين كونه جزئيا ينبغي أن يظن كونه سلسلة من الأحداث، إن سلسلة الأحداث التي تحل محل جزيء لها صفات فيزيائية هامة معينة، ومن ثم فهي تقتضي انتباهنا، ولكن ليس لها جوهرية أكثر من أي سلسلة أخرى نختارها اختيارا تعسفيا، وعلى ذلك فالمادة ليست جزءا من الخامة النهائية للعالم، ولكنها مجرد طريقة مناسبة لتجميع الأحداث في حزم[2]".

وعلى هذا الأساس يتضح أن الفيزياء تجعل المادة أقل مادية، وعلم النفس يجعل

[1] جرايلينج ايه سي، المرجع السابق، ص 66

[2] راسل برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، تر فتحي الشنطي، ج3، الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية، دط، 1977، ص 495

الذهن أو العقل أقل عقليا، وعلى هذا فإن الذهن والمادة كليهما محض طريق مناسبة لتجميع الأحداث والوقائع.

5- التحليل عند فيجينشتاين

يعتقد بعض المفكرين والفلاسفة المعاصرين أن فيتغنشتاين كان بمثابة المجدد الحقيقي للفلسفة في القرن العشرين، وهذا الاعتقاد لم يكن مجاملة أو ادعاء بل كان نتيجة لما بثه من أفكار ومفاهيم زلزلت عرش الفلسفة، هذا لا يعني أن الكل قد انبهر بفلسفة فيتغنشتاين وتبنى أفكاره، إذ نجد من يحمله المستوى الذي وصلت إليه الفلسفة اليوم، لأنهم يعتبرونه المسؤول عن كل ذلك، والحديث عن فلسفته بشكل مفصل يستدعي منا فصولا وأبوابا، لكننا سنكتفي بشرح آلية الفلسفة التحليلية عند فيتغنشتاين.

تتلمذ فيتغنشتاين على يد كل من مور وراسل، فكان تأثير راسل واضحا في مراحله الأولى عند اشتغاله بالمنطق، وفي هذه المرحلة كتب رسالته المشهورة في المنطق، وقد اعتبرها فلاسفة الوضعية المنطقية إنجيلا مقدسا لهم، فكان مصدر إلهام للكثير منهم، أما مرحلته الثانية فكانت مخصصة لدراسة اللغة العادية.

عُرف التحليل عند فيتغنشتاين كمنهج أصيل، ولم يكن غاية لتفسير القضايا والأحداث، والهدف من ذلك هو الوقوف على المشكلات الزائفة، وتحديد العلاقة بين المعنى الصحيح والهراء اللغوي، وبهذا قد وجه الضربة القاضية للميتافيزيقا مباشرة، « فمفهوم الفلسفة عنده ما هو إلا توضيح للأفكار عن طريق تحليل اللغة، فمثلما نجد العالم يتركب من وقائع تنحل إلى أشياء بسيطة، نجد أن اللغة تنحل إلى مجموعة من القضايا الذرية،فاللغة بدورها تنقسم إلى قضايا بسيطة (الأولية) ، ووقائع ذرية تقابل تلك القضايا،هكذا فسر فيتغنشتاين المشكلات الفلسفية السابقة على أنها كانت، تفسر العدم بالعدم، وفي هذه الحالة، النتيجة ليست مستحيلة فقط، بل هي ضرب من ضروب الجنون، لأن القضايا

اللغوية تحمل في ثناياها ما يحكم عليها بعد التحليل المنطقي بالصحة أو البطلان[1]»، لكن إذا كانت اللغة في حد ذاتها خالية من أي معنى فإن نتائجها حتما تكون مزيفة.

يرجع فيتغنشتاين نشوء القضايا الميتافيزيقية إلى سوء فهم منطق اللغة وهو نتيجة عدة عوامل منها :

(1) الخلط بين الصورة المنطقية الظاهرة للقضايا وبين صورتها الحقيقية .

(2) الظن بأن معنى اللفظة عبارة عن شيء يمكن أن نشير إليه ونقول هذا هو المعنى .

(3) الخلط بين التصورات الصورية (المعاني الكلية) وبين تصوراتنا عن الأعلام أن مشكلات الفلسفة تأتي نتيجة الخلط بين التصور الصوري واِسم العلم .

(4) الخلط بين ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله بل إظهاره، فبالنسبة له هناك ما يمكن قوله وهناك ما لا يمكن التعبير عنه بواسطة اللغة بل إظهاره فقط فإذا حاولنا أن نقول ما لا يمكن قوله فإننا بذلك نتجاوز حدود اللغة ويكون كلامنا لا معنى له[2]

لكننا إذا تطرقنا لموضوع الميتافيزيقا عند فيتغنشتاين ، نجده يطبق عليها منهج التحليل المنطقي، ويزيحها من الوقائع والذرات المتطابقة مع الواقع، وكل هذا واضح تماما إلا أن فيتغنشتاين نفسه لم يسلم من التفكير الميتافيزيقي، وسوف نوضح ذلك من خلال نفس المعيار الذي حكم على إزاحة الميتافيزيقا كاملة، عندما اعتبر العالم مجرد وقائع مترابطة واعتبر أن اللغة تؤول إلى قضايا متناهية، نجد أنه يقع في نفس المشكلة التي ظن أنه قد وجد لها حلا، ويعتبر فيتغنشتاين أن القضايا الميتافيزيقية بلا معنى وما هو بلا معنى لا يمكننا التعبير عنه، لكن الفلسفة بإمكانها أن تعبر عما يمكن قوله، هذا التضارب عند

[1] جرايلينج ايه سي، المرجع السابق، ص 67

[2] عزمي أسلام، فيتغنشتاين، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، دط،دت، ص 59

فيتغنشتاين لم يغير من معنى فلسفته، لأنها تفند القضايا الخالية من المعنى، بل أزال اللبس القائم في ماهية الألفاظ الممكن وجوبها في الواقع وما هي التي لا يمكن تحصيلها.

5-1- علاقة الفلسفة بالعلم

من خلال منهجه التحليلي فصل فيتغنشتاين بين الفلسفة والعلم، وجعل الفلسفة مقتصرة على توضيح الوقائع، هذا لأن الفلسفة لا تضم في طياتها النظريات الممكن تطبيقها كالعلوم الطبيعية مثلا، لأننا في النتيجة لن نتحصل على نتائج تسمى باسم القضايا الفلسفية،ولم يكتف فيتغنشتاين بهذا فقط بل جعل مهمة الفلسفة تتمحور حول فسح الطريق لاكتشاف أخطاء اللغة، بمعنى آخر لا يمكن للفلسفة أن تصحح اللغة ولا أن تعدلها.

ولقد ظل فيتغنشتاين متمسكا برأيه حول خصوصية العلم بالنسبة الى الفلسفة وتمايزهما منهجا وموضوعا، وهذا الاختلاف بين الفلسفة والعلم يجعلنا أمام طريقين، أولهما تحديد لغة مناسبة للفلسفة مثلما عزم على ذلك لايبتنس وراسل وحتى هوسرل، إضافة إلى تحديد لغة شاملة للعلم، فتصبح الفلسفة غير مطالبة بمسايرة ومحايثة العلم التقني والطبيعي،ويصبح العلم في منأى عن أسئلة الفلسفة ولغتها النقدية، أما الطريق الثاني وهو هدم الفلسفة باسم العلم، يعني صعود العلم يكون على عاتق الفلسفة، لكن هذا لن يجلب نفعا لا للعلم ولا للفلسفة، وهذا ما يشهده العالم في وقتنا الحالي، رغم التطور المذهل للعلم فإنه يفتقد إلى الروح المغذية له، ولعل سبب انتقاد الكثير من الفلاسفة لفيتغنشتاين هو وضعه حدودا للفلسفة، فهو يعتقد أن الفلسفة تسأل في حدود ما تستطيع الإجابة عنه.

لقد قدم فيتغنشتاين تعريفا للفلسفة يحدد فيه وظيفتها المتمثلة في " التوضيح المنطقي للفكر فهي ليست نسقا عقائديا(مذهب) ، بل فاعلية، كما أن الفلسفة لا تنتج قضايا فلسفية،بل وظيفتها الأساسية توضيح تلك القضايا، من دون الفلسفة تبقى الأفكار مضطربة

وغامضة[1]"

نستطيع أن نلخص ما يعنيه فيتغنشتاين بفلسفته اللغوية في هذه العبارة البسيطة الموجزة : إن المعنى الذي يقصده أي فرد منا بأي كلمة، لا ينكشف لنا إلا من خلال الأشياء التي يطبق عليها، أو لا يطبق تلك الكلمة، أعني من خلال المواقف التي يستخدم في سياقها تكتيك ذلك اللفظ، فالمرء حين يفكر فيما يقوله، فإنه لا يفعل شيئا أكثر من كونه يعني ما يقوله[2].

ومفاد ذلك أن الفكرة القابلة للتطبيق هي التي تستحق منا أن نفكر فيها، وما دون ذلك يصبح مجرد لغو، وهذا ما نراه لاحقا مع أنصار البرجماتية، وهذا لا ينطبق على الفلسفة أو الميتافيزيقا فقط، بل حتى علم الأخلاق والفن والعلوم المعيارية، لا يُنصح بالتفكير فيها لخلو قضاياها من الوقائع المنطقية التي ينظر تطبيقها.

5-2- تحليل الوقائع الذرية

« فكرة فيتغنشتاين عن الوقائع والوقائع الذرية، لا تخرج عن فكرة راسل، ذلك أن راسل يؤكد لنا في مقدمته للرسالة أن هناك فارقا بين هذين النوعين من الوقائع، ويزودنا بمثال لكل منهما، فالواقعة (سقراط حكيم) تختلف عن الواقعة (سقراط حكيم وأفلاطون تلميذه) ، الأولى واقعة بسيطة أي ذرية، في حين أن الثانية واقعة مركبة تنقسم بدورها إلى واقعتين ذريتين بسيطتين هما، (سقراط حكيم) و (أفلاطون تلميذ سقراط) ومعنى هذا أن الواقعة المركبة عند فيتغنشتاين والتي تقرر أن " سقراط حكيم وأفلاطون تلميذه" هي ما يقابل الواقعة الجزيئية عند راسل حيث ترتبط واقعتان ذريتان معا، وهذا ما تعبر عنه القضية بالثوابت المنطقية مثل

[1] Wittgenstein Ludwing, Tractatus Logico-philosophicus, Traduit de l'Allemand par Pierre Klossowski, éditions Gallimard,(F.r.c) ,1961, P 52

[2] فؤاد كامل، المرجع السابق، ص 81

"أو"، "و"[1].»

يعتبر فيتغنشتاين أن تحليليه العالم إلى وقائع، كان ضرورة وجود وحدات أولية ينحل إليها الكون، لكي تكون بالمقابل مع الوحدات الذرية التي تنحل إليها اللغة، لكنه تراجع فيما بعد عن فكرة تحليل العالم، ليصبح التركيز منصبا على تحليل اللغة، « اللغة التي هي وسيلة تواصل بين الناس أصبحت بمثابة ألعاب لغوية، «وقد اختار هذا المصطلح ليستدل على القواعد التي تحكم كل من اللغة واللعبة، فالتدرج والتمايز الموجود في الألعاب نفسه يتواجد في اللغة بطريقة أكثر عقلانية، ولعل أهم ما يميز الألعاب هو ذلك التماثل والتقاطع فيما بينها، فلعبة الشطرنج مثلا تختلف عن الألعاب الورقية، وهذه الأخيرة تختلف عن كرة السلة، لكن أين يظهر ذلك التماثل والانسجام ؟ يظهر في الصفات المشتركة من حيث القواعد والنظم[2]»، فحتى وإن لم تكن تلك القوانين التي تحكمها جميعا متطابقة فإنها تخضع دائما لأحكام تضبطهم بدقة، ونفس الشيء ينطبق على اللغة فهي نظام يأخذ فيه كل لفظ مكانه ليتطور ذلك الصرح إلى نظام شامل مركب، من وحدات وظيفية متباينة[3].»

« ويتبين مما سبق أن الفرق بين الواقعة الأولية وبين الواقعة لا يمكنه أن يكون فرقا في درجة البساطة، بما أن الوقائع كلها من نوع واحد، ولكن الفرق الحقيقي يكمن في أن الواقعة الأولية هي مجرد إمكان أو هي وجود بالقوة، بينما الواقعة هي تحقق ذلك الإمكان أو هي وجود بالفعل، وما احتياج فيتغنشتاين إلى النوعين في الرسالة إلا لكي يقيم المعنى في القضية على الإمكان المنطقي للواقعة الأولية، بينما يقيم الصدق في القضية على التحقق الفعلي لتلك الواقعة الأولية، أي على الواقعة[4].»

---

[1] ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980، ص 246

[2] المرجع السابق، ص 247

[3] المرجع السابق، ص 248

[4] حمود جمال، فلسفة اللغة عند لودفيغ فيتغنشتاين، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2009، ص 148

وهكذا يبدو أن بروز الفلسفة التحليلية كمنهج دقيق وصارم قد أحدث ما كان يتوقعه أنصاره، فقد أعاد رسم الخريطة الابستمية للعلوم بشكل عام والفلسفة بشكل خاص، إذ لم يعد في إمكان أي فيلسوف أن يتملص من شذارته، وحتى وان كانت بدايته الأولية كرد فعل على المثالية الألمانية والتوجهات الكانطية، لكنه استطاع أن يتجاوز ذلك ويبحر لأبعد من ذلك التجاوز.

و بعد عرضنا لتطور المنهج التحليلي نكاد نجزم أن التحليل تولد من رحم بعض المناطقة الرياضيين أمثال فريجه، وبيانو، وكانتور وجورج بول وغيرهم، إضافة إلى العديد من الفلاسفة وعلى رأسهم جورج مور الذي ينسب التحليل كمنهج إليه، لكنه لم يلبث طويلا حتى شاركه في ذلك ثلة من عباقرة الفلسفة مثل راسل وفيتغنشتاين وحتى وايتهد، إضافة إلى أنصار حلقة فيينا.

وبالرغم من اختلاف فلاسفة التحليل في الكثير من المسائل، غير أن اختلافهم كان في الفروع وليس في الأصول، لأن الجوهر الحقيقي المشترك بينهم كان ثابتا، ولا يمكننا أن نستثني جهد أي واحد منهم، وما تولد عن ذلك هو بروز الفلسفة التحليلية كموجه لباقي التيارات الفلسفية، كما شهدت الفلسفة منعطفا لغويا حولها من طبيعتها الأولى إلى مُدقق لغوي لسائر العلوم، وذلك التدقيق منوط باللغة بشكل رئيسي.

الفصل الثاني

دلالة النقد اللغوي والتحليل المنطقي عند راسل

المبحث الأول : نظرية الأوصاف عند رسل.

المبحث الثاني : نظرية الدلالة والإشارة.

المبحث الثالث : نظرية رسل في النحو الفلسفي.

المبحث الرابع : مفهوم الذرية المنطقية عند راسل.

الفصل الثاني: دلالة النقد اللغوي و التحليل المنطقي عند راسل

تعتبر فلسفة راسل وثيقة الصلة بالمنطق الذي قدَّمه فاسم راسل ملازم للمنطق الرياضي، الذي يدين له بالكثير، لاسيَّما نظرية الأوصاف ونظرية الأنماط. كما أنَّ مشكلات الفلسفة كلها تُختزل — ما دامت فلسفية بحق — في مشكلات المنطق، ويقصد بهذا أنَّه يمكن توضيح المشكلات الفلسفية وحلها بتطبيق أساليب المنطق الرياضي الأوَّلي.

المبحث الأول : نظرية الأوصاف

لقد حظيت نظرية الأوصاف بإعجاب شديد من طرف راسل، فقد اعتقد آنذاك أنها من أعظم نظريات القرن العشرين في الفلسفة، إذ هناك من يشير إليها بأنها هي الموجه الديناميكي لفلسفة التحليل المعاصر، وهذه الأخيرة لا تتجلى في منطق راسل فحسب، بل كان لها الأثر البليغ في فلسفته بشكل كامل.

« وقد عرض راسل صورة لنظرية الأوصاف لأول مرة عام 1905 في مقال نشره في مجلة "مايند" بعنوان في الدلالة، وجاء في برنكيبيا ليقدم عرضا كاملا ودقيقا لها، وإن كان هذا العرض يفتقر إلى العمق الفلسفي، وقد عبر عن نفس هذا العرض بلغة أبسط في مقدمة للفلسفة الرياضية.[1]»

وقبل شرحنا لآلية نظرية الأوصاف عند راسل، يتوجب علينا عرض بعض المشكلات التي كانت تؤرقه آنذاك، لقد كانت بدايات راسل الفكرية تشهد تأثره الواضح بالمثالية،والأفلاطونية، فقد اتفق مبدئيا مع ماينونغ بخصوص المفكر فيه واللا مفكر فيه،فكل ما يمكننا التفكير فيه يحتمل الصدق أو الكذب، وهو بطبيعة الحال يعتبر حدا من الحدود،لا يمكن إنكاره، حتى وإن كنا نعترف باستحالته إلا أنه يبقى كيانا موجودا، فإن لم يوجد على المستوى الخارجي وجد على مستوى الفكر.

لكن راسل حين أعجب بنظرية ماينونغ لم يكن متأكدا من صحتها تماما، فقد كانت موضع شك عنده، حتى أعلنها مباشرة، حين اعتبرها متناقضة مع مبادئ المنطق من حيث القضايا ودلالاتها، فالمناطقة قد خدعوا في نظر راسل لعدم تمييزهم بين الصور النحوية في التحليل، فإذا قلت "أنا مسافر إلى مكة"، وفي جملة أخرى قلت " أنا مسافر إلى إحدى البلدان" من الناحية التقليدية نجد أن كلتا الجملتين تدل على السفر، وكأنهما يتحدثان عن

[1] مهران محمد، المرجع السابق، ص 279

نفس الصورة، لكن الفرق الجوهري هو الفرق بين الصورتين، ففي الجملة الأولى خُصِصَ السفر إلى مكة، أما في الجملة الثانية خُصِصَ السفر إلى مكة وكل ما ينتمي إلى فئة مكة من بلدان العالم.

لقد قال راسل بغريزة الواقع، والإحساس بالواقع وكان ذلك راجعا إلى تحليله للعالم، فإذا كان العالم مركبا من واقعة متعددة تصبح وقائع، وتلك الوقائع تشكل ما نعرفه نحن بالواقعة والقضية والعبارات، إذ نجده يفند مشروعية الموضوعات اللاواقعية والكائنات غير الموجودة،وكانت نظرية الأوصاف هي الرد على ماينونغ بخصوص ذلك.

« ترتكز نظرية الأوصاف على العبارة الوصفية أو الجمل الإشارية ونجده يقول إنها مجرد جملة عادية مثل " رجل ما بعض الرجال أي رجل جميع الرجال كل الناس ملك انجلترا الحالي، ملك فرنسا الحالي .... الخ"[1]»

إن تحليل معاني هذه الجمل مرتبط بصورة واضحة بالروابط القضوية، "بعض"، "لا أحد"، "باستثناء"، والعديد من هذه الروابط، وهذا كله ببساطة لتحليل القضايا والجمل الوصفية، والغاية من هذا هو حذف الجمل التي لا تحمل معاني صدق حقيقية، وهذا رد على ما قال به ماينونغ، لأن راسل يميز بين الصور المنطقية والصور النحوية، لهذا ارتبطت نظرية الأوصاف بفلسفة راسل كاملة ليس في المنطق فحسب.

لنفترض أننا أمام بعض الجمل مثل، "الكرة المربعة شكل هندسي" و " الفيل حيوان طائر" و " تقابلت مع سقراط وجها لوجه"، لو فكرنا بمنظور راسل وفق نظرية ماينونغ نجد أن هذه الجمل رغم عدم صدق معانيها إلا أنها موجودة بالفعل، وجودها يتجلى في تفكيرنا بها، أما إذا ما طبقنا نظرية الأوصاف على هذه الجمل، فإنها تتحلل إلى قضايا قد تصدق وقد تكذب فالجملة الأولى مغزاها الحقيقي يؤول إلى أن الكرة لوحدها شكل هندسي والمربع

[1] Russell.B, On Denoting in Logic and Knowledge Essays, George Allen and Unwin,London,1950, P 41

لوحده شكل هندسي، أما جمعهما يؤدي إلى غياب للمعنى، مما يقتضي حذفهما، لأن ما يوجد هنا هو مفهوم الشكل الهندسي فقط، ونفس الشيء نجده في بقية الجمل.

ولكن المثال السابق يتعلق بخصوص الأوصاف غير المحددة أو الغامضة إن صح القول، لكن ما يثير الصعوبة هو تلك الأوصاف المحددة، فالجمل قد تساهم في معاني العبارات دون أن يكون لها معنى بمفردها.

« فالجملة الوصفية إذن لا تعني شيئا بمفردها، لأنها لو كانت كذلك لأصبحت مكونا من مكونات القضية، ولكن الجملة الوصفية ليست مكونا، فحين أقول إن سكوت هو مؤلف ويفرلي، يكون من التحليل الخاطئ أن نفترض أن لدينا هنا ثلاثة مكونات هي : "سكوت" و "هو" و "مؤلف ويفرلي"، فليس مؤلف ويفرلي مكونا من مكونات القضية على الإطلاق،فالقضية التي ترد فيها عنده الجملة تعبر عن واقعة، وهذا ما يريد راسل تجنبه،فالعبارة الوصفية ليست من مكونات القضية، وبالتالي ليس لها معنى بمفردها[1].»

وما يتضح من هذا أن التحليل المقدم للأوصاف لا يُقصد منه تحليل الجمل فقط،وإنما تحليل للقضايا الواردة داخل كل جملة، وان كانت الجمل خالية من المعنى، فان القضايا التي بداخلها حتما ستختفي من الوجود.

1- أنواع العبارات الوصفية:

ميز راسل بين العبارات الوصفية انطلاقا من قيمتها الإشارية، بالإضافة إلى غموضها وتعقيدها ومجمل ذلك اختصره في ثلاثة أنواع :

1- عبارات وصفية أو جمل إشارية لكنها لا تشير إلى أي شيء فعلي في الواقع،وهذه الجمل لا توجد لها دلالة في الواقع مثل " مدينة أطلنطس تحت الماء"

[1] مهران محمد ،المرجع السابق، ص 286

2- جمل تشير بشكل غامض أو غير محدد، أمثلتها "رجل ما"لا تشير إلى رجال كثيرين ولكنها تشير إلى رجل غير محدد[1]

3- جمل تشير إلى شيء واحد، مثل " أورغانون بيكون"

وحتى تتضح الصورة أكثر، يمكننا أن ننظر في طريقة تحليل القضايا، ذات الجمل الوصفية مثل "هتلر مؤسس الحزب النازي"، إذا تمعنا في هذه الجملة من حيث صدقها أو كذبها، يتوجب علينا تحليل القضايا الداخلية للجملة، حتى يتبين ذلك.

صدق "هتلر مؤسس الحزب النازي" يكون كالتالي :

1- الحزب النازي تم تأسيسه فعلا.

2- هتلر فعلا من أسسه.

3- تم تأسيسه من طرف شخص واحد فقط.

أما كذب هذه الجملة يتوقف على :

1- تم إنشاء الحزب من طرف شخص غير هتلر.

2- تم تأسيس الحزب من قبل أكثر من شخص.

3- لا يوجد أي حزب نازي أصلا في التاريخ.

« لكن هناك نقطة هامة في نظرية الأوصاف، وهي التمييز بين ما أطلق عليه «الورود الابتدائي»primary occurrence و«الورود الثانوي» secondary occurrence وهذا التميز هام جدا للقضايا التي ترد فيها أوصاف لا تدل على شيء، ومن بين الصعوبات نجد صعوبتين تتصلان مباشرة بهذا التمييز هما[2]»

[1] Russell.B, Problémes de philosophie, trad de, Guillemen 17eme édition,payot,1972, p61
[2]Russell.B, On Denoting, 47

1«- التطابق، إذا كانت ق1 متطابقة مع ق2 فان صدق إحداهما يستلزم صدق الثانية، وكذب الثانية مثلا يستلزم كذب الأولى، كما يمكن لأي منهما أن تشغل مكان الأخرى، يعني ق1 هي نفسها ق2، وإن غيرنا المواضع أصبحت ق2 هي نفسها ق1[1].»

2«- التسليم بقانون الثالث المرفوع، فصدق قضية ما أو صدق نقيضتها، لا يقتضي وجود قضية أخرى أبدا، لاستحالة ذلك، فمثلا "شوبنهاور حي" أو "شوبنهاور ميت"،فالقضيتان متناقضتان أصلا، إذا صحت الأولى فإن الثانية ستكذب بالضرورة والعكس[2].»

أما بالنسبة لمعرفتنا متى نستخدم "الورود الابتدائي" أو "الورود الثانوي" في تحليل الجمل والقضايا، فإن ذلك يكون كالتالي: بالنسبة للورود الابتدائي يكون حين يصدق استبدال القضية x بالقضية y دون اختلال في المعنى الكلي للقضية الوصفية، أما الورود الثانوي فالاستدلال عليه بالاستبدال يكون جزئيا، يكتفي بحد في جملة ما، وليس كليا.

« يبين التحليل المنطقي كيفية الحديث بكلام له معنى عن الأشياء التي لا توجد، كما يبين أيضا أن الجمل التي لا تشير إلى شيء تخضع لقانوني التناقض والثالث المرفوع على خلاف ما ذهب إليه ماينونغ وفريجه[3]»، وعلى هذا الأساس يزودنا منطق راسل في نظرية الأوصاف بأدوات منهجية تسمح لنا بما يأتي :

1- تقرير قضايا ذات معنى رغم غياب المرجع أو الإشارة، حيث مكن راسل من التمييز بين المعنى في القضايا اللغوية وبين دلالتها في الوجود، وهو تميز نجده عند فريجه.

2- تغير قيمة صحة وبطلان العبارات، فمن خلال الدوال والمتغير، اتضح أن صدق القضايا أو كذبها مرتبط بطبيعة القيم التي تأخذها الدوال القضوية.

[1] Ibid, P 54
[2] Ibid, P 56
[3] Ibid, P 57

3- التأكيد على سلامة اللغة منطقيا، فالمعنى الحقيقي للجمل مرتبط بمدى صدقها في الواقع وليس مثلما كان يعتمد على القواعد النحوية فقط.

تحدث راسل كثيرا عن المعرفة بالوصف، إذ نجده يقسم المعرفة إلى نوعين معرفة مباشرة ومعرفة بالوصف، بخصوص المعرفة المباشرة فهي التي تكون واضحة المعنى دون بذلنا لأي جهد معرفي أو وسيط استدلالي وهي تكاد تكون مشابهة للقضايا البديهية، أما المعرفة بالوصف فهي المعرفة التي تتجاوز إدراكنا المباشر للقضايا، إذ نستدل عليها بمتغيرات وثوابت منطقية.

2- العبارات الوصفية واسم العلم

« حينما ننظر إلى " سكوت هو مؤلف ويفرلي" نجد أن سكوت اسم علم و مؤلف ويفرلي عبارة وصفية، يوجد هناك فرق واضح بين اسم العلم والعبارة الوصفية، " فاسم العلم لا يمكن أن يَرِدَ ذا دلالة في قضية، ما لم يكن هناك شيء يسميه في (عالم الواقع) ، بينما العبارة الوصفية لا تخضع لهذا التقيد"»[1]، ويوجد حسب راسل عدة اختلافات جوهرية بين اسم العلم والوصف المحدد وسنذكر أهم الاختلافات :

1- الاختلاف من حيث القيمة الدلالية، عندما نقول بسمارك مستشار سياسي، نجد أن بسمارك اسم علم ومستشار سياسي هي وصف محدد لبسمارك، ندرك هنا أن اسم العلم يأخذ نصيبا جزئيا من هذه العبارة يكون بسيطا مقارنة بالوصف المحدد له، والذي يعتبر مركبا من مستشار وسياسي.

2- « يفرق راسل بين اسم العلم وبين الوصف المحدد له من خلال تفرقته بين القضية ودالة القضية، ومنه يختلف اسم العلم عن الوصف المحدد بكونه يرد كموضوع أو كمحمول، ومادام الوصف المحدد يقبل الحمل على خلاف اسم العلم، فإنه دالة قضية، تتخذ

[1] راسل برتراند، المرجع السابق، ص 100

الصورة (1س) (تاس) ، ولا يمكننا الحكم عليها بالصدق أو بالكذب إلا إذا أعطينا قيمة لمتغير (س)[1].»

3- علاقة الهوية، وهذه العلاقة تكون وفق تحديد ما إذا كان اسم العلم يدل فعلا على الوصف المحدد له.

« اسم العلم، عمليا، دائما يشتمل على حادثات وليست أمثلة منه، فلنأخذ " مات قيصر"، مات تعد كلمة شاملة، لعدد من الحادثات لها تشابهات معينة فيما بينها ولكن ليس بالضرورة علاقات فراغية(مرحلية) ، كل منها هو موت قيصر، على النقيض يمثل سلسلة من الحادثات جمعيا وليس تعدديا، عندما نقول مات قيصر، نقول إن واحدة من السلاسل الذي كان قيصر عضوا فيه، عضوا من قسم الموت، وهذه الحادثة تسمى موت قيصر.[2]»

لا يميز راسل بين اسم العلم، والاسم المشترك، فعندما نقول الكندي نحن نقصد اسم علم، وعندما نقول رجل يكون هذا اسما مشتركا، بهذا لا يختلفان المعنى الذي يقصده راسل حول اسم العلم عما نعرف نحن في اللغة العادية.

« هذه هي الصورة العامة لنظرية الأوصاف التي تعد بحق أهم ما أسهم به راسل في مجال المنطق، والواقع أن هذه النظرية لم تكن لها أهدافها المنطقية واللغوية والمعرفية فحسب، بل كانت لها أهدافها الميتافيزيقية أيضا، حقيقة إن نظرية الأوصاف في حد ذاتها لم تقم على أساس انطولوجي، وكان من الممكن أن لا تثار فيه المشكلات الانطولوجية، إذ وإنها لا ترتبط بهذه المشكلات بالضرورة.[3]»

وكما كان منتظرا فقد تعرضت النظرية للعديد من الانتقادات، وحتى راسل نفسه كان

[1] حمود جمال، المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، منشورات الاختلاف،بيروت، ط1، 2011، ص 196

[2] رسل برتراند، ما وراء المعنى والحقيقة، تر محمد قدرى عمارة والهامى جلال عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2005، ص 34

[3] مهران محمد، المرجع السابق، ص 301

ينتظر ذلك النقد، وقد أعلن عن ذلك في بداية طرحه لنظرية الأوصاف، وقال أنها لن تُترجم بالمعنى الحقيقي لها إلا إذا ما أحسنا استخدام خطواته المنطقية بحذافيرها، ويبدو أن بلانك كان سباقا لكشف الزيغ عند راسل، إذ نجد هذا الأخير يعتقد أن هذه النظرية ليست سوى نسق منطقي هدفه الواضح تحليل للألفاظ والعبارات وهدفه الباطني هدم للميتافيزيقا.

« لكن ستراوسون وجه نقدا لاذعا لنظرية الأوصاف، فهو يعتقد أن راسل خلط بين العبارات المحتوية على تعبير يُستخدم على شخص أو شيء جزئي، والعبارات الوجودية بشكل منفرد، وورط نفسه في صعوبات عن الموضوعات المنطقية، وعن القيم الخاصة بالمتغيرات الفردية، وهي صعوبات يتعذر التغلب عليها، فهو – اي راسل – قد خلط بين المعنى والإشارة.[1]»

وقد رد راسل على تلك الانتقادات حين اعتبر أن نظرية الأوصاف ليست برهانا وظيفيا بحد ذاته، أو قانونا يحدد الصدق والكذب مباشرة، فالقضية الوصفية يستدل عليها ببرهان لتكوين قضية كاملة منطقيا.

« إن هذه العيوب لا تقلل من الأهمية التاريخية لنظرية راسل في الأوصاف، فحتى الذين رفضوها ساروا في مسالك أخرى غير المنطقانية، فاسهمو بذلك – على المدى الطويل بالنسبة إلى راسل – في بيان صواب نظريته، لأنهم إذا كانوا في الأصل يريدون البقاء في ميدان الرياضيات، فإن خلفاءهم وجدوا أنفسهم في نهاية الأمر منقادين إلى المنطق، بحيث قدموا فيه مساهمات كبيرة[2]. »

« لقد هاجم كتاب كُثر نظرية الأوصاف هجمات شرسة ومقنعة، وتسببت في بروز مشككين يحملونها الفشل ومدافعين عنها يبررون مشروعيتها، وربما زوال الخلاف برمته

[1] المرجع السابق، ص 304

[2] روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تر خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 2002، ص 409

متوقف على طرح السؤال التالي : هل سنقول على نحو أكثر طبيعية في شأن الإخبار المتهمة بإفشال الإحالة مثل "ملك فرنسا أصلع" أنها أخبار كاذبة أم أنه سيحرجنا القول إنها إما صادقة وإما كاذبة، فإذا ما قلنا أنها كاذبة، على ما يزعمون، كانت نظرية الأوصاف صحيحة، وان كانت لا فلا يبدو الخلاف متعلقا فعليا بهذا الجانب هو وهم[1]. »

ربما يُعزى ذلك النقد إلى كون النظرية تشترط صحة القضية قبل التفكير فيها، أي إذا كنت بصدد طرح قضية أو عبارة وأنا مدرك يقينا بأنها مستحيلة، يترتب علي التفكير بأن القضية(الدالة) التي تدل على صدق قضيتي تكون صادقة، وإلا فلا أساس لما أصرح به.

وبالرغم من إثبات راسل صحة نظريته للعالم وفق أسس عقلية منطقية، فإن النقد يُضفي طابع الروح العلمية، فإن كان نُقاد راسل على صواب توجب علينا إعادة النظر في الجوانب التي أغفلها راسل، وان كانت الانتقادات غير سليمة، فإنها سوف تزيد حتما من مشروعية هذه النظرية، وتاريخ العلم ونظرياته منذ الأزل كانت ولا تزال معرضة للنقد.

[1] جون ر سول، الأعمال اللغوية، بحث في فلسفة اللغة، تر أميرة غنيم ومحمد الشيباني، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015، ص 265

المبحث الثاني : نظرية الدلالة والإشارة

« كان التحليل في نظرية الدلالة فلسفيا، ومرتبطا أشد الارتباط بفلسفة راسل الواقعية والتي كانت أفلاطونية في بعض جوانبها، حيث وفرت للتحليل – من خلال اعترافها غير المحدود بالأشياء– الأساس الموضوعي للحديث عن الدلالة وهو ما جعل الفلسفة التحليلية مجرد عملية للمحتوى الانطولوجي لتلك الفلسفة الواقعية[1].»

يمكننا القول إن منهج التحليل الذي كان يقصده راسل هو التحليل المنطقي، الذي حاول من خلاله العمل على رمزية اللغة، وذلك بردها إلى الدالة والمتغير، وهذا كفيل بأن يكون كان نقدا للغة العادية، هذا التحليل النقدي للغة العادية نتج عنه ما يعرف "بالدلالة في الاستعمال"، والمقصود بذلك هو إشارة اللغة إلى ما يقع خارجها، بمعنى أخر صدقها وكذبها مرتبط بالواقع الخارجي، وصدقها في حد ذاتها مرتبط بصدق أجزائها البسيطة (الوقائع).

وبهذه النظرية يكون راسل قد حقق هدفين هما :

1–« بيان النقص الرمزي في العبارات الوصفية سمح لراسل بالتخلص من الكثرة اللغوية التي كانت كلها حدودا حقيقية في النحو الفلسفي، وبذلك يكون قد حقق خطوة هامة نحو تحقيق الحد الأدنى من المفردات»[2]، وهذا ما كان يقصده عندما ألح على ضرورة تفصيل أوكام، حتى يتمكن من إرساء اللغة الكاملة منطقيا.

2– « بيان النقص الرمزي في العبارات سمح له بالتخلص من الكثرة الانطولوجية،التي كانت ضرورية في ظل النظرية الاشارية في المعنى، وبذلك يكون راسل قد تخلص من الكائنات غير المرغوب فيه»ا[3]، والتي تحمل طابعا ميتافيزيقا في الأغلب لخلوها

[1] حمود جمال، المرجع السابق، ص 202

[2] المرجع نفسه، ص 203

[3] المرجع نفسه، ص 204

من المعنى وتناقضها مع الواقع الخارجي.

« وقد اعتمد راسل كثيرا في نظرية الدلالة والإشارة على منطق فريجه في الصورة المنطقية، حيث إن فريجه استخدم رموزاً من ابتكاره توخيا للدقة والصرامة، و كانت لغته الرمزية ضرورة للدقة في التعبير والتكامل فيما يقيم من استدلالات، و قد ارتبطت نشأة الرموز لديه بمحاولة التمييز بين اللامعرفات والمعرفات من الأفكار المنطقية الأولية و ما يتعلق بذلك من متغيرات وثوابت و صور القضايا، و بيان القدرة على صياغة تعريفات للروابط المنطقية ،كما عبرت بوضوح ودقة عن البديهيات وقوانين و قواعد الاستدلال[1].»

« ومن وجهه نظر فريجه لم يكن للقضايا صورة الموضوع – المحمول–، هناك أيضا الأحكام الفرضية أو اللزومية و الانفصالية والعطفية، وميز أيضا بين الحكم الكلى و الحكم الجزئي. وميز أيضا بين الأحكام السالبة والموجبة[2]»، حيث اكتشف المناطقة والفلاسفة المعاصرون وجود جمل تتشابه في صورتها اللغوية لكنها تختلف في صورتها المنطقية،وأدى هذا التشابه في تركيب الجمل إلى الوقوع في أخطاء فلسفية، ذلك لأن العبارات اللغوية التي صيغت فيها كثير من النظريات جعلت بعضهم يظنون أن التركيب النحوي يعبر عن تشابه مماثل في تركيب الواقع الموجود، ولذلك جاء الاهتمام بالتمييز بين الصورتين اللغوية والمنطقية للجملة، فعلى سبيل المثال،إن الجملتين الآتيتين متشابهتان في الصورة اللغوية ،مختلفتان في الصورة المنطقية، " دخل الماء إلى بيتي" والجملة الثانية " دخل ضيف إلى غرفتي[3] ".

[1] الكسندر ماكوفلسكي، تاريخ علم المنطق،تر نديم علاء الدين وإبراهيم فتحي، دار الفارابي، بيروت، دط، 1987، ص 440-441

[2] محمد قاسم، جوتلوب فريجه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1991، ص 43

[3] نقلا عن، المرجع نفسه، ص ص 45 46

1- مبرهنة لايبتنس وفريجه:

لا يرى لايبتنس أن 2+2=4 حقيقة واضحة بذاتها؛ لذلك يلزم برهنتها، يبدأ بالتعريفات:

(1) 2 هو 1 و1

(2) 3 هو 2 و1

(3) 4 هو 3 و1

البرهان: 2+2=2+1+1 (من التعريف (1))=3+1 (من التعريف(2))=4(من التعريف(3)).

إذن 2+2=4 (من المُسلمة)

رغم أننا لا نحتاج للبرهنة أكثر من مجرد تعريفها، ولكن لاحظ فريجه في المبرهنة السابقة وجود فجوة، وهي الحاجة إلى الأقواس لتصبح أدق.

(1+1)+2=2+2

4=1+3=1+(1+2)

والمفقود هنا، هي هذه القضية:

1+(2+1)=(1+1)+2

وهي حالة خاصة من:

أ+(ب+ج)=(أ+ب)+ج

يذهب فريجه إلى أنه يمكننا الاعتماد عليها كقانون نطبقه لبراهين مشابهة متعلقة بكل

معادلات الجمع. كما أنه يوجد مبرهنة أطول لبيانو، ولكن عندما ندقق في مضمون المبرهنة نجد أن إثباتاتها من تعاريفها، والنقيض يؤدي للتناقض، بذلك لا تعطيك أي معرفة جديدة،ومن هذا الأساس يذهب فريجه بأن علم الحساب قضية تحليلية، وهذا صحيح[1].

1 برهنة الأعداد الزوجية:

المبرهنة: إذا كان العدد الصحيح ن فردياً فإذن ن+1 زوجي.

الإثبات: إذا كانت ن فردية فمن التعريف ن=2م+1 لأحد الأعداد الصحيحة م.

إذن ن+1=2م+2=2(م+1)، مع الأخذ بالاعتبار أن م+1 هي جمع لعددين صحيحين، فينتج بذلك عدد صحيح.

وهذا يفترض أن الصورة النحوية مضللة في أوجه عدة منها،أولا، يؤدى بنا النحو إلى الاعتقاد بان العبارة "بعض السياسيين مخادعون "تدل على مكون القضية بعض السياسيين مخادعون.ثانيا، يخفى النحو الاختلاف بين القضايا الكلية التي ارتبطت فيها المحمولات على نحو شرطي والقضايا الجزئية الوجودية التي ارتبطت على نحو عطفي ، وعلاوة على ذلك يعرض فريجه للقضايا المتضمنة العلاقات والأسوار المتعددة،وفى هذه القضايا يتضح الفرق بين الصورة المنطقية والصورة النحوية[2].

بعض السياسيين مخادعون

(E س) س هـ .س ى . تعنى هناك فرد في س يتصف بأنه سياسي ومخادع

بعض السياسيين ليسوا مخادعين

(E س) س هـ . ~ س ى تعنى هناك فرد في س يتصف بأنه سياسي وغير مخادع

[1] Gottlob Frege, The Foundations of Arithmetic, John Wiley & Sons; Édition,Revised 2nd Edition,1980 , p p 7-8

[2] زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، 2003، ص 21-22

كل العرب أحرار

(س) س هـ C س هـ .تعنى بالنسبة لجميع قيم س إذا كانت س يتصف بأنه عربي يلزم عنه أنه حر .

هذا بالنسبة للصورة المنطقية عند فريجه باختصار لكن راسل قام بتعديل ذلك وفقا لنظريته الاشارية، إذ أصبح يستخدم لغة جديدة لغة المنطق (الدال والمتغير) ، هذه اللغة تقوم على التفرقة بين ظاهر الجمل والعبارات أي شكلها النحوي، وبين شكلها المنطقي الحقيقي الذي هو وحده يكشف لنا حقيقة الدلالة في تلك الجمل والعبارات، حيث يقول راسل «إن مسالة عدم الواقعية التي تواجهنا عند هذه النقطة في غاية الأهمية[1]»، ذلك أن معظم المناطقة الذين بحثوا هذه المسالة ضللتهم الاجرومية، فبحثوها عن طريق باطل، ذلك أنهم اعتبروا الصورة النحوية مرشدا أوثق في التحليل مما هي عليه في الواقع، كما أنهم لم يعرفوا ما هي الفروق الهامة في الصور النحوية.

وعند حديثنا عن لغة أصول الرياضيات لدى راسل نجدها مزيجا لغويا وانطولوجيا،فاللغة المنطقية وثيقة الصلة بوجودها وكينونتها، فنحن وفق نظرية الدلالة لا ننظر إلى العبارة كألفاظ أو كلمات أو رموز، بل ننظر إلى الموجودات المختلفة داخل هذه القضايا، فاللغة الإشارية نصفها لغوي ونصفها رمزي منطقي، تختلف عن اللغة العادية، من حيث الموضوع والمنهج وهذا راجع إلى الدوال والمتغيرات المنطقية.

ورأى راسل أن للاسم دلالة ومعنى إذا كان هنالك فقط شيء يدل عليه، ولذلك وجد صعوبة حين نستخدم عبارة مثل " الملك الحالي لفرنسا " لأنها تؤدى وظيفة الاسم ولها معنى ودلالة على الرغم من عدم وجود شخص يسمى به، وكان حل راسل لهذه الصعوبة هو إعادة

[1] رسل برتراند، مقدمة للفلسفة الرياضية، تر محمد مرسى واحمد فؤاد الاهواني، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، دط، 1980، ص 181

تحليل الجمل التي تدخل فيها هذه العبارات بحيث لا تعتبر أسماء و إنما محمولات، ومن ثم فالجملة "الملك الحالي لفرنسا أصلع " ، تصبح " يوجد شيء ما هـ بحيث أن هـ ملك فرنسا الحالي ، وبحيث أنه بالنسبة إلى كل و ، إذا كان و هو ملك فرنسا الآن فإن و هو هـ وأن هـ أصلع "[1].

« إن نظرية راسل المتقدمة في الدلالة كانت مبنية على نظريته في الحد; إذ كان يرى أن كل ما يمكن التفكير فيه فهو حد، والحد في النحو الفلسفي كان رمزا تاما بالنظر إلى أنه يشير إلى شيء واقعي، وعليه يمكن القول إن نظرية الدلالة 1903 كانت تهدف إلى بيان أولوية المرجع أو الإشارة على الدلالة[2]»، وهذا كان للقضاء على بعض المفارقات التي وجدها راسل في المنطق والرياضيات، فراسل اعتبر أن ملكة اللغة تتحدث عن صنف من الأسماء وصنف من الأفعال وصنف يتكلم عن كل الصفات، لكن لكل نمط من هؤلاء الثلاثة ميزته الخاصة.

والتمايز الذي يحدث بين أنماط اللغة المختلفة راجع لدلالاتها المادية والمعنوية المجردة، فعند قولنا السماء تمطر بإمكاننا أن نبرهن على صدق الجملة من خلال رؤيتنا لقطرات المطر، وحتى نفيها مرتبط بعدم رؤيتنا للمطر، وهنا يكون الدليل ماديا رغم تنوع مستوياته الحسية فمن لا يستطيع أن يرى قطرات المطر، يمكنه الاستماع لصوت نزولها،ومن لا يستطيع سماع ذلك يمكنه ملامستها وهكذا، أما عند قولنا فرح سقراط، فإن الفرح متعلق بجملة من العوامل المتداخلة نفسيا وديناميكا داخل سقراط، يبقى صدقها وكذبها مرتبطا بما يحس به سقراط دون غيره.

كما أن نظرية الإشارة تفضل الدلالة عن الإشارة في مجال أسماء الأعلام التي هي وحدها ترتبط دلالاتها بما تسميه من أشياء أو أشخاص في الواقع، ومن جهة أخرى لم تعد

[1] المرجع السابق، ص 182

[2] حمود جمال، المرجع السابق، ص 205

النظرية الجديدة توحد أو تخلط بين دالة القضية بدلالة اسم العلم، فقد كشف التحليل الجديد عن الفارق الجوهري من حيث التركيب والبساطة بين القضايا وأسماء الأعلام[1].

وحيث أنه لا يوجد سبب لافتراض أن العبارات الوصفية التي تصادف أن يكون لها إشارة لا تؤدى وظيفة مختلفة عن العبارات التي لا تشير – من الناحية السيمانطقية – فإننا نطبق نفس الإجراءات عليها جميعاً، مثل القول إن لشيء ما تلك الخاصة التي يحمل الوصف عليها ،ويصبح موضوع الحمل أو الوصف غير محدد ونكتفي بتمييزه بأنه متغير له سور وجودي. ومن الواضح أنه لا يمكن تطبيق هذه الطريقة فقط على التعبيرات من الصورة "هذا الشيء" أو "شيء ما" وإنما تنطبق أيضا على كل اسم ويدخل فيه اسم العلم[2].

وحين نتكلم عن صدق القضايا، بالنسبة لنظرية الدلالة فلا يكاد يخفى علينا أن راسل قد اعتبر من إثبات القضايا بالصدق أو نفيها بالكذب صفتين ملازمتين للعبارات المنطقية،فوصفنا للقضايا وأحكامنا التي نصدرها تجاه قضية ما ليس مجرد حكم كأي من الأحكام التي نعرفها، بل هو في الأساس محاكاة منطقية لجوهر ولب القضية المراد دراستها.

ومن المواقف التي تكشفها نظرية الأنماط أن "محمد" و"إنسان" كليهما اسم ولا تميز اللغة بينهما، لكنهما من نمطين منطقيين مختلفين، ولذلك فالجملتان " محمد مجتهد " و "الإنسان فان" جملتان اسميتان معا، لكنهما من صورتين منطقيتين مختلفتين، إذ إن الأولى قضية حملية، بينما الثانية صيغة مختصرة لقضية شرطية متصلة، تتخذ الصورة إذا كان س هو ا فإن س هو ب و إذا كان س إنسانا فإن س فان[3].

« أما في نظرية الإشارة: فإن الطابع الوصفي الاستدلالي للعبارات الوصفية التي تم ردها إلى دوال قضايا يبين أن الصدق والكذب ليسا صفتين جوهريتين لتلك القضايا، وإنما

[1] المرجع السابق، 206

[2] رسل برتراند، المرجع السابق، ص 182

[3] زيدان محمود فهمي، المرجع السابق، ص 25

يتوقفان على مطابقة أو عدم مطابقة تلك القضايا للواقع، أي أنهما أصبحا أكثر ارتباطا بالواقع وهكذا نجد أن التصور السابق للصدق والذي وصف بالتصور الظلامي، قد ترك مكانته لنظرية المطابقة في الصدق التي تحقق احد مطالب اللغة الكاملة منطقيا في تحقيق المقابلة بين اللغة والواقع[1].»

2- نقد فيتغنشتاين

لقد قام فيتغنشتاين بنقد أستاذه في نظرية الأوصاف المنطقية ونظريته في الدلالة والإشارة، وقد ركز في نقده على نقطة جوهرية تتمثل في الهوية، فقد أنكر وجود هوية بين الرموز والقضايا الذرية، وهذا ما يفضي إلى وجود ثغرات في نظرية راسل، وقد عبر فيتغنشتاين عن ذلك بقوله " وبناء على ذلك فعلامة الهوية ليست إحدى المكونات الأساسية في الرمز[2]"، والرمز كان ضمن الدوال والمتغيرات التي لمح إليها راسل.

بالإضافة إلى مشكلة الهوية فان راسل في اللغة الكاملة منطقيا قد اعتبر من أسماء الأعلام رموزا تامة، لكن فيتغنشتاين ينفي ذلك التصور ، بمعنى أن العالم عند فيتغنشتاين لا يتكون من مجرد موضوعات، بل من موضوعات منتظمة أو مرتبة على صورة وقائع،وتسمى هذه الوقائع بالوقائع الذرية، والواقعة الذرية نفسها مركب يضم مجموعة من الموضوعات التي تنحصر ماهية كل منها في كونه عنصراً يدخل في تركيب تلك الواقعة الذرية، ولكن الموضوعات التي تكون عناصر الوقائع الذرية لا تقبل نفسها التحليل ،نظراً لأنها تمثل جوهر العالم.

والموضوعات في رأيه ناقصة، بمعنى أنها لا توجد إلا في علاقة مع موضوعات

[1] حمود جمال، المرجع السابق، ص 207

[2] لودفينغ فيتغنشتاين، رسالة فلسفية منطقية، تر عزمي إسلام تق زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، دط، 1968، ص 533

أخرى ، وهى العلاقة التي تكوّن الوقائع، والوقائع متمايزة و مستقلة كل منها عن الأخرى،وهناك حد لإمكانيات التأليف أو التركيب الخاصة بكل موضوع من الموضوعات .ويقرر فيتغنشتاين، أنه مهما اختلف أي عالم خيالي متصور عن العالم الواقعي العيني، فإنه لابد لمثل هذا العالم الوهمي من أن ينطوي على شيء مشترك ألا وهو الصورة مع العالم الواقعي، ولما كانت الصورة مكونة بفعل الموضوعات، فإن أي عالم خيالي لابد من أن ينطوي على جواهر وصفات، مهما كان من اختلافها مع جواهر العالم الواقعي وصفاته،حيث يقول فيتغنشتاين:" ليس لشيء ما معنى إلا القضية فلا يكون لاسم ما معناه(دلالته) ، إلا وهو في سياق قضية ما[1]"

اعتبر فيتغنشتاين القضية أشمل من أسماء الأعلام من حيث تطابقها مع الواقع،فالقضية تحتوي على حتى وان كانت كاذبة، أما الأسماء فلا يكون لها معنى إلا إذا وجد مقابل له، ومثال ذلك فيما يلي: "أرسطو مؤلف كتاب المدينة الفاضلة" و اسم العلم "افروديت"، حين يتعلق الأمر بالدلالة فإن الجملة الأولى وان كانت كاذبة وليس لها وجود في الواقع إلا أنها ذات معنى بالنفي، أما اسم العلم افروديت فوجوده متعلق بمقابل له في الوجود، فإن وجد اعتبر ذا معنى وان لم يوجد لم يكن له أي قيمة.

« إلا أن فيتغنشتاين تخلى عن آرائه هذه في مرحلة كتابه بحوث فلسفية.وارتبطت فكرة الصورة المنطقية عند فريجه وراسل فيتغنشتاين بالتقارير النفسية أيضا ،مثل " تعتقد مارى أن فينوس مضيء " فذلك التقرير يدل على قضية لا هي قضية ذرية و لا مكونات منطقية من قضايا أبسط. وهذا – كما لاحظ فريجه – يجعل استبدال اسم باسم أخر لنفس الموضوع يؤثر على صدق التقرير النفسي فإذا عجزت مارى عن معرفة أن نجم الصباح هو فينوس، فان فينوس كوكب دون الاعتقاد أن نجم الصباح كوكب، لذلك تمسك فريجه وراسل

[1] المرجع السابق، ص 3

وفيتغنشتاين بأن التقارير النفسية مضللة فيما يتعلق بالصور المنطقية للقضايا الدالة[1].»

3- نقد كارناب

يعتبر كارناب من أشد الفلاسفة الذين تأثروا بنظرية راسل، هذا لا يعني أنه يتفق معه في جميع أفكاره، فقد رفض فكرة استبعاد ما كان يقال بواسطة العبارات الوصفية، بصفتها خضعت للتحليل المنطقي، الذي يتماشى مع ما ينص عليه نصل اوكام وفي هذا الصدد يقول كارناب :" سلبيات منهج راسل تكمن في واقع نفي الدلالة عن عبارات مفردة(أوصاف محددة) ، وعبارات دالة على فئات(الأوصاف الغامضة) ، إن هذين النوعين من العبارات يمكن إدخالهما بواسطة تعريفات سياقية، وهكذا ما كان يقال بالاستعانة بهما يمكن أن يقال بدونهما هو بالتأكيد مجال معنى التحليل الدلالي يجب القول – حسب اعتقادي – أن الأوصاف والعبارات الدالة على فئات لا تملك دلالة من درجة عالية من الاستقلالية ولكن هذا ينطبق أيضا على كل الأنواع من العبارات ما عدا الجمل[2]"

وقد كان هذا النقد الذي وجهه كارناب لنظرية الأوصاف والإشارة عند راسل مبنيا على أسس مبدأ إمكان التحقق، لان وظيفية الفلسفة في نظره قد تغيرت من بناء الأنساق الميتافيزيقية إلى بناء أنساق منطقية، وهو يتفق هنا مع راسل في رفضه للكلام الخالي من المعنى لكنهما اختلفا في المعايير التي نلغي بواسطتها العبارات الزائفة، إذ نجد كارناب يقسم العبارات الخالية من المعنى إلى ثلاث فئات، الأولى تتمثل في العبارات غير المفهومة كليا وهي التي نراها في الخرافات والأساطير، والفئة الثانية هي الجمل التي تفتقر إلى دلالة القواعد المنطقية، وهي التي تكون على شكل "إذا..... كان فإن....."، إذا كانت القضية "س" صادقة فإن "م" صادقة لكن القضية "س" إذا اعتبرت لغوا خاليا من المعنى فإن الجملة

[1] Hintikka,Jaakko and Hintikka,Merrill,B, Some Remarks (Wittgensteinian),Logical Form, Synthese, 1983, p 155

[2] Carnap,R, Meaning and Necissity, The University of Chicago Press, 2nd ed, 1956, p p 140-141

بأكملها تصبح ركاكة لغوية من حيث النحو الفلسفي، وتصبح هراء من حيث غياب الدلالة المنطقية، والفئة الثالثة هي كل التعبيرات الانفعالية، أما معايير راسل في بناء القضايا والجمل فقد وضحها من خلال تقسيم العالم إلى وقائع متناهية وتقسيم اللغة إلى رموز منطقية تحكمها دوال ومتغيرات.

« وإذا كان راسل يولي أهمية للمضمون الجوهري في كل واقعة من وقائع اللغة، فإن كارناب لا يركز على ذلك الجانب، فالتركيب المنطقي للغة عند كارناب يعتني باللغة في حالتها الصورية غاضا الطرف عن مضمون تلك اللغة، فهو مهتم بالعلاقة الصورية بين الجمل والألفاظ، وليس بمضمون تلك الألفاظ، لأن الاعتناء بالمضمون في نظره هو من شان العلم وليس من شأن منطق العلم[1].»

4- نقد كواين

أما كواين فقد بين أن الخطأ الذي وقع به راسل في نظرية الأوصاف يتعلق أساسا في عدم تفريقه بين مستويات معينة لاستعمال العبارات، فعند قولنا" الفيلسوف الانجليزي هو التحليلي" دون أن نميز فيلسوف معين لا يعني أن المعنى الكلي للعبارة باطل، فالحكم الكلي الذي يقول به راسل نجم عن تركيبه لأجزاء ومكونات العبارات.

« فقد اعتبر كواين صدق قضايا الهوية في العبارتين " نجمة الصباح هي نجمة المساء" و "نجمة المساء= نجمة الصباح" لا يرتبط بدلالة الألفاظ والكلمات فيها; لان صدق هذه القضية متعلق بمجال غير لساني هو علم الفلك، لذا فنحن بصدد اسمين هنا يشيران إلى الشيء نفسه(كوكب الزهرة) ، وهذا لا يدعو إلى الكلام عن الترادف أو الاشتراك في المعنى الواحد بشكل ضروري، وإنما أمام التماثل الاحالي في هذه القضية، فهذه القضية تشير بشطريها إلى الموضوع نفسه، وهذه المسالة تنبني على ما يسميه كواين التساوي

[1] زيدان محمود فهمي، المرجع السابق، ص 87

المنطقي والمعالجة الماصدقية، لمثل هذه القضايا[1].»

« فلئن كان استعمال عبارة احالية لغرض وحيد هو الإشارة إلى موضوعها، فهذا ما يصطلح عليه كواين بالوقوع التعييني المحض حيث إن كل عبارة تشير إلى الموضوع نفسه ستقوم بالتعيين نفسه رغم اختلاف اللوازم بين مختلف العبارات من الإحالة نفسها، لذلك اعتقد كواين أن مبدأ الاستدلال هو المقياس الوحيد الكفيل بالتفريق بين وقوع الأسماء في العبارات التعيينية المحضة ووقوعها في العبارات غير التعيينية المحضة[2].»

وبعد عرضنا لأهم الانتقادات التي وجهت لنظرية راسل، يمكننا إبراز أهم القواعد المنطقية التي اتخذ منها راسل حجة في دحضه وإلغائه للعبارات الوصفية من اللغة، على أساس أنها لا تفي بالغرض المرجو منها وهي كالتالي :

1- تأكيد راسل أن المنطق الرياضي وحده كفيل بتخليص اللغة عموما من مشكلاتها الزائفة.

2- العمل على كشف مكونات العبارات وتفكيكها من قضايا مركبة، إلى وقائع بسيطة تتداخل وفق الدوال والمتغيرات.

3- الرغبة في التخلص من الإرث المثالي والأفلاطوني، إذ لم تهتم المثالية ولا الأفلاطونية بالنحو الفلسفي كجزء هام من قواعد اللغة.

4- التخلص من الميتافيزيقا، وذلك بإقامة نسق لغوي منطقي متكامل، مبني على الفروق الاشارية والحدود اللغوية.

5- رفض راسل للتفريق بين المعنى والإحالة، بمعنى أن العبارات الدلالية، إما يكون لها معنى وجودي، وإما تكون خالية من المعنى.

[1] Quine,W, Le mot et la chose, tr Joseph Dopp et Paul Gochet, éd Flammarion, Paris, 1977, p 45
[2] Ibid, p 31

ومن جهة أخرى وبما أنها قد حافظت على التصور القديم لأسماء الأعلام الذي قامت عليه نظرية راسل المتقدمة، فقد أثارت مشكلة جديدة وهي ذات شقين :

1- الشق المنطقي، ويتمثل في أن أسماء الأعلام التي قبلت في نظرية الأوصاف على أنها رموز بسيطة هي ليست كذلك.[1]

2-الشق المعرفي، فإنه تمثل في كيفية معرفة أسماء الأعلام المنطقية ذاتها وكيفية معرفة ما تشير إليه أو ما تسميه في الواقع.[2]

[1] حمود جمال، المرجع السابق، ص 214

[2] المرجع نفسه، ص 215

المبحث الثالث :نظرية راسل في النحو الفلسفي

لقد فرق راسل في كتابه أصول الرياضيات، بين ما اسماه بـ اللغة العادية والنحو الفلسفي، وللوقوف عند المعنى الذي يقصده راسل بالنحو الفلسفي يجب علينا معرفة قواعد تركيب الصيغ، من ثوابت ومتغيرات عند راسل.

تتكون مفردات لغة حساب القضايا من رموز خاصة تستعار من أبجدية إحدى اللغات الطبيعية أو من رموز الرياضيات، وقد يتم خلقها، وهذا لا يعني أبدا أي صلة لهذه المفردات أو اللغة المنطقية التي يتم تركيبها منها باللغة الطبيعية التي نستعير شيئا من أبجديتها،فاللغة المنطقية لغة اصطناعية خاصة، ومن الضروري أن يكون سهلا على دارسي المنطق تداول النتائج التي يصلون إليها[1].

أما المفردات التي نحن بصدد التكلم عنها فهي تنقسم إلى نوعين من الرموز، هذه الرموز تسمى بالمتغيرات والثوابت ولكل منهما دوره، فالمتغيرات كما نعرفها في الرياضيات لا تشير إلى شيء محدد بوصف نهائي، أما في حساب القضايا فهي جمل مفردة بسيطة خالية من التعقيد والتركيب، وقد عبر عنها راسل بالقضية الذرية، فيمكننا التعبير عن المتغيرات بالحروف التالية : "ي" أو "م" أو "ن" أو "ت" أو نقول "p" ou "z" ou "s" ou "e"

أما الثوابت المنطقية فالغاية منها تتمثل في ربط المتغيرات، ولا يوجد قواعد آو نُظم تحدد ربط هذه المتغيرات، لهذا نستطيع الحصول على قضايا مركبة، كلما زاد استخدامنا للمتغيرات البسيطة وتنقسم الثوابت إلى ثلاثة أنواع من حيث عدد المتغيرات التي من الممكن أن تتداخل ضمنها في سياق منطقي وهي :

[1] نقلا عن، احمد أنور أبو النور، المنطق الطبيعي دراسة في نظرية الاستنباط الأساسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993، ص 33

1- الثوابت الصفرية

لا تكاد تستخدم حاليا بعد تطور المنطق الرياضي، لان الهدف منها هو النفي، يرمز لها بالرمز (A) ودائما ما يشير إلى الكذب، في حين نجد رمز مناقض له يطلق على الإثبات والصحة دائما، ويرمز له بالرمز

1-1- مجموعة الثوابت الثانية

يوجد فيها ثابت واحد يسمه بثابت النفي ويرمز له ~

وعلى سبيل المثال حينما نقول " الأستاذ ليس في القاعة "

تكون صورته المنطقية هكذا ~ م ، و م ترمز إلى القضية هنا، وهذا الرمز المنطقي لا يقابل المتغير "ليس" لغة وإنما جميع مرادفات النفي.

1-2- مجموعة الثوابت الثالثة

تتميز فيها الثوابت بربطها لقضيتين أو عبارتين أو جملتين، ليصبح الثابت هو ثالثهما، تتكون مما يلي :

1- الوصل: يرمز له بالرمز ∧ منطقيا أما لغويا فغالبا ما نعبر عنه بمتغير "الواو"واو الوصل، كقولنا راسل فيلسوف تحليلي وعالم رياضيات في الوقت ذاته.

2- الفصل: يرمز له بالرمز ∨ وهو ما نجده غالبا في اللغة العربية "أو" مثل قولنا "عليك بالرحيل أو البقاء"

3- اللزوم: ويرمز له بسهم ⇐ لا يوجد ما يقابله في اللغة العربية كمتغير ثابت لكن عادة ما يستخدم في أدوات الشرط كقولنا إذا نجح راسل في هدم الميتافيزيقا ستزول الفلسفة،أو قولنا "لولا مقالة مور ضد المثالية لما ظهر المنهج التحليلي"

4- التكافؤ: ويرمز له بالرمز ⇔ وهو ما يصطلح عليه لغة إذا وفقط إذا.

« لقد كان واضحا أن الفلسفة التحليلية للغة كان يهدف إلى بيان معاني الألفاظ بواسطة الكشف عما تشير إليه من أشياء في الواقع، هذا الاختلاف سيكشف عنه المنطق الحديث فيما بعد، فنظرية راسل في الحد لم تكن تفرق بين اسم العلم والمحمول حيث اعتبرتهما حدين حقيقيين يشيران إلى شيئين واقعيين[1].»

وما يعيننا هنا (نظرية راسل في الحد) هو التمييز بين نوع الصيغ، النوع الأول هو الصيغ صحيحة التركيب وهي الصيغ التي تخضع تماما لقواعد التركيب الخاصة بحساب القضايا، أما الصيغ فاسدة التركيب فهي تلك التي تخرق قواعد التركيب مرة واحدة على الأقل، وسوف نعرض الآن قواعد التركيب التي تقاس عليها الصيغ من حيث الصدق والكذب:

1- كل متغير قائم بذاته يمثل صيغة صحيحة التركيب.

2- ثابت الكذب Δ وثابت الصدق كل منهما صيغة صحيحة التركيب قائمة بذاتها.

3- كل صيغة صحيحة التركيب يسبقها ثابت النفي تكون صيغة جديدة صحيحة التركيب.

4- كل صيغة عبارة عن وصل لصيغتين صحيحتي التركيب تمثل صيغة صحيحة التركيب.

5- كل صيغة عبارة عن فصل بين صيغتين صحيحتي التركيب تمثل صيغة صحيحة التركيب.

[1] حمود جمال، المرجع السابق، ص 133

6- كل صيغة عبارة عن تضمن بين صيغتين صحيحتي التركيب تمثل صيغة صحيحة التركيب.

7- كل صيغة عبارة عن تكافؤ بين صيغتين صحيحتي التركيب تمثل صيغة صحيحة التركيب.

8- كل صيغة مركبة من الصيغ السابقة عن طريق استخدام ثابت أو ثوابت منطقية وفق نفس القواعد السابقة مرة ومرات تشكل صيغ صحيحة التركيب، هذه القواعد الثمانية تمثل الأساس في تمييز الصيغ صحيحة التركيب عن الصيغ فاسدة التركيب[1]، وهذا ما يسلم به راسل منطقيا في دراسته للنحو اللغوي، أي أن المناطقة لطالما لم يفرقوا بين النحو اللغوي كلغة وبين النحو المنطقي الخاضع لمبادئ المنطق الرياضي.

هذه القواعد والتراكيب يميزها راسل في النحو المنطقي، لا النحو الفلسفي لان هذا الأخير مرتبط بقواعد اللغة العادية، وهذا ما يتنافى مع اللغة المنطقية عند راسل والذي تتميز عن نظيرتها العادية بما يلي :

1- الصورية، فهي تستخدم الرموز والثوابت والمتغيرات كما أشرنا إلى ذلك سابقا

2- الدقة والسهولة، لا نجد فيها تكلفا لغويا كما نجده في الشعر مثلا فهي في متناول الجميع لان غرضها ليس التنميق لذاتها فحسب .

3- اللغة الاصطناعية، تختلف عن اللغة العادية وهي قابلة للتطور والتغيير حسب ما تمليه قواعد المنطق.

ومرد هذا أن راسل في هذه المرحلة الواقعية كان يعتقد على غرار مور في سلامة اللغة وقدرتها على التعبير الدقيق عن قضايا الفلسفة، إذ لم يحلل اللغة لذاتها وإنما حللها

[1] نقلا عن، احمد أنور أبو النور، المنطق الطبيعي دراسة في نظرية الاستنباط الأساسية، ص57

لتبرير مواقف فلسفية مستخدما في ذلك اللغة العادية[1]، وقد حدثنا راسل بهذا الخصوص عن قدرة النحو في تقريبنا من المنطق إذ نجده يقول" وعلى العموم ففي نظري إن النحو يقربنا من المنطق الصحيح بأكثر مما يعترف به الفلاسفة عادة، وسنتخذ النحو مرشدا لنا[2]."

يجب علينا أن نحدد ماهية النحو الذي يقصده راسل بقوله، أنه يقربنا من المنطق،فالنحو اللغوي ليس هو النحو الفلسفي والتحليل اللغوي يختلف عن التحليل المنطقي،من هذا الاختلاف يُمَكِنُنَا أن نقدم أمثلة على تعامل راسل مع النحو بدلالة الأشياء غير الموجودة، ثم ننتقل إلى أمثلة عن الأشياء الموجودة، وبهذه المقاربة بين المثالين، يمكننا أن نحدد النحو الذي يقصده راسل في تحليليه الفلسفي، ولنبدأ بالمثال التالي:

مبدأ عدم التناقض:

¬(أ ∧ ¬ أ)

فليس أن يكون (أ) أو ليس (أ) معاً.

في التناقض الذاتي:

¬(ض=ح ∧ ¬ض=ح)

ليس أن يكون (ض=ح) وليس (ض=ح) معاً.

في التناقض العرضي:

¬(ض ع ح ∧ ¬ض ع ح)

ليس أن يكون (ض ع ح) وليس (ض ع ح) معاً.

[1] نقلا عن، حمود جمال، المرجع السابق، ص 135

[2] راسل برتراند، المرجع السابق، ص87

الحيوان الطائر = المتوحش، قضية تحليلية كاذبة؛ لأنها متناقضة، والتناقض هنا مستند على المعنى الذاتي، أما المعنى العرضي 2 ليس بعدد زوجي أو 2 عدد فردي، فهذه قضية تركيبية كاذبة؛ لأنها متناقضة، والتناقض مستند على المعنى العرضي.

2- الكليات والضروريات وإثباتاتها بالمنطق الصوري والرمزي:

الإثبات الصوري في القضايا التحليلية القبلية:

"كل حيوان طائر هو غير متوحش"

فهذه كلية موجبة معدولة، ونقيضها هي الجزئية السالبة المعدولة:

"ليس بعض الحيوان الطائر هو غير متوحش"

وعن طريق تناقضهما، يجب أن تكون إحداهما صادقة، فالجزئية السالبة كاذبة، إذن الكلية الموجبة صادقة.

الإثبات الرمزي في القضايا التحليلية القبلية:

∀(ض) (ض≠ح) ↔ ¬(ض=ح)

الإثبات الصوري في القضايا التركيبية القبلية:

"كل (2,4,6,8...ن+2) فهو عدد زوجي"

فهذه كلية موجبة، ونقيضها هي السالبة الجزئية:

"بعض (2,4,6,8...ن+2) ليس بعدد زوجي"

وعن طريق تناقضهما، يجب أن تكون إحداهما صادقة، فالسالبة الجزئية كاذبة، إذن الكلية الموجبة صادقة.

طريقة بديلة:

"كل عدد صحيح (ن2) فهو عدد زوجي"

نقيضها:

"بعض الأعداد الصحيحة (ن2) ليس بعدد زوجي"

الإثبات الرمزي في القضية التركيبية القبلية:

(1) ∀(ض) (ض ¬ح) ↔ ¬(ض ح)

(2) من (1): ∀(ض) (ض ع ¬ح) ↔ ¬(ض ع ح)

(3) من (2): ∀(ض) (ض ع ح) ← (ع ضرورية)

إثبات الرمزي في العلاقة الممكنة من القضايا التركيبية القبلية:

(1) E(ض) (ض ح) ∨ (ض ¬ح)

(2) من (1): E(ض) (ض ع ح) ∨ (ض ع ¬ح)

(3): E(ض) ((ض ع ح) ∨ (ض ع ¬ح)) ← (ع ممكنة)

(4) من (3): E(ض) (ض ع ح) ← (ع ممكنة)

من هنا نجد أن راسل قد فرق بين النحو الفلسفي والنحو المنطقي من حيث دلالة الصدق، لأن الجمل أحيانا تكون متكاملة من حيث التراكيب النحوية، ويلعب ترتيب القضايا دورا هاما في إبراز ذلك الفرق، فقد نجد جملا لها بنى نحوية متشابهة، لكن بناها المنطقية مختلفة، إن عدم التمييز بين الصورتين أو البنيتين النحوية والمنطقية، أدى إلى الوقوع في أخطاء فلسفية جسيمة، حيث تبدو لنا بعض المسائل بأنها مشكلات في حين أنها ليست كذلك بل هي مشكلات وهمية ، ترتبت عن لغة تتألف من أشباه جمل وأشباه قضايا تعبر

عن كيانات وهمية ، ويمكن أن نوضّح ذلك عن طريق الأمثلة التالية:

فقد تكون الجملة بسيطة نحويا لكنها مركبة من الناحية المنطقية، فالجملتان: زيد وعمر شاعران، وزيد وخديجة متحبان، لهما نفس البنية النحوية وهما جملتان بسيطتان نحويا. لكنهما تختلفان في بنيتهما المنطقية. فالعبارة الأولى زيد وعمر شاعران قضية مركبة،لأنّها تتألف من قضيتين بسيطتين هما:

- زيد شاعر وعمر شاعر.

أما العبارة الثانية فإنها قضية بسيطة لأنها تعبر عن علاقة بين موضوعين جزئيين،هما زيد وخديجة واللذان يرتبطان بعلاقة المحبة.

نعبر رمزيا عن القضية الأولى بـ: شا(سـ 1) و شا(صـ1).

أما القضية الثانية فنعبر عنها رمزيا بـ: ع(سـ 1، صـ1)[1].

هذا بخصوص النحو المنطقي فقد اعتمد فيه راسل على صورنة القضايا، و تأكيد فكرة الاتصال، لأن هذا الأخير أمر منطقي مجرد، وصدقه لا يرتبط بخاصية الزمان والمكان التجريبية، بل بخاصية لمتسلسلة حدود مركبة، فقد ربط فكرة الاتصال هنا بفكرة الترتيب وليس فكرة الارتباط، لأن فكرة الارتباط تخلق مشكلات زائفة لامتناهية.

لكن هل معنى هذا أن النحو الذي قال به راسل مختلف تمام عن نحو اللغات العادية الإجابة ستكون بالنفي لان السبب يكمن في وجود جوانب اتفاق كثيرة بين النحو العادي وبين النحو الفلسفي(المنطقي) ومن بين أوجه الاتفاق نذكر ما يلي:

1- النحو العادي وليكن نحو اللغة العربية مثلا، لا يفرق بين الجملتين : "مفدي زكريا شاعر" و"مؤلف إلياذة الجزائر شاعر" إذ يعتبرهما جملتين اسميتين تتحدثان عن

[1] نقلا عن، زيدان محمود فهمي، المرجع السابق، ص 19

شخص واحد وهو مفدي زكريا.

2- اللغات العادية لا تفرق بين الجملتين: "سقراط هو سقراط" و"سقراط أستاذ أفلاطون وتعتبرهما من نفس النوع(جملتين اسميتين) ، وكذلك تنظر نظرية راسل في الحد إلى هاتين الجملتين.[1]

لقد اهتم راسل اهتماما بالغا بمسالة اللغة وعلاقتها بالمنطق، وقد اختلف مع مور حول مشروعية اللغة العادية، فراسل يعتقد أن اللغة العادية لا تصلح للقضاء على المشكلات الزائفة في اللغة، عكس مور الذي تساهل نوعا ما مع اللغة العادية.

ويعتقد راسل أن تأثير النحو اللغوي على الفلسفة تأثير عميق إلى حد بعيد، فاللغة العادية تضللنا بمفرداتها وتركيبها، ولابد أن نكون على حذر من هذين الجانبين إذا ما أردنا لمنطقنا ألا يؤدى إلى ميتافيزيقا خاطئة، فلمفردات اللغة تأثيرها على الحس المشترك، مع أن الحس المشترك هو الذي يخترع هذه المفردات، فاللفظ يطبق أولا على الأشياء المتشابهة تقريبا، دون أن يبحث فيما إذا كان لهذه الأشياء أي موضع من مواضع الهوية ،ولكن حينما يتوطد هذا الاستخدام للموضوعات التي يكون اللفظ مطبقا عليها، يصبح الحس المشترك متأثرا بوجود اللفظ، ويميل إلى افتراض وجوب أن يقوم لفظ واحد لموضوع واحد ذلك الموضوع الذي سيكون كليا في افتراض حالة الصفة أو اللفظ المجرد، وهكذا يميل تحت تأثير المفردات إلى نوع من الكثرة الأفلاطونية للأشياء والأفكار .

[1] نقلا عن حمود جمال، المرجع السابق، ص 135

المبحث الرابع: مفهوم الذرية المنطقية عند راسل

1- نبذة تاريخية عن المذهب الذري

امتد تاريخ الذرية عبر قرون من الزمن، إذ تعود إلى أربعة حكماء اقروا بان للوجود أصولا نوعية نجدها في الذرة*، ومن بين الأربعة نجد أن لوقيبوس(390-450 ق.م) الذي تكاد تنعدم المعلومات عنه من حيث النشأة والأصول والملامح الفكرية بصفة عامة، والمرجح أنه عايش انكساغوراس وامبذوقليس، والثاني ديمقريطس(370-460 ق.م) ، هما أول من أشار إلى الذرة كأصل للوجود إضافة إلى الاثنين الآخرين وهما ابيقور(270-342 ق.م) وتيتوسلو كريتيوسكاروس (حوالي 99-55 قم).

« إن الأجسام وخفتها، وتعدد الأشياء في العالم يفسره لوقيبوس انطلاقا من اختلاف الذرات في كميتها والجديد الذي أتى به يتمثل في قوله بوجود الخلاء الذي هو حقيقة موجودة كحقيقة المادة، والذرات ليست إلا تعبيرا عن الملأ، والعالم ليس إلا هذا الخلاء اللانهائي المملوء بالذرات المتعددة والتي تتكون بتجمع الذرات، وهذا العالم الذي نحيا فيه هو احد العوالم الممكنة اللانهائية لها»[1]، وهو يقصد بذلك أن العوالم تتألف من عدد لا متناه من الذرات، وقد يكون لوقيبوس هو الأول الذي أشار إلى ما يعرف اليوم بالأكوان المتعددة،والتي ظهرت مع ميكانيكا الكم.

وقد اختلف الفلاسفة الذريون الأوائل من حيث تعبير دلالة الذرة بالنسبة للكون، لكن

* المأخوذة من الكلمة اللاتينية atomes هي الجزء الفردي أو الجزء الذي لا يتجزأ، وتطلق على اصغر جزء من عنصر مادي ما، لكن هذا التعريف هو التعريف الكلاسيكي للذرة إذ نجد في الدراسات المعاصرة للذرة أنها ليست اصغر جزء من عنصر مادي، بل الذرة في حد ذاتها تحتوي على أجزاء لامتناهية الصغر مثل الكوارك، نقلا عن : جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، المرجع السابق، ص 588

[1] جعفر أل ياسين، فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، ط1، 1971، ص ص 126-127

التصور المشترك الذي كان بينهم ينص على أنه لا يوجد جسم مادي اصغر من الذرة التي لا تنقسم، إذ كانت في نظرهم لا متناهية في الصغر.

وقد أكد راسل صعوبة الفصل بين لوقيبوس وديمقريطس، لأنهما دوما يذكران معا،وفي نفس السياق، حيث إنهما أرادا الجمع بين الواحدية والتعددية، أي بين بارمنيدس وانباذوقليدس، اللذين يعتقدان أن كل شيء موجود في الكون مكون من ذرات وهي اصغر جزء في المادة، ولا يقبل الانقسام ماديا وهي موجودة منذ الأزل، ويفصل بينها فراغ، وستظل موجودة إلى الأبد[1]، لكن هذا التفسير الذي قدمه راسل يحتوي على مغالطة منطقية، فإذا ما طبقنا منهج راسل التحليلي(المنطقي على ما أورده) نجده قد وقع في تناقض من حيث التركيب المنطقي، فإذا كان يعتبر أن الذرة موجدة منذ الأزل، والأزل هو الشيء الذي له نهاية، وليست له بداية، فهو يقر أنها قابلة للفناء أو النهاية إن صح التعبير، ومن جهة أخرى يقول وستبقى إلى الأبد، والأبد هو الشيء الذي لا نهاية له، إذن هناك احتمالان الاحتمال الأول وقد يكون هو الأصح والذي يحيلنا إلى وجود مشكل في الترجمة الذي قصدها راسل، والاحتمال الثاني يقتضي وجود تناقض لغوي في العبارة.

أما في الفلسفة الحديثة فنجد أن الذرة، قد وجدت باسم أخر وهو ما يعرف عند بالموناد*، وهو بدوره استعار المصطلح من جيور دانو برونو الايطالي[2]، وقد كان الموناد بمثابة مبدأ أو منطلقا لمشروع لايبتنس اللغوي المتمثل في إقامة لغة كونية، تكون متناسقة ومتكاملة مثل التناسق الموجود بين جميع المونادات.

« من أهم الأبحاث التي نشرها "راسل" وبسط فيها جانبا هاما من جوانب فلسفته،بحث

[1] نقلا عن: راسل برتراند ، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، المرجع السابق، ص 144

* لفظ يوناني الأصل، ويدل على الوحدة، أطلقه أفلاطون على (المثال) ، وأطلقه لايبتنز على كل واحد من الجواهر البسيطة التي يتكون منها العالم، انظر: إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، دار الهيئة العامة، القاهرة، دط، 1983، ص 211

[2] ماهر عبد القادر محمد علي ، المرجع السابق، ص 34

نشره عام 1918 وأطلق عليه اسم "فلسفة الذرية المنطقية، حيث شرح وجهة نظره في التشابه الشديد القائم بين تركيب اللغة وتركيب العالم، وهو إنما أطلق هذا الاسم ليعبر به عن خلاصة رأية، فهي فلسفة ذرية، لأنه يذهب إلى أن العالم قوامه كثرة أشياء، معارضا بذلك الفلسفة المثالية التي تجعل من الكون كلا واحد متسق الأجزاء، وهذه الذرية منطقية، لأن الأجزاء التي ينتهي إليها بعد التحليل هي ذرات عقلية لا طبيعية مادية بالمعنى السائر المفهوم من هاتين اللفظتين[1].»

2- تصور المنطق الذري (الوقائع والقضايا)

بعد مهاجمة راسل للمثالية وانتقاده لها، اتخذ من الذرية المنطقية وسيلة يستخدمها في منهج التحليل، فالتحليل كان العمود الرئيسي الذي تنبني عليه فلسفته بشكل عام، لهذا أراد مراجعة المشكلات المتعلقة بالفلسفة والعلم معا، ولم بغفل أهم جانب في هذه المراجعة ألا وهي اللغة، وأول حقيقة انطلق منها هي أن العالم يحتوي على وقائع، وان الواقعة هي التي تجعل من القضية صادقة أو كاذبة.

2-1- الواقعة

معنى الواقعة: يقول راسل في كتابه الفلسفة الذرية المنطقية "حين أتحدث عن الواقعة فإنا اعني ذلك الشيء الذي يجعل قضية ما صادقة أو كاذبة، فإذا قلت السماء تمطر فإن قولي هذا يكون صادقا في حالة معينة من حالات الطقس وكاذبا في حالات الطقس الأخرى، فحالة الطقس التي تجعل قولي صادقا أو كاذبا حسب ما يمكن أن يكون الأمر عليه وهو ما سوف اسميه واقعة[2]".

ويسلم راسل بوجود تناظر بين الواقعة الذرية، والقضية الذرية التي تكون بمثابة وصف

[1] زكي نجيب محمود، برتراند راسل، دار المعارف، مصر، ط2، دت، ص 64

[2] نقلا عن: مهران محمد، المرجع السابق، ص 234

لها، ومن أهم صفات هذه الواقعة حسب تعريف راسل، يتضح أنها تجريبية أي يمكن التحقق من وجودها في الواقع، كما أن وجودها سابق عن القضية الذرية.

« ويؤكد علي عبد المحسن في كتابه السيميوطيقا ومشكلات الفلسفة: "إن راسل كغيره من المناطقة المحدثين مثل "رامزي" و"فيجينشتاين"، يميز بين الواقعة والشيء فقولنا: كتاب،قلم، مصباح، هي أشياء كل منها قائم بذاته، أما الواقعة فهي بناء يتألف من ارتباط تلك الأشياء بعلامة معينة، مثل قولنا: الكتاب إلى جانب القلم، الصورة على الحائط،المصباح معلق في السقف، ويمكننا أن نجد الواقعة الواحدة تتكون من أجزاء هي نفسها وقائع، كقولنا: سقراط أثيني حكيم، والواقعة الثانية سقراط حكيم[1]».

2-1-1- أنواع الواقعة

بالنسبة لأنواع القضايا فقد صنفها راسل إلى نوعين من ناحية الكم، كالوقائع الذرية والجزئية والعامة، ومن حيث الكيف كالوقائع الموجبة والسالبة.

2-1-1-1 الوقائع الذرية

المقصود بالواقعة الذرية هي تلك الواقعة التي تناظرها القضية الذرية وتقرر إذا ما كانت هذه القضية صادقة أم كاذبة، وقد تكون الواقعة الذرية مشتملة على جزئية من الجزئيات تحوز كيفية من الكيفيات، ويأخذ راسل هذه الوقائع بمعنى مختلف عما قد نفهم وقائع مثل (هذا احمر) لأننا عادة ما نفهم على أنها تعني هذا الشيء بوصفه موضوعا فيزيائيا هو ابيض، غير أن راسل لا يقر بهذا الفهم.

2-1-1-2- الوقائع السالبة والموجبة

لقد صنف راسل الوقائع من ناحية الكيف، من حيث الإيجاب والسلب، حيث يرى أن

[1] علي عبد المحسن جمعي، السيميوطيقا ومشكلات الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1998، ص 43

هناك تمييز للوقائع، ويكون اقل صعوبة بين الوقائع الموجبة والسالبة، حيث يعطي مثالا عن هذه الوقائع، فالواقعة "أفلاطون حي" مثال عن الواقعة الموجبة، والواقعة "أفلاطون ليس حي " مثال عن الواقعة السالبة[1].

3-1- القضية

« هي التعبير الذي نعبر به عن الواقعة، وقد عرفها راسل" بأنها الجملة الإخبارية التي تحتمل الصدق والكذب، ومن ثم فإن صيغة السؤال والتمني والأمور والنهي والنداء ليست قضايا، والمقصود باحتمال الصدق والكذب إن القضية تقرر شيئا أو تذكره أو أنها تحتوي حكما نعتقد بصدقه أو كذبه[2]»

« كما نجد راسل يعرف القضية في كتابه مدخل إلى فلسفة الرياضيات قائلا:"إن ما نقصده بالقضية هو في الأساس شكل أو صور للكلمات التي تعبر عن ما هو صادق أو كاذب، وما اقصده أساسا هو أنني لا ارغب في إقصاء الرموز اللفظية، أو حتى مجرد الأفكار التي لها خاصية رمزية، ولكنني أتصور أن مفردة قضية في حد ذاتها يجب أن تكون محدودة بقدر ما يسمى رموزا، وبالتالي فهذه الرموز يمكن اعتبارها تعبيرا عن الصدق أو الكذب[3]»، فعندما نقول "راسل فيلسوف" ونقول راسل ليس فيلسوفا" فان هذين القولين يعتبران قضيتين، لكن لا تعبر بالضرورة كل عبارة عن قضية فقولنا: $(w+y)^2= w+2wy+y^2$ لا يعني أنها قضية لأنها لا تحكم بشيء معين.

3-1-1- أنواع القضية

3-1-1-1- القضية الذرية

[1] مهران محمد، المرجع السابق، ص 252

[2] زيدان محمود فهمي، المنطق الرمزي نشأته وتطوره، دار النهضة العربية، الإسكندرية، ط2ر 2009، ص 181

[3] راسل برتراند، مدخل إلى فلسفة الرياضيات، تر عبد اللطيف الصديقي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2009، ص 163

هي تلك التي تقرر أن شيئا معينا له كيفية معينة، أو أن أشياء معينة لها علاقة معينة، وعلى الرغم من أن القضايا الذرية قد تكون لها أية صورة من عدد لا متناه من الصور، إلا أنها جميعا تمثل نوعا واحد من القضايا، وجميع الأنواع الأخرى هي قضايا من أنواع أكثر تركيبا، ومن أمثلة القضايا الذرية "هذا احمر" أو قولنا "هذا قبل ذلك[1]".

يمكننا القول أن القضية الذرية هي ابسط القضايا التي تعبر عن الواقعة الذرية، فهي التي تنسب فيها صفة من الصفات إلى الجزئي، أو قد تكون فيها علاقة بين جزأين، وقد اعتمد راسل كثيرا على هذا النوع من القضايا في بناء نسقه الذري.

« ويقدم يرنكبيا تعرفين للقضية الذرية: فهي القضية التي لا تحتوي أي جزء مما يكون في ذاته التي تقرر في ذاته قضية، والتي لا تحتوي كلمات "ككل" أو "بعض" ويعرفها على أنها القضية التي تقرر أن لشيء ما صفة معينة، أو عدة أشياء على علاقة معينة فيما بينها[2].»

3-1-1-2- أنواع القضية الذرية

وبعد أن تعرفنا على معنى القضية الذرية، يمكننا الأن التعرف على أنواعها، والمتمثلة أساسا في نوعين هما القضية الشخصية الحملية، مثل قولنا "زيد شاعر"، والقضية العلاقية التي تربط بين موضوعين كقولنا "زيد أفصح من سلمة"

3-1-1-3- القضية الحملية

الحمل علاقة تنطوي على اختلاف منطقي أساسي بين حدين، يمكن أن يكون للمحمولات ذاتها محمولات، لكن ستكون محمولات المحمولات مختلفة اختلافا أساسيا عن

[1] نقلا عن: مهران محمد، المرجع السابق، ص 249

[2] زيدان محمود فهمي، المرجع السابق، ص 184

محمولات الجواهر (الموضوعات[1])"

ويعتبر الكثير من المناطقة أن القضايا الحملية هي صورة بسيطة للإثبات أو الإنكار ،وهي بذلك لا تخضع لأي شرط من الشروط، إذ يكون الحكم فيها مطلقا بعيدا عن كل قيد، وقد صُنفت هذه القضية في المنطق الكلاسيكي وفق التقسيم الرباعي والمتمثل في:

1- قضية كلية موجبة

2- قضية كلية سالبة

3- قضية جزئية موجبة

4- قضية جزئية سالبة

وقد اختلف راسل في ذلك الأمر مع المناطقة الكلاسيكيين، لأن ابسط القضايا عنده هي تلك التي يطلق عليها القضية الذرية، إذ يحتوي احد أفراد تكوينها على وصف معين، ولا تشتمل بالضرورة على لفظ كل أو بعض، كقولنا "راسل منطقي" عوضا عن قولنا "كل(بعض) راسل منطقي"

« أما القضية الحملية عند راسل فهي صورة منطقية أساسية من صور القضايا ولا يمكن الاستغناء عنها، والقضية الشخصية هي القضية الحملية بالمعنى الدقيق، أما القضية الكلية أو العامة فإنها ليست حملية إذ لا تحتوي على موضوع حمل بالمعنى الدقيق، وإنما تنطوي على علاقة معينة بين محمولين[2].»

3-1-1-4- القضية العلاقية

« تتخذ القضية صورتين: ما يستند فيها محمول إلى اسم شيء جزئي وما تنطوي

[1] المرجع السابق، ص 184

[2] المرجع السابق، ص 185

على علاقات بين أسماء أشياء جزئية ونلاحظ أن كلا الصورتين تنطويان على فعل أو صفة وفعل، أو لفظ من ألفاظ العلاقة، ولاشك أن لكل من الفعل والصفة ولفظ العلاقة استخداما خاصا وبالرغم من ذلك يمكن وضع الفعل والصفة مع ألفاظ العلاقات من حيث أنها تدل جميعا على علاقات، فإن كان لفظ العلاقة متعلقا بحد واحد كان يكون فعلا لازما أو صفة نسميه "علاقة واحديه"، ونسمي ذلك اللفظ أو تلك العلاقة محمولا، وتصبح القضية التي يرد فيها الفعل اللازم أو الصفة والفعل قضية حملية، وان كان لفظ العلاقة متعلق بحدين أو ثلاثة حدود أو أكثر نسمي العلاقة "علاقة ثنائية" أو "علاقة ثلاثية" ، والأفعال هي ألفاظ تعبر عن علاقة من نوع أعلى[1].»

فالقضية الذرية لا تؤسس على حد واحد بل ترد كعلاقة، إذ يصبح فيها الحد موضوع محمول ونجمع بينهما في علاقة، هذه العلاقة نعبر عنها بألفاظ مثل "اقل من، اشمل من"،ولا تكون بالضرورة أحادية أو ثنائية من حيث الحدود، لأن تعدادها مرتبط بتعدد الحدود.

3-1-1-5- القضية الجزيئية

وهي في نظر راسل التي ترد فيها كلمات مثل "أو، إذا، و، إذا كان"، ومثال ذلك قولنا : راسل أما فيلسوف أو رياضي"، عند تحليلنا لهذا العبارة نجد أنها تجمع بين قضيتين ذريتين، "راسل فيلسوف" قضية جزئية، و"راسل رياضي" قضية ثانية، وقد تكون بين أكثر من من قضيتين ذريتين كقولنا "راسل فيلسوف وليس زيد أو ويفرلي"، يتضح لنا أننا استعملنا أكثر من لفظ دال على أجزاء للعبارة.

والفرق بين القضية الذرية والقضية الجزيئية يكمن في تدخل أدوات الربط، فالقضايا الذرية تتسم بالبساطة والقضايا الجزيئية تكون مركبة أيضا، لأن قضاياها تتداخل وتتركب

[1] المرجع السابق، ص 186

باستعمالنا لأحد أدوات الربط.

4-1- أنواع القضية الجزئية

4-1-1- قضية الوصل

قد تكون صادقة أو كاذبة، فمثلا قولنا: "راسل رياضي و سياسي"، بعد تحليلنا لهذه القضية نجد أنها تأخذ أربعة أحكام من حيث الكم والكيف، ولا تصدق قضية الوصل إلا في حالة صدق موصلاته، ويعبر عنها رمزيا بـ : (قΛ ك) ومثالها في اللغة العادية راسل فيلسوف ورياضي، وبعد تحليلنا لهذه القضية فإننا أمام أربعة احتمالات وهذا ما نوضحه في الجدول التالي:

(ق)	(ك)	(ق Λ ك)
1	1	1
1	0	0
0	1	0
0	0	0

ويتضح من هذا الجدول أن قضية الوصل لا تكون صادقة إلا إذا كانت القضيتان الذريتان اللتان تتألف منهما صادقتين معا، وتكون كاذبة في بقية الحالات

4-1-2- قضية الفصل

ويعبر عنها بالصيغة (قv ك) ومثالها في اللغة العادية «..... أو .....» ولا تكون كاذبة إلى في حالة كذب الطرفين معا كما في الجدول التالي:

(ق)	(ك)	(قv ك)
1	1	1
1	0	1
0	1	1
0	0	0

4-1-3- قضية الشرط

« هي صيغة تتكون من قضيتين تربطهما أداة شرط، يرمز لها بالسهم المتجه من اليسار إلى اليمن كما سبق واشرنا إليها، وتسمى أيضا بصورة القضية الشرطية المتصلة، ومن هذا يتضح لنا وببساطة أنه لا يمكن أن يكون(ق) دون وجود(ك) ، ويكون الشرط صادقا كلما كذب المقدم أو صدق التالي ويكذب كلما صدق المقدم وكذب التالي»[1]، وهذا ما سوف نوضحه في الجدول التالي:

(ق)	(ك)	(ق ⇐ ك)
1	1	1
1	0	0
0	1	1
0	0	1

[1] موساوي احمد، مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة، معهد المناهج، الجزائر، دط، 2007، ص 94

ومضمون قاعدة الشرط تحتوي على ربط الفصل في حالة الإثبات وعلى رابط الوصل في حالة النفي، كما في الصياغة الآتية :

حالة الإثبات: (ق ← ك) ≡ (~ ق v ك)

حالة النفي: ~ (ق ← ك) ≡ (قΛ ~ ك)[1]

4-1-4- قضية التكافؤ

« رمز التكافؤ هو العلامة ≡ أو ⇔ وقاعدة هذه الدالة أن تصدق إذا صدقت القضيتان معا، أو إذا كذبت القضيتان معا، وقد وضع راسل تعريفا لها بواسطة دالتي الشرط والربط، وتنتج دالتي حيث أنه يختلف موضع المقدم والتالي في أحداهما عن الأخرى، فإذا كان في الدالة الأولى يكون فيها المقدم هو الطرف الأول والتالي هو الطرف الثاني، فإنه يجد العكس في القضية الثانية أي أن التالي يسبق المقدم ويربط بينهما بثابت الوصل والصيغة الرمزية لهذا التعريف هي (ق ← ك) Λ (ك ← ق)[2].»

مثل قولنا الأرض تدور حول الشمس أو إن للأرض دورة فصلية، فهاتان القضيتان متكافئتان ومتساويتان في الصدق، ففي حالة التشارط لا يعني أن يكون المعنى في القضيتين المتشارطتين واحدا، وإنما أن تكون قيمة الصدق واحدة.

« نجد هذا النوع من القضايا في الرياضيات، وبالخصوص عندما يتعلق الأمر بتحديد المفاهيم الرياضية المتكافئة فيما بينهما، أي عندما يكون المعرَف يكافئ المعرِف،ففي تعريف الأشكال الهندسية مثلا نقول: الدائر شكل هندسي متكون من خط منحني مغلق في جميع النقاط المتساوية البعد، من نقطة المركز والعكس صحيح، إذا كان الخط منحنيا مغلقا

[1] المرجع السابق، ص 95

[2] زيدان محمود فهمي، المرجع السابق، ص ص 193-194

وجميع نقاطه متساوية البعد من نقطة المركز فهو دائرة[1]»، وهذا ما نوضحه في الجدول التالي:

(ق)	(ك)	(ق ⇔ ك)
1	1	1
1	0	0
0	1	0
0	0	1

5- موقف راسل من القضايا الحملية

لقد كان عرضنا الموجز للقضايا الحملية المنطقية كتمهيد للنظرة التي زودنا بها راسل، فهو عندما اطلع على أبحاث المناطقة من قبله ونتائجهم توصل إلى مفارقات،وأخطاء تتغلغل في مناهجهم العلمية، لهذا درس المنطق ابتداء من أرسطو، إلى غاية العصر الذي كان يعيش فيه، وما توصل إليه في هذا المجال هو عدم تقبله لفكرة التقسيم التقليدي للقضية الحملية.

« لقد وقف راسل موقف آخر من قضايا المنطق التقليدي، فباعتبار القضية العامة شرطية متصلة وليست حملية أدى به إلى الخوض في غمار نسق المنطق التقليدي بشيء من الجدية، فالقضية "كل الإغريق ناس" عند فحصها بدقة إنما هي تقر بصدق كل القيم وهذه القيم هي ما يسميه راسل بالدالة القضية»[2]، وقد صنف راسل هذه الدوال إلى ثلاثة أنواع:

[1] موساوي احمد، مرجع سابق، ص 248

[2] ماهر عبد القادر محمد علي، المرجع السابق، ص 131

النوع الأول: "إذا قلنا إذا كان س إنسان فإن س فان"، حيث "س" متغير إذا استبدلناه بسقراط فتصبح القضية "إذا كان سقراط إنسان فإن سقراط فان"، حيث تصبح الدالة على هذا النحو قضية دائما أي أنها ضرورية

« النوع الثاني: إذا قلنا "س إنسان" فهذه صورة أخرى للدالة وإذا استبدلنا س سقراط تصبح الصورة التي لدينا للقضية هي "سقراط إنسان"، بينما إذا وضعنا مكان المتغير "س"كرسي تصبح القضية "الكرسي إنسان" ومن ثم تكون الحالة الأولى صادقة أما الحالة الثانية تكون كاذبة وهذا النوع من الدالة يسميه راسل دالة القضية الممكنة[1].»

النوع الثالث: يتمثل في القضايا التي لا تصدق بتغيير احد المتغيرات، ومثال ذلك كقولنا: "م رجل"، فإذا غيرنا المتغير "م" بكلمة الخنساء، تتغير إلى " الخنساء رجل" وهذا ما يجعلها قاضية فاسدة.

6- حساب المحمول عند راسل

« عرض راسل بعض أفكاره الخاصة بنظرية حساب المحمول في المقالة التي نشرها سنة 1908م تحت عنوان "المنطق الرياضي"، مستندا إلى نظرية الأنماط إلا أنه طور النظرية تطويرا دقيقا في مبادئ الرياضيات[2]».

وقد أشار راسل إلى نظرية حساب المحمول مع الفرد نورث وايتهد وذلك لأنه وجد اختلافا بين نظرية حساب القضايا، ونظرية حساب المحمول، ويتمثل هذا الاختلاف في أن النظرية الأولى والمتعلقة بحساب القضايا تجعل من القضية كلا واحد، بمعنى أخر تكون القضية المراد دراستها كوحدة تامة، أما مع نظرية حساب المحمول فتتناول القضية تفصيلا،إذ يتم الرمز للموضوع والمحمول كل على حدة، كما تضع رمزا للسور الكلي، وأخر

[1] المرجع نفسه، ص 132

[2] ماهر عبد القادر محمد علي، نظريات المنطق الرياضي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2005، ص 124

للسور الجزئي، أما بخصوص الروابط فإنهما – أي نظريتان حساب القضايا وحساب المحمول – يتفقان بخصوص الروابط المنطقية.

7- التحليل اللغوي تحت معاول الذرية المنطقية

لقد حاول راسل جاهدا رد الأصول الرياضية لعلم المنطق، وقد عبر عن ذلك في جل مؤلفاته لكنه خصص كتابه حول الذرية المنطقية لتوضيح أهمية هذه النظرية في تحليل العالم واللغة، وقد كان هذا التحليل، تحليلا رياضيا ومنطقيا في نفس الوقت، ولم يقتصر عمل راسل في مجال المنطق والرياضيات فحسب، بل انعكس على مجمل فلسفته، فكانت الذرية المنطقية التي نادى بها راسل درعا لمواجهة المثالية،واستكشاف المفارقات المنطقية في أبحاث المناطقة والعلماء الذين سبقوه.

والحقيقة الغريبة في الفلسفة هي أن المعطيات التي نبدأ بها ولا يمكن إنكارها دائما ما تكون فجة، ومبعثا للغموض، يمكنك أن تقول على سبيل المثل، " يوجد عدد من الطلبة في القاعة في هذه اللحظة"، من الواضح أن هذا القول، بمعنى ما، لا يمكن إنكاره، ولكن عندما تحاول أن تحدد ماذا تكون هذه القاعة، وما الذي يجب أن يكون للطالب في القاعة، وكيف ستتمكن من تمييز طالب من آخر، وما إلى ذلك، ستجد أن معظم ما ذهبت إليه "فجا"،وحقيقة ستجد نفسك قاصرا عن معرفة ما كنت تعنيه[1].

ولمثل هذه التناقضات اللغوية حاول راسل أن يستكشف مواضع الخلل، الذي يعيقنا في إدراك ما نعنيه، وذلك بتطبيقه للمنهج التحليلي وفق خطوات الذرية المنطقية، فعند تحليلنا لأقوالنا إلى وقائع وقضايا جزئية سنتمكن من إزالة ذلك اللبس، عن طريق الفحص الدقيق لمحتويات اللغة، سواء كانت ألفاظ أو قضايا، أو عبارات وحتى أسماء الأعلام.

ويبدو أن القواعد السيئة في اللغة هي التي قادت، في الواقع، الفلسفة الكلاسيكية إلى

[1] نقلا عن، ماهر عبد القادر محمد علي،المرجع السابق، ص 159

اللغو الميتافيزيقيٍ، وخصوصا في مسالة الوجود، لكن مع الذرية المنطقية يعتقد راسل جازما أنه سيتخلص من الكثرة الانطولوجية والغموض اللغوي، الذي شكل أوهاما وهواجس منطقية للفكر الإنساني طيلة قرون، إذ يجب الأخذ في الحسبان في قضايا المعرفة ما هو معطى وما هو مستنتج، مع تركيزنا في كلتا الحالتين على النتيجة النهائية غير القابلة للتجزئة.

خاتمة

يتضح لنا من خلال عرضنا لأهم نظريات راسل في دلالة النقد اللغوي أنه قد ركز على منهجه الرياضي المنطقي، وقد أجاب على اغلب المفارقات التي وجدت قبله،حتى وان تعرض في العديد من المواقف لانتقادات بعض الفلاسفة والعلماء، وأبرزهم تلميذه فيتغنشتاين، إلا أنه قد استطاع أن يكشف الكثير من الغموض اللغوي في اللغة العادية، كما أن استخدامه لفكرة الدالة والمتغير في تحليل العبارات الوصفية قد وضحت ما يمكن أن تحتاج إليه اللغة حتى تتجاوز مشكلاتها الزائفة، ويكفي أن نرى ذلك الزخم والأثر الكبير الذي خلفته نظرية الأوصاف والدلالة في الحقل الفلسفي، فحتى منتقديه كانوا يعترفون بمدى أهمية اكتشافات راسل.

الفصل الثالث

اللغة الكاملة منطقيا بين يقين المنطق

واستبعاد الميتافيزيقا

المبحث الأول: مواقف فلسفية من اللغة العادية.

المبحث الثاني: المعرفة والدلالة في اللغة الكاملة منطقيا عند راسل.

المبحث الثالث : تقويض الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة.

الفصل الثالث: اللغة الكاملة منطقيا بين يقين المنطق واستبعاد الميتافيزيقا

يمكن القول إن فلسفة اللغة قد اقترنت بحد كبير بالفلسفة التحليلية، وهناك من يرى أن فلسفة اللغة لم تكن لتصل إلى ما هي عليه، إلا بفضل التطور الذي عرفته الفلسفة التحليلية في القرن العشرين، فقد سعى ثلة من الفلاسفة والمناطقة إلى كشف عيوب اللغة العادية وأبرزهم: فريجه ومور وراسل وفيغنشتاين وأصحاب الوضعية المنطقية، وقد اشترك كل هؤلاء في البحث عن لغة صارمة، أو شاملة مثل اللغة التي كان يحلم بها لايبتنس، وقد فُتن هؤلاء المناطقة والفلاسفة بالمنطق إلى حد كبير، حتى باتت اللغة المنشودة من طرفهم تَخِرُ – أي المناطقة – تحت وطأة المنطق الرياضي، وفي هذا الفصل سنكتفي بنموذج واحد، كما نسلط الضوء على أهم من ساهموا في محاولة الوصول إلى لغة تكون كاملة منطقيا، وسنتعرض إلى محاولة راسل في بناء تلك اللغة، كما سنعمل على طرح أهم الخطوات والغايات التي جعلته يؤسس لهاته اللغة.

المبحث الأول: مواقف فلسفية من اللغة العادية.

1- موقف مور

كان مور من بين الفلاسفة اللذين دعوا إلى إعادة النظر في اللغة العادية، فقد كان تحليل القضايا والعبارات الفلسفية، يشوبه نوع من الغموض والتشويش، إذ يرى مور أن الإجابات التي ندلي بها حول القضايا الفلسفية، دائما ما تكون متضاربة، وتكون متناقضة أحيانا، وهذا لا يتعلق بالفلسفة على وجه الخصوص، وإنما يتعلق بجملة من العلوم، وحتى في الخطاب العادي نحن نقع في أخطاء ساذجة، وقد كان التصور السائد آنذاك، يُحمل الإجابات مسؤولية أخطائنا، فنحن نقع في التناقض حينما تكون إجابتنا خاطئة، لكن هذا التصور في نظر مور كان نفسه سببا في عدم كشفنا للحقائق، لأن النتيجة أحيانا تكون صادقة ومع ذلك يبقى الغموض موجودا ؟ هذا ما جعل مور يكشف لنا من خلال منهجه التحليلي مشكلات أخرى تؤدي بنا إلى الوقوع في الارتياب اللغوي في الكثير من الأحيان.

«ولهذا لم تكن المشكلة عند مور هي ماذا نعرف، بل المشكلة عنده هي ماذا نعني بهذا الذي نقول أننا نعرفه؟ وبعبارة أخرى، فإن غاية الفلسفة عنده ليست اكتشافا لحقائق لم نكن نعرفها من قبل، بل هي توضيح ما سبق لنا معرفته، واهم وسيلة لهذا التوضيح هي تحليل اللغة العادية، ويلجا مور إلى اللغة العادية بوصفها اللغة المعبرة بشكل صادق عن التصورات والمفاهيم التي نتوصل إليها بالحس المشترك، فما هو الحس المشترك؟ وهل أسس مور دفاعه عن الحس المشترك على اللغة العادية.[1]»

للإجابة عن هذا السؤال يتوجب علينا أن نستقصي مفهم التحليل عند مور، لأن هذا الأخير لم ينظر للتحليل كمنهج بقدر ما طبقه في فلسفته، ويمكننا القول أن مور ركز في

[1] صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص 23

منهجه التحليلي على نقطتين:

1- « الفلسفة التحليلية تحليل للقضايا والتصورات، وليس تحليلا للتعبيرات اللفظية حين يرفض مور أن يعني بالتحليل تحليلا لتعبيرات لفظية فإنه يشرح تحليل تعبير اللفظي على النحو الأتي: " هــ هو وصغير" - والمثال استعاره مور من لانجفورد- هو أن نقول أنها تحوي الحرف "هـ" وفعل الكينونة "هو" و الحرف "و" وكلمة هو "صغير" هذا هو تحليل التعبير اللفظي وفقا لمور، وهو التحليل الذي يرفض أن يكون هو ما عناه، أي أنه باختصار يرفض أن يكون التحليل تحليلا بنائيا صرفا[1].»

2- إن موضوع التحليل هو موضوع الفكرة والقضية: ومعنى هذا أننا نقوم بتحليل عبارة لفظية وتجزانها، وما يجعلنا نحكم على القضيتين هو اجتماعهما في المعنى فإن اختلفتا في اللفظ يجمعهما تصور واحد.

لهذا نجد مور يؤكد على ضرورة إدراكنا لما نعرفه سابقا، وأننا لا ندعي معرفة إدراكنا للأشياء، والقضايا، إلا بعد أن نقوم بتحليلها من حيث الفكرة، وليس من حيث اللفظ فقط،لأن اللفظ يحتاج إلى تعديلات حتى نحكم عليه بالصدق أو الكذب لهذا نجد أن التحليل الصحيح وفقا لمور يتلخص في :

1- تحليل التصورات ليس تحليلا بنائيا لتعبيرات لفظية.

2- أن تختلف العبارة المعبرة عن التصور المراد تحليله عن تلك المراد بها تحليل التصور في التعبير اللفظي.

3- أن يجمع العبارتين المختلفتين في التعبير اللفظي هوية في المعنى، كقولنا " م جبل" ونقول في عبارة أخرى "صخور جد مرتفع"، نجد أن اللفظين يختلفان، لكن ما يجمعهما هو اشتراكهما في نفس المعنى.

[1] Schillp. P.A, The Philosophy of G.E.Moore, Northwestern University, 1942, P 661

نفهم من هذا أن تحليل مور ينصب على القضايا والتصورات التي نتعامل معها في حياتنا اليومية، وليست اللغة العادية المنوطة بالتحليل فقط، بل أيضا اللغة الفلسفية والعلمية جديرة بتطبيق المنهج التحليلي عليها، لكن نظرا لما يقصده مور بالحس المشترك فإن الهاجس الأكبر في اللغة يتمثل في اللغة العادية لا اللغات الأخرى، وقد كان اهتمامه في تحليل اللغة العادية منصبا على معناها وليس على صدقها، فمور يفرق بين معنى القضية وصدقها.

1-1- شروط التحليل عند مور

1- لا يمكن لأحد أن يعرف أن موضوع التحليل ينطبق على موضوع ما دون معرفة أن عبارة التحليل تنطبق على الموضوع نفسه، يعني أن يكون هناك تطابق وتداخل فيما بين موضوع القضية المراد تحليلها وبين معنى العبارة.

2- لا يمكن لأحد التحقق من صدق موضوع التحليل دون أن يكون بإمكانه التحقق أيضا من صدق "عبارة التحليل".

3- يجب أن يكون التعبير عن التصور موضوع التحليل مرادفا للتعبير المستخدم لعبارة التحليل، هذا التطابق يسمح بنتائج صادقة مبدئيا.

4- يجب أن يذكر التعبير المستخدم لعبارة التحليل صراحة تصورات لم يذكرها التعبير المستخدم لموضوع التحليل، مثلما قلنا في المثال السابق يكون هناك تلازم بين القضيتين من حيث المعنى، فعندما نقول "بناءات ضخمة في الجيزة" ونقول في عبارة أخرى " من الآثار الفرعونية" فإننا هنا نتكلم عن معنى واحد وهو الأهرامات المصرية، لكن تعبيرنا في الألفاظ مختلف تماما، وما يجمع العبارتين هو المعنى الدال عليهما في تصور واحد.

5- يجب أن يذكر التعبير المستخدم لعبارة التحليل أيضا الطريقة التي اجتمعت بها

تصورات عبارة التحليل في تصور موضوع التحليل، فبالعودة إلى المثال السابق نجد أن عبارة التحليل قد ذكرت الطريقة التي اجتمعت بها تصورات عبارة التحليل[1].

بعد تفنيد مور للمثالية وخروجه من الأنساق التقليدية التي كانت تحيط به، وجد نفسه من جديد أمام مجموعة من العوائق، فقد حاول أن يدافع عن المواضيع والقضايا التي كانت تشغل بال الإنسان العادي، فكان دفاعه عن الحس المشترك يتطلب منه البرهان على صدق القضايا المعبرة عن هذه الاعتقادات، وقد اعتقد مور أن هذه الاعتقادات تبدو واضحة وصادقة بذاتها، أما هدف الفلسفة لم يكن مقتصرا على البحث في صدق وكذب اللغة العادية بقدر ما كان يهدف إلى معرفة تحليل هذه القضايا تحليلا صحيحا، فقد دافع مور عن الحس المشترك وعن اللغة العادية لأنها تحتاج إلى تنقيحات فقط، ولسنا في حاجة إلى نكرانها تماما.

« لقد حاول مالكوم ولازر ويتز تفسير دفاع مور عن الحس المشترك تفسيرا لغويا،فقد اعتقد مور أسس دفاعه عن الحس المشترك على اللغة العادية، ودفاعه عن اللغة العادية ضد الخارجين علها، عندما يقول الفيلسوف" كل هذه العبارات التجريبية فروض" أو "كل العبارات الأولية هي في الحقيقة قواعد للنحو" فإن مور سرعان ما يهجم في الحال لأنه يحس بالحياد عن اللغة العادية المتضمنة في هذه الافتراضات، فهل قولنا "49 ناقص 22 تساوي 27" تعتبر قاعدة للنحو، فلو كان قائل هذه الجملة طفل صغير يتعلم أبجديات الكلام لوجب علينا أن نصحح له قوله، ونقول بان هذه اللغة ليست طريقة صحيحة للكلام[2].»

وهكذا يلجأ مور إلى اللغة العادية بطرق شتى وخصوصا كأساس للدفاع عن نظرياته الخاصة ودحض النظريات الأخرى، وهي على النحو التالي:

[1] Schillp. P.A, The Philosophy of G.E.Moore,Op Cit, P 666
[2]Malcom, N, Moore and Ordinary Language, un The philosophy of G.E.Moore, edited by Schilpp.P.A, 2nd ed Tudor Publishing Company, New York, 1952, p p 345-368

أولا: إظهار ما نعتقده جميعا، إذا كنا جميعا نؤكد شيئا ما فمن المعقول افتراض أننا نعتقده، وإذا كنا نعتقده جميعا، فيمكن أن نسميه باعتقاد الحس المشترك.

«ثانيا: يشير مور مرارا وتكرارا في مناقشته لأي نظرية إلى الاستعمال العادي للتعبيرات الموجودة في هذه النظرية مع إشارة ضمنية إلى أننا نسلك الطريق الصحيح إذا التزمنا بهذا الاستعمال، وننحرف على الصراط المستقيم إذا تخلينا عنه أو قمنا بتصحيحه ويحتجب عادة هذا في الرأي الواضح القائل بان الاستعمال العادي هو المعيار لصحة الاستعمال، إن الطريقة الأولى هي الاحتكام إلى ما يقول معظمنا، أي بما هو ذو معنى وما هو خلو من المعنى[1].»

«ثالثا: تستعمل اللغة العادية بطرق عديدة على أنها محك لاختبار النظريات الفلسفية،إذ يتم إثبات الحجج عن طريق الإشارة إلى استعمال التعبيرات المتضمنة فيها على أنه استعمال مناسب وصحيح تماما، ويتم رفض الحجج الأخرى وذلك لأنها لا تنطوي على "مجرد إساءة استعمال اللغة"، ولقد عرف الفلاسفة أن ما ينبغي أن يقصدوه بالتعبير هو على وجه الدقة ما يقصده أي شخص أخر، إذ كثيرا ما نكتشف أن ما يقصده الفلاسفة من وراء أقوالهم يتعارض مع ما يعتقده الحس المشترك، ومور على يقين تماما من أننا نتمسك دائما في الحياة المشتركة بنظريات تختلف مع نظرياتنا الفلسفية[2].»

2- موقف فيتغنشتاين

اللغة العادية – فيما يرى فيتغنشتاين– هي جزء من التاريخ الطبيعي للإنسان، فاللغة الجارية هي جزء من الكيان العضوي الإنساني، ويؤكد فيتغنشتاين على هذا في الفحوص بقوله:" إن الصور الأولية مثل إصدار الأوامر، وطرح الأسئلة، وسرد الأحداث،والثرثرة، هي

[1] صالح إسماعيل عبد الحق، المرجع السابق، ص 28

[2] المرجع نفسه، ص ص 29-30

جزء من تاريخنا الطبيعي، كالمشي، والأكل، والشرب، واللعب، غير أن فيتغنشتاين قد مضى إلى مرحلة ابعد في كتاباته المتأخرة عندما قرر أن اللغة العادية صحيحة تماما، ولا يحق للفلسفة أن تتدخل في الاستعمال العادي للغة، وكل ما يمكن أن تفعله هو أن تصف هذا الاستعمال الفعلي للغة، فهي تترك كل شيء على ما هو عليه.

إن الدارس لفلسفة فيتغنشتاين وأعماله المنطقية يصاب بالتناقض للوهلة الأولى، إذ نجده يشن هجوما لاذعا على جميع الفلسفات باستثناء الفلسفة العلمية، ويصبو إلى بناء لغة علمية غير قابلة للتيه في رحاب المعاني الفارغة، وفي المقابل نجده يقر بأهمية السلوكات الطبيعية للإنسان، سواء في عاداته أو ثقافته أو حتى لغته العادية التي يتكلم بها، فما هو موقع فيتغنشتاين من اللغة العادية وهل فعلا تراجع عما قد كتبه في مراحله الأولى بخصوص اللغة أم أنه كان حريصا في الدفاع عن آرائه؟

إن معيار صحة استخدامنا للكلمات في اللغة مرتبط باستعمالنا لها في اللغة العادية،فعندما يتكلم فيتغنشتاين عن اللغة(الكلمات، الجمل، الخ) ، يجب أن يتكلم بلغة الحياة اليومية، ومن هنا ظهرت بعض الأفكار الرئيسية في فلسفته، مثل لعبة اللغة، وصورية الحياة، وتشابهات العائلة، وكلها تدور في فلك فكرته المحورية التي مفادها أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، وهذا ما يقوله فيتغنشتاين:" عندما يستعمل الفلاسفة كلمة المعرفة والوجود والشيء والانا والقضية والاسم، ويحاولون إدراك ماهية المسالة، فيجب على الواحد منهم أن يسال نفسه دائما هل يتم استعمال الكلمة دائما بهذه الطريقة في لعبة اللغة التي هي موضعها الأصلي، إن ما نفعله هو إعادة الكلمات من استعمالها الميتافيزيقي إلى استعمالها في الحياة اليومية[1]".

ولعل تضارب المواقف التي نجدها عند فيتغنشتاين ترجع إلى تطور فلسفته، فحياته

[1] Wittgenstein, L, philosophical investigations, Translated by G.E.M, Anscombe, Basil Blackwell, Oxford, 1963, p 116

الفكرية تنقسم إلى مرحلتين، في المرحلة الأولى كان تأثره واضحا بأستاذه راسل وفريجه،والتي شهدت أهم مؤلفاته "رسالة منطقية"، وبعض المقالات التي كان ينشرها، أما المرحلة الثانية فكان يركز فيها على فلسفة الرياضيات، والتحليل اللغوي.

3- موقف جون لانجشو أوستن من اللغة العادية مقابل فيتغنشتاين

لقد عرفت الفلسفة بعد تجاوز الفكر المثالي منعطفا هاما أدى إلى ظهور تيارات ونزعات فلسفية بمظهرها الخارجي، ورياضية منطقية في باطنها، وهذا ما انعكس على اللغة بصفتها أداة للتواصل بين أفراد المجتمع، وبعد أن بسط المنهج التحليلي نفوذه على اغلب التيارات، أصبحت اللغة الشغل الشاغل للفلاسفة والعلماء، وذلك لتوضيح المعاني والقضايا التي لطالما استعصى فهمها بالشكل المطلوب، وقد حاول الكثير إيجاد لغة غير اللغة التي نعرفها، بمعنى وضع لغة شاملة أو مثالية أو عالمية، تتجاوز اللغة العادية، وحتى وان تنوعت الأسماء التي نادى بها الفلاسفة للغات البديلة إلا أنها كانت تهدف إلى إزاحة اللغة العادية من على الساحة الفكرية عامة والفلسفية خاصة.

لقد كان لنظرية أوستن في أفعال الكلام دور هام في تأسيس المعنى التداولي للغة،وهذا الأخير كان يركز على محورية اللغة العادية، فقد عمل أوستن إلى تحليل اللغة من حيث وظائفها المستعملة في الحياة العادية، ولم يركز على المنطق أو الرياضيات في ذلك.

«قبل أن يؤسس أوستن للمنظور التداولي راح يوضح لنا قصور اللغة الصورية في تحليل القضايا، لأن النموذج الدلالي الماصدقي نجاحه في اللغات التجريبية أو العلمية لا يقتضي بالضرورة نجاحه مع اللغة العادية، وهذا ما يتعارض فيه مع مور وفيتغنشتاين وحتى راسل، وقد صاغ لنا أوستن مجموعة من الحجج[1]» التي تبرز قصور اللغة الرمزية في تعاملها مع اللغة العادية:

[1] Austin,J,L, Langage de la perception, Librairie Armand colin, Paris, P P 149-150

1- حجة تعارض المعطيات المادية مع المعطيات الشعورية، ومقتضاها أن هناك تعارضا بين التلفظات المعبر بها عن الموضوعات المادية مع تلك المعبر بها عن الإحساسات الشعورية.

2- حجة الالتباس التي تقوم على القول بغموض والتباس الأقوال والعبارات التي نعبر بها عن إحساساتنا الشعورية، ومن ثم لا يمكن أن تفي هذه التلفظات بكل الشروط التي تتوفر في نظيرتها التي نصف بها الموضوعات المادية والتجريبية.

3- حجة الوصف التي تقوم على أن وصف الموضوعات المادية والتعبير عنها لا تتشارك مع كيفية التعبير أو وصف الشعور الداخلي للمرء.

والغرض من عرض مواطن فشل اللغة الصورية عند أوستين تكمن في التغاضي عن التحليل المفصل للقضايا والحدود، واعتمادنا على العلاقات التخاطبية مع الغير، فمقاصد الكلام هي من تحدد لغتنا الحقيقية.

« إن إظهار اللغة لبُعد الفعل فيها ليس جديدا، فقبل فيتغنشتاين تعرف التقليد البلاغي عليه واستفاد منه: فماذا يعني توليد تأثيرات في المستمعين من خلال تقنيات الخطاب، إن لم يكن الفعل بوساطة اللغة؟ إلا أننا ببساطة مدعوون إلى ملاحظة أن التأثير موضوع المسالة (الإقناع) من خارج اللغة، مجرد نتيجة للخطاب، والذي هو جزئيا يأتي اتفاقا: فالكل ليس مقتنعا، وأولئك المقتنعون لم يقروا للأسباب نفسها، غير أن بُعد الفعل، وعقب فيتغنشتاين،وضعه أوستين بجد في الاعتبار[1].»

بإدراجه مفهوم لعبة اللغة، كان أمل فيتغنشتاين جذب الانتباه إلى وجود اللغة التي استبعدها الإصلاحيون، ففي مقابل المفاهيم النحوية المحضة للدلالة والصدق، اظهر مزايا

[1] اريك غريلو، فلسفة اللغة، تر عفيف عثمان، دار المعارف الحكمية، بيروت، ط1، 2018، ص 107

حقوق الاستخدام، ومن خلال مجاز اللعبة توصل إلى الربط بين عدة أبعاد للغة[1]:

1- الفعل لأن اللعب يشكل نوعا من السلوك.

2- القاعدة لأن اللعب يفترض احترام بعض القواعد.

لكن بانتقالنا من الألعاب(فيتغنشتاين) إلى أفعال الخطاب(أوستين) ، بدا التحليل يصبح أكثر دقة عن ذي قبل، إذ أن خطابنا اللغوي أصبح مرتبط بأوامر أو قوانين هي التي تحدد صدق القضايا اللغوية التي نتكلم بها، فقد كان أوستين الذي تأثر بأعمال فيتغنشتاين بصدد التصدي للوضعية المنطقية، التي ترى اللغة أداة رمزية لها مقابل في الوجود الخارجي ولا وظيفة لها إلا وصف وتحليل لغة هذا العالم.

لقد قام أوستين بتجميع جميع الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى، وكان في تصنيفه يهدف إلى قصور اللغة الرمزية مقارنة باللغة العادية، وهو رد على التيارات المطالبة بتجاوز اللغات العادية لمجرد أنها تحتوي على قضايا فارغة من المعنى، وهذه الأخيرة في نظره لا يمكننا إلغاؤها لهذا السبب بل يمكننا تعديلها من خلال نظريتنا في الكلام، لذا سنقوم بعرض التصنيفات التي قال بها أوستين كالتالي[2]:

1- الأفعال اللغوية الدالة على الحكم (الحكمية أو الحكميات) وهو كل فعل يدل على حكم يصدره محكم أو حكم مثل: قدر، قوم، وصف.... الخ.

2- الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة أو القرارات وهو كل فعل يعبر عن اتخاذ قرار أو ممارسة في صالح شخص أو ضده.

3- الأفعال الدالة على الوعد أو التعهد أو الوعديات بصيغة الجمع، وهو كل فعل

[1] المرجع السابق، ص ص 109-110

[2] نقلا عن دلاش الجلالي ، مدخل الى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992، ص 14

يعبر به المتكلم عن وعد أو تعهد بفعل شيء.

4- الأفعال الدالة على السلوك أو السيرة (السلوكيات) وهو كل فعل يعبر عن سلوك أو سيرة المتكلمين الاجتماعي.

5- الأفعال الدالة على العرض أو الإيضاح (العرضية) وهو كل فعل يؤتى به لتوضيح وجهة نظر أو بيان الرأي أو ذكر الحجة.

أما الدافع الذي دفع بالفلاسفة وغيرهم للهجوم على اللغة العادية هو افتراضهم وجود تناقض فيها، لكن أوستين يختلف مع فيتغنشتاين في هذه المسالة، فهو يرى أن صدق الكلمة أو الجمل والعبارات، مرتبط بشكل أساسي بالطرق التداولية التي نستعمل بها نحن هذه الكلمات، فإن كان هناك تناقض أو قصور لغوي، فالمشكل لا يقتصر على اللغة بقدر ما يرتبط بطريقة توظيفنا لها، فمثلا كلمة "شبح" لا يمكننا أن نبررها بواقعة وجودية، وتبقى احتمالاتنا لوجود مقابل واقعي للكلمة مجرد تكهنات، ولكن هذا لا يعني أن كلمة "شبح بحد ذاتها" قاصرة عن المعنى أو يجب حذفها، لأننا إن قمنا بذلك فسنقوم بإلغاء الرقم "9" مثلا إذ مثله مثل كلمة "شبح" وليس للحرف "9" وجود مادي.

« ولم يكن أوستين يهدف للوصول إلى الفروق الدقيقة التي يتم الكشف عنها في الاستعمالات العادية للألفاظ ذات المغزى والضوء الذي يمكن أن تلقيه على المشكلات الفلسفية فحسب، بل كان يهدف أيضا إلى تنظيم الدلالات تنظيما جديدا ومفيدا، فكان أشبه ما يكون بمن قام بمسح فلسفي للغة لكي يرسم خريطة تنظيم عليها الاستعمالات الهامة التي نعرفها بالفعل، ويبدو أن معظم أعماله كانت ترمي إلى الاستعمالات "الانجازية"، وكان من نتيجة ذلك ظهور مجالات واسعة من الفلسفة الخلقية والقانونية بمنظور جديد مثمر[1].»

إن مقال أوستين كغيره من أعمال فلاسفة اللغة العادية، في أكسفورد مثل مناقشة

[1]Burtt, E.A, In Search of Philosophical Understanding, George Allen and Unwin, London, 1967, p 170

"رايل" لـ" أن تعرف كيف، وان تعرف أن"، يمثل ركنا أساسيا في الفلسفة المعاصرة، فهؤلاء الفلاسفة قد أحدثوا تحولا أساسيا في المشكلة التقليدية الخاصة بطبيعة المعرفة، فمن أفلاطون إلى راسل، مرورا بديكارت، كان المبحث الرئيسي لنظرية المعرفة قد وضع بصفة موضوعا ساميا لصياغة مثال للمعرفة الحقيقية أو الصادقة، يتمتع بالوضوح الذاتي وعدم إمكان الشك وعدم القابلية للتصحيح[1].

4- انتقادات اللغة العادية

لا ينكر احد الإعجاب الذي نالته فلسفة اللغة العادية من طرف الفلاسفة، وحتى المناطقة، لكن كغيرها من الاتجاهات تعرضت لجملة من الانتقادات، وقد كان هذا النقد من عدة اتجاهات بل وحتى من احد راود التحليل، فراسل يقول بان" فلسفتهم عقم وتفاهة، ولا تعبر عن الاتجاه الصحيح والدقيق للفلسفة، لأنها لو كانت بالفعل تعبر عن ذلك لكانت الفلسفة على أفضل وجوهها، مجرد مساعدة زهيدة لواضعي قواميس اللغة، ولكانت على أسوء وجوهها، مجرد تسلية قوم كسالى يجلسون حول مائدة الشاي[2]"، ليس هذا فقط، إذ أننا نجد الكثير من الأمور التي تُعاب على فلسفة اللغة العادية وأبرزها:

1- ليست جميع المشكلات الفلسفية متعلقة بالجانب اللغوي والنحوي، فإذا كان رواد اللغة التحليلية يربطون اغلب المشكلات الفلسفية بسوء استخدام اللغة يعتبر هذا إلغاء للمنطق والمشكلات المتعلقة به.

2- قول فلاسفة اللغة العادية بان استخدام ألفاظ جديدة في اللغة يؤدي إلى تشويه للمعنى، وهذا القول يتنافى مع صيرورة اللغة، لأن اللغة ليست جمادا أو مادة صلبة، فهي قابلة لتجديد في الألفاظ والمعاني.

[1] محمد مهران رشوان، المرجع السابق، ص 203

[2] Russell, B, My Philosophical Development, George Allen and Unwin, London, 1959, p 217

3- التركيز على الكلمات في تفسير نظريات المعرفة أكثر من تركيزهم على المعنى فمثلا في تفسير الإدراك، يهتمون بكلمات الإدراك المختلفة في عدة سياقات ولا يولون اهتماما كبير للمعنى والسياق الدلالي للكلمة.

لقد عد فيغينشتاين أن المشكلات الفلسفية نشأت في الأساس من سوء استعمالنا للغة،لذا فإن تهذيب اللغة كان مطلبا ضروريا، ففكرة نقد اللغة ظهرت مبكرا في رسالة فيغينشتاين، فاللغة عنده تتحدث في كل شيء بلا حدود، إذ تخلو من كل ما من شأنه أن يبين الحدود الفاصلة بين ما يمكن أن يقال بوضوح، وما لا يمكن أن يقال بوضوح أن النظم المنطقي هو الذي يمد هذه اللغة بالقواعد الصارمة التي تمنع اللغة من الحديث عن العالم والحديث عما لا يوجد في هذا العالم في آن واحد، لهذا وجد فيغينشتاين أن المهمة الأولى التي يتوجب على الفلسفة الاضطلاع بها هي نقد اللغة، بمعنى رسم الحدود الواضحة بين المعنى واللامعنى، لأن اللامعنى لا ينشا إلا بسبب أن الفلسفة تحاول أن تقول ما لا يمكن للغة أن تقوله.[1]

[1] نقلا عن حمود جمال ، المرجع السابق، ص 253

5- هل حقق راسل اللغة الكاملة منطقيا ؟

إن الدافع الأساسي من وراء اللغة الكاملة منطقيا يتمثل في تنقيح اللغة العادية من شوائبها، فراسل لم يصرح بحذف اللغة العادية نهائيا من الوجود لكنه رأى أنها عاجزة عن تفسير الظواهر العلمية، فكان يرى أنه من السخيف أن تكون الكلمة الواحدة ذات دلالات متعددة، أو تجد دلالة واحدة تجمع عدة كلمات، وليس التعدد هو الأمر الذي يعكر اللغة عند راسل، فما يجعل اللغة العادية لغة غير كافية هو تسليمها بالألفاظ والمعاني غير المستدل عليها سواء منطقيا أو نحويا، لهذا كان الواجب أن تعدل بلغة دقيقة من حيث المعرفة والدلالة.

ويبدو أن تحقيق ما كان يصبو إليه راسل ليس بالأمر المستحيل وجوده، لكن قد يكون على مستوى جزئي، أي قد يصدق على بعض العلوم مثلا، أو بعض القضايا، لكن تجاوز اللغة الطبيعية ككل قد لا ينجح لأن اللغة الكاملة منطقيا تستند على منطق أو نحو فلسفي،وحتى راسل يقر بذلك، كما أن فيتغنشتاين في مراحله المتأخرة قد تراجع عن القول بقيام لغة ذرية، لأنه بات مدركا أن ذلك الأمر ليس بالهين وقوعه.

واللغة الكاملة منطقيا لا تواجه صعوبات إزاء متطلبات الحياة اليومية أي الصعوبات الخارجة عنها فحسب، ولكنها تواجه صعوبات داخلها، أي في أفكارها وقواعد بنائها، وقد رأينا ذلك الخلط الحاصل في تفسير راسل للمخ والعقل، فالمخ فيزيولوجيا هو جزء من الدماغ وهو المسؤول عن كل العمليات العصبية في جسم الإنسان، أما العقل فهو معنوي روحي،فقد يقع العديد في أخطاء تنسب العقل إلى المخ أو الدماغ، فلو كان الأمر كذلك لكان الإنسان والحيوان في نفس المرتبة، فكلاهما لديه مخ، لكنهما يختلفان من حيث ملكة العقل الجوهرية.

وإذا تكلمنا بنظرة راسل الأحادية نجد أن العقل مرتبط بالروح فزوال الروح تؤدي إلى زوال العقل، إلا في بعض الحالات التي تكون الروح موجودة والعقل غائب كحالات الجنون

مثلا، فاللغة المنطقية تعتمد على المادة كالوقائع الحسية وانطباقها في الواقع لكنها تبقى مدينة للعقل، وهذا الأخير روحي أو غيبي، نسلم بوجوده دون أن نعي مكانه أو كينونته.

وما يجعل اللغات الطبيعية أو اللغات العادية، تقف موقفا ثابتا هو أساسها التداولي،فالاستعمال المتكرر للغة الطبيعية يجعلها قائمة على التواصل بين الإرسال والاستقبال، وتكون قواعده مبنية على سياقات واقعية وان كانت دلالاتها تتناقض أحيانا، أما اللغة المنطقية أو اللغات الاصطناعية بصفة عامة فهي تكرس قواعد وثوابت منطقية ورياضية صحيحة من حيث المنشأ،بمعنى أنها تقع في نفس الخطأ التي تنتقد فيه اللغات الطبيعية، وهذا نجده عند الكثير من الفلاسفة مثل لوك ولايبتنس وراسل ومور وفيتغنشتاين وكارناب وهوسرل، وغيرهم، إذ نجدهم يؤسسون للغة البديلة من حيث قضايا تبدو صادقة لهم مبدئيا، أي مستدل على نتائجها مسبقا وإلا فهي ترفض من حيث الدلالة.

ثم إن اللغة المنطقية لم تكن قائمة على المنطق الخالص ولكنها قامت على المنطق الفلسفي، ومنه فاللغة الكاملة منطقيا لم تكن منطقية خالصة، ويمكن القول إنها كانت لغة فلسفية بأحرف منطقية مرتبطة أساسا بمذهب الذرية المنطقية، الذي هو نظرة ميتافيزيقية إلى العالم، وإذ كان هذا حالها، فكيف يمكن إذن أن تكون مثل هذه اللغة نموذجا موضوعيا ومحايدا لكل تفكير فلسفي علمي صحيح[1]؟

[1] نقلا عن: حمود جمال ، المرجع السابق، ص301

المبحث الثاني: المعرفة والدلالة في اللغة الكاملة منطقيا عند راسل

لقد كان لاستخدام منهج التحليل المنطقي كما تمثل في نظرية الأوصاف نتائج هامة في فلسفة اللغة عند راسل، « فقد اثبت هذا التحليل الجديد فعاليته وجدواه في الكشف عن الغموض في اللغة العادية، لكن هذه النتائج الايجابية التي تحققت في نظرية الأوصاف لم تكن نتائج نهائية بسبب أنها لم تحل كل المشكلات التي طرحتها أصول الرياضيات، مثل مشكلة كيف نعرف الأشياء التي نتحدث عنها؟ كما أنها لم تصل إلى هدف التحليل المنطقي النهائي وهو الوصول إلى الحد الأدنى من المفردات، لهذا نظر راسل إلى نظرية الأوصاف أنها أول خطوة في تأسيس اللغة الكاملة منطقيا[1].»

لقد انكب راسل على دراسة أعمال لايبتنس وأعجب بفحواها، خاصة في مجال المنطق الرياضي، وقد كان دائما ما يثني على محاولة لايبتنس في بناء لغة كونية مبنية على منهج تحليلي يفكك القضايا إلى ابسط صورها، إلا أن إعجاب راسل لم يكن بصفة قطعية، لأنه يرى أن منهج لايبتنس لم يتطرق لمسالة اللغة من كافة الجوانب المنطقية والرياضية وحتى النحوية، وهو الذي أدى إلى فشل قيام اللغة الشاملة، وقبل الشروع في بناء لغة منطقية كاملة انطلق راسل من عدة أسئلة كانت بمثابة انتقادات لفلسفة لايبتنس[2] وهي كالتالي:

1- هل تخضع كل القضايا لصورة الموضوع والمحمول ؟

2- هل توجد قضايا تحليلية؟ وإذا وجدت هل هي أساسية وضرورية ؟

3- كيف ميز لايبتنس بين القضايا الضرورية والعرضية ؟

يجيب راسل على هذه التساؤلات من خلال إنشاء لغة كاملة منطقيا، فإن كانت

[1] حمود جمال ، المرجع السابق، ص218

[2] نقلا عن لايبتنس جوتفريد فيلهام ، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تر احمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، دط، 1983، ص86

الخطوة الأولى(نظرية الأوصاف) قد تمت بنجاح وان كان نسبيا، فقد تمكن راسل من تحقيق مبدأه في تقليص عدد المفردات، واستبعاد القضايا الغامضة وغير المبنية على أسس منطقية، لكن ما لم يتمكن في الوصول إليه كان يتمثل في معرفتنا وإدراكنا للرموز، فاللغة الرمزية عند راسل اتخذت من الثوابت والمتغيرات ركائز لها، وكان للرمز مكانة هامة في بناء هذا الصرح اللغوي لكن ما مدى معرفتنا بأحقية وصدق الرموز هذه المستعملة؟

« إذا كان التحليل قد افرز في نظرية الأوصاف زوجا من الرموز: رموز تامة ورموز ناقصة، فإن نظرية المعرفة عند راسل، تفرز بدورها زوجا من الموضوعات: موضوعات نعرفها مباشرة وتشكل مراجع للرموز التامة وموضوعات نعرفها بطريقة غير مباشرة، أو معرفة وصفية وهي التي تدل عليها الرموز الناقصة، ومن هنا نكشف المقابلة التي يقيمها راسل بين الدلالة وبين المعرفة[1].»

1- المعرفة المباشرة

ويعرفها راسل قائلا:" أقول إني اعرف مباشرة شيئا ما عندما تكون لي علاقة معرفية مباشرة بذلك الشيء أو عندما أكون على وعي مباشر بذلك الشيء[2]"، وما يقصده راسل بالمعرفة المباشرة لا يتمثل في الأشياء المادية، كقولنا جبل أو منزل أو احمد، وإنما هي الأشياء التي أدركها بمعرفتي الحسية مع تطابق صورة الشيء الموجود أمامي، فإذا قلت أن "راية الجزائر" موجودة أمامي فبمجرد رؤيتي لها أدرك مباشرة تناسق ألوانها وترتيبها وتصميمها، بهذه الأشياء اعرف أن هذه راية الجزائر في نفس الوقت التي تكون معطاة أمامي.

افترض أنني قلت "أنا محتر" وافترض أنني قلت ذلك لأنني اشعر بالحر، المنبه هنا

[1] المرجع السابق، ص 221

[2]Russell,B, Knowledge by Acquaitance and Knowledge by Description in Mystism and Logic, Doubleday and Company, London, 1957, p 202

إحساس، افترض أنني قلت "توجد زهرة حمراء" لأنني رأيت زهرة حمراء، المنبه الآني هو مرة أخرى إحساس، رغم أنني اعتقد أن الإحساس له مسببات خارجية، فإن لم يكن له ذلك فإن الجملة تكون زائفة[1].

عندما «أقول "أنا محتر" قد لا أتوقع من الآخرين أن يكونوا محترين، مثلا لو كنت في يوم بارد، ولكن عندما أقول "هناك زهرة حمراء" أتوقع من الآخرين أن يروها أيضا، إذا لم يفعلوا، سأكون مندهشا مما يظهر أن ما اعتقدت أنهم سيرونه كان جزءا مما أؤكده، جملة "أرى بقعة حمراء ذات شكل معين" هي بالتالي ابسط منطقيا من "أرى زهرة حمراء" ولكن "أرى بقعة حمراء" تستوي مع "أنا محتر" فهي اقل تلقائية من "أرى زهرة حمراء" أو "هناك زهرة حمراء"، فبدلا من القول بان المنبه خارجي نقول أنه في الحديث التلقائي يكون المنبه إحساسا»[2].

ولنفترض في سياق أخر أن الأستاذ قام بطرح سؤال على احد الطُلاب، وقال له لماذا اسمك "س" مثلا، كيف ستكون الإجابة في هذه الحالة؟ حسب المعرفة المباشرة التي يقول به راسل فإن أول ما ينتاب الطالب هنا هو عدم إدراكه للسبب الحقيقي وراء تسميته، وبالرغم من أن الأستاذ لا ينتظر الإجابة القطعية، إلا أن العبارة التي طرح بها السؤال كانت في سياق مباشر، لكن الإجابة أو القضية المقابلة لها ليس بالضرورة أن تكون مباشرة، فالعلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف تتطلب نوعا معرفيا، نعبر عنه وفق طريقة مباشرة.

وقد لا نعتمد في معرفتنا المباشرة على حواسنا فقط، صحيح أن الحواس تعتبر من أهم المعطيات التي تمثل الواقعة المباشرة، إلا أنها ليست الوحيدة، إذ يمكننا الحصول على معرفة مباشر باستخدام الاستبطان، فالذهن بمقدوره أن يمدنا بتلك المعرفة، فلو افترضنا أن شخصا ما يعاني من حالة اكتئاب داخلي، وكان في اجتماع مع بعض السادة، فإنه يخبئ

[1] رسل برتراند ، المرجع السابق، ص 198

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

شعوره فلا نستطيع بحواسنا التنبؤ بحالة هذا الشخص الموجود أمامنا بالرغم من أننا نراه ونتحدث معه، فذلك الشعور الداخلي لا يعرف بالحواس وإنما بالمشاعر والأحاسيس الداخلية.

المعرفة المباشرة في نظر راسل لا تقتصر على الجزئيات فقط، صحيح أنها في اغلب الحالات تتطرق لمعرفتنا بالجزئيات، إلا أننا نستطيع أن ندرك بواسطتها الكليات أيضا، فنحن عندما نفكر في كلمة سيارة على وجه المثال، كلنا نستحضر شكلها الخارجي وغاياتها، ويكاد ينعدم من يتصورها كمحرك وعجلات وبراغي ومكابح وغيرها من الجزئيات المركبة لهذه السيارة، فالمعرفة الكلية أحيانا تكون سابقة عن الجزئية، فعندما يسألك شخص ما عن الفلسفة التحليلية فإن جوابك سيكون كليا عن الفلسفة وليس جزئيا لأن الإجابة الجزئية تكون قاصرة عن وغير كافية بالغرض للإجابة على سؤال مباشر.

ومنه توفر لنا المعرفة المباشرة نوعين من الموضوعات هما[1]:

1- الإدراك الحسي يوفر لنا معرفة مباشرة بأشياء جزئية تمثلها المعطيات الحسية.

2- الفهم يوفر لنا معرفة مباشرة بموضوعات كلية تمثلها التصورات.

2- المعرفة بالوصف

إن العبارات الوصفية عند راسل تأخذ منحيين الأول يتمثل في صيغة، "كذا وكذا"والثاني بزيادة الألف واللام بصيغة "الكذا والكذا"، ويقدم لنا راسل سؤال حول أهمية معرفتنا بهاتين الصيغتين قائلا:" ماذا نعرف في الحالات التي نعرف فيها قضايا عن الكذا والكذا دون أن نعرف من هو الكذا والكذا ولا ماذا يكون، فأنا اعرف أن المترشح الذي سيحصل على أكبر عدد من الأصوات سيكون منتخبا رغم أني لا اعرف من هو هذا المترشح الذي سيحصل على أكبر عدد من الأصوات[2]"، وفي نفس السياق يقدم لنا راسل

[1] نقلا عن حمود جمال ، المرجع السابق، ص225

[2]Russell,B, Knowledge by Acquaitance and Knowledge by Description in Mystism and Logic, Op cit, p 202

إجابته قائلا:"أنني أقول عن شيء ما أنه معروف بالوصف عندما نعرف أنه الكذا والكذا،أي عندما نعرف أنه يوجد شيء واحد وليس أكثر، له خاصية معينة، كقولنا إننا نعرف أن الرجل ذو القناع الحديدي وجد، ونعرف أيضا الكثير من القضايا عنه، ولكننا لا نعرف من كان هذا الشخص[1]".

إن غاية المعرفة المباشرة لا تكمن فيما تقدمه من معلومات مباشرة، وإنما تتجلى قيمتها في الأوصاف المحمولة عن قضية لا تتحقق إلا بتحقق الوصف على الموصوف،وهذه المعرفة بالوصف لا تتم في حضور الموضوع المعرفي، لكن ما نعرفه يكون وفق ما تم وصفه، وحتى تتضح الصورة أكثر سنشرح هذه المعرفة في المثال التالي: بعد موت نيتشه وتولي أدولف هتلر السلطة في ألمانيا النازية، قالت إليزابيث شقيقة نيتشه انه ما من شك في أن الرجل الأعلى الذي تحدث عنه نيتشه هو هتلر"الفوهرر"، فلو طبقنا ما يقصده راسل لوجدنا أن إليزابيث قامت بإسقاط أفكار ومعتقدات شقيقها على الشخصية التي تتحقق فيها تلك الصفات، ووجدتها في هتلر، فهي قبل ظهور هتلر كانت تعتقد بوجود تلك الشخصية ولو نسبيا لكنها لم تكن تدرك بحواسها أن الشخص الموصوف موجود حاليا.

ومع أن ما نعرفه عن طريق العبارات الوصفية ليس معرفة شيئية فإن هذه العبارات ليست خالية تماما من كل قيمة معرفية، فقد بين التحليل المنطقي للعبارات الوصفية، أن هذه العبارات مع أنها لا تسمي أشياء نعرفها مباشرة إلا أنها تعرفنا بأشياء لا ندركها على نحو مباشر، وهي لهذا تكتسب معنى في الاستعمال، فنحن نقول عبارات وصفية ذات معنى مثل:الكتاب وسيلة هامة من الوسائل البيداغوجية، دون أن نسمي كتاب بعينه ودون أن نكون على اتصال مباشر بأي كتاب محدد[2].

3- أسماء الأعلام المنطقية

[1] Ibid, p 207

[2] حمود جمال ، المرجع السابق، ص229

إن تحول راسل عن أسماء الأعلام العادية إلى أسماء الأعلام المنطقية يعكس تطورا هاما في فلسفته اللغوية، « إذ أن هذا التحول يعكس مواقف هامة في هذه الفلسفة، من حيث أنه تحول عن اللغات العادية، بما أن هذه اللغات تستخدم أسماء الأعلام العادية، وهو تحول أيضا إلى اللغة المنطقية باعتبار أن هذه اللغة هي وحدها التي تستخدم أسماء الأعلام المنطقية، كما أن دعوة راسل إلى استخدام هذه الأسماء هي دعوة إلى التخلي عن اللغات العادية، وليست هذه النقطة هامة في فلسفة راسل فحسب، بل في فلسفة اللغة عامة، إذ أن تبني اللغات العادية في الفلسفة أو تعويضها بلغات منطقية هو النقطة التي تفصل راسل عن دعاة فلسفة اللغة العادية[1]».

من الواضح أنني حينما أقول "راسل" فان هذا اللفظ في القضية الذرية، يقابله راسل كشخص في الواقعة الذرية، ما نفهمه من هذا أن الأسماء التي تسمى جزئيات لا يمكن فهمها إلا على هذه الحالة، إذ لا نضطر إلى استحضار معارف أخرى، فالتقابل الخاص بين القضية الذرية والواقعة الذرية كفيل بالحصول على معرفة مباشرة.

وقد أراد راسل أن يميز اسم العلم عن الوصف المحدد له، لأن الاستعمال المزدوج للكلمة يفضي إلى الخلط والغموض حسب راسل، ويتجاوز معرفتنا الجزئية إلى معرفة كلية مركبة، فمثلا في اللغة العربية لو أخذنا مثال عن ذلك في العبارتين التاليتين: "الخليل بن احمد الفراهيدي مؤسس علم العروض"، وفي جملة ثانية قلنا " تقع مدينة الخليل في فلسطين"، نجد أن اسم العلم الأول لا يتقابل مع لفظته في الجملة الثانية، بالرغم من أن اللفظ واحد في الحالتين، وهذا ما يقصده راسل، فما دمنا لسنا في اتصال مباشر بأسماء الأعلام يتوجب علينا تعويضها بالأسماء المنطقية، لذا نجده يتخذ راسل من "هذا" و "ذاك"مثالين لأسماء الأعلام في فلسفته الذرية المنطقية.

[1] المرجع نفسه، ص ص 235-236

لقد دعا كواين إلى تأسيس لغة مثالية نستغني عن أسماء الأعلام بواسطتها، فهو يعتقد أن اغلب المشكلات في اللغة مرتبطة بأسماء الأعلام، لذا أراد صورنة اللغة لدرجة إلغاء الأسماء المتعارف عليها في اللغة العادية، لكن راسل لم تخف عليه تلك المشكلات المتعلقة بالأسماء لذا فصل بين اسم العلم ومحموله.

« أما في مجال الميتافيزيقا فقد رأى راسل أن استخدام اسم العلم في اللغة العادية،والمنطقية على السواء أساس للقول بوجود جواهر، قان قلنا "هذا احمر" فإن ما نشير إليه يكون شيئا يضم كل الصفات التي تسند إليه ورغم ذلك يكون متميزا من تلك الصفات ومن ثم نقع في القول أن هذا الشيء موضوع الحمل شيء مجهول وهو جوهر ولذلك يقترح ترجمة القضية "هذا احمر" إلى "الحمرة هنا" وحينئذ يعتبر اسم احمر اسما لا محمولا[1].»

4- الجزئيات التأكيدية

« بما أن المكونات الحقيقية للعالم ليست هي العناصر أو الأشياء وإنما هي أحداث تتميز بأنها جزئيات بسيطة مؤقتة، فإن تسمية هذه الجزئيات لا يمكن أن تتم بواسطة أسماء الأعلام المألوفة، إذ لم تعد تصلح لكي تعرفنا بما هو موجود حقيقة، كما أنها لم تعد تعبر بدقة عن المكونات الحقيقية للعالم[2].»

ولم يفصل راسل التطورات العلمية التي شهدها القرن العشرين مع تطور اللغة من حيث الدلالات، وهذا التطور يعزوه إلى توسع مجالات المعرفة للحدود التي كانت اللغة تقف عاجزة عندها، وهذا ما يؤكده قائلا: " كلما ازدادت المعرفة ازدادت معها دقة معاني الألفاظ،وازداد تعقيد تلك المعاني في الوقت نفسه، لذلك ترانا نلجأ إلى استخدام ألفاظ جديدة نطلقها على المقومات الصغرى التي منها يتألف الكل الذي كنا قد أطلقنا عليه كلمات

[1] زيدان محمود فهمي ، في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980، ص 99

[2] حمود جمال ، المرجع السابق، ص240

معينة، غير حاسبين حساب ما ينطوي عليه ذلك الكل من تفصيلات[1]".

ويعرف راسل الجزيئيات التأكيدية بأنها « اسم علم لموضوع الانتباه الراهن[2]»، لذا يعتبرها من أدق أسماء الأعلام، فهي امتاز بمرونة من حيث الزمان والمكان، حيث يقول "الجزيئيات التأكيدية هي تلك الكلمات التي يختلف معناها باختلاف المتحدث ووضعه في الزمان والمكان[3]".

بعد عرض راسل لنظرية الأوصاف، بقي عمله ناقصا في المجال اللغوي، بل وقد طالته جملة من الانتقادات، خاصة فيما فيتعلق بالرموز المستخدمة في اللغة المنطقية، وقد شكلت أسماء الأعلام مشكلة في ضبط دلالاتها، فأراد راسل أن يضبطها من حيث المكان والزمان، فكانت الجزئيات المؤكدة هي الحل في نظره، لأنها تتسم بدقة من حيث الموضوع والمحمول، فقبل نظرية راسل كان الزمان والمكان مطلقتين إذا تعلق الأمر بالقضايا، فقولنا يوجد "شخص ما في الغرفة"، يُبقي كافة الاحتمالات واردة، قد يكون كبير في السن أو أستاذا، أو طالبا، أو شخصا كفيفا، وما إلى غير ذلك من احتمالات لا تنتهي، وحتى الزمان يكون غير محدد بدقة منطقية، فقولنا، "القطب المتجمد الشمالي يذوب تدريجيا إلى أن يذوب كليا"، في هذه العبارة نحن نعتقد أن القطب المتجمد الشمالي يذوب ومعرض للنهاية لكن الوقت الذي سيذوب فيه كليا يبقى مفتوح الآجال، هذا إن صح قول الذوبان.

وهكذا نجد أن كل الجزئيات التأكيدية الوحيد "هذا"، الذي يعتبره راسل اسم علم منطقي، ويختلف عن أسماء الأعلام المألوفة بكونه يتغير معناه باستمرار لكن دون أن يعني هذا أن معناه غامض[4].

---

[1] راسل برتراند ، الفلسفة بنظرة علمية، تر زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، دط، 1960، ص 222

[2] B.Russell, the philosophy of logical atomism, in logic and knowledge, Op Cit, p 222

[3] Russell.B, Human Knowledge its Scops and Limits American Books NewYork, 1948, p 100

* عالم طبيعيات وفيلسوف نمساوي، درس الطبيعيات والرياضيات في فينا ثم اسند إليه كرسي الطبيعيات في جامعة براغ، وهناك نشر مؤلفاته الأولى التي استحق عليها مع افيناريوس لق مبدع نظرية فلسفية جديدة هي النظرية التجريبية وفي فينا

5- الواحدية المحايدة

« هي مبدأ فلسفي، لم تقتصر على راسل فقط، يعرفها جميل صليبا على أنها " مبدأ فلسفي يرد جميع الأشياء إلى مبدأ واحد، سواء كان ذلك من ناحية الجوهر أو من ناحية القوانين المنطقية أو الطبيعية، ومذهب الواحدية مقابل لمذهب التعددية وهو اسم يطلق على مذهب الاثنية»[1]، وبهذا نقول إن الواحدية تقوم على أساس جوهر واحد في الوجود عكس النظرية الثنائية والتي تقر بوجود شيئين متمثلين في العقل والمادة.

أما الجذور التاريخية للنظرية فنجدها في فلسفة باروخ اسبينوزا إذ يعتقد أن الجسد والعقل جوهر يمثل صفة واحدة تتمثل في الفكر والامتداد، فالعقل والجسد عنده هما صفتان للجوهر الواحد. فلكل جسد عقله الخاص، وموضع الفكرة التي تشكل العقل الإنساني هي الجسد، وهي صفة معينة للامتداد وليس شيئاً آخر. أي أن كل ما يشعر به الجسد باعتباره إحساسا، يشعر به العقل باعتباره شعوراً أو فكرة.

أما ارنست ماخ*، فيرى أن العالم يتكون من أصناف متعددة ومتنوعة، في تداخلها يتألف ما يسمى بالعالم، وهذه العناصر والموضوعات نتعرف عليها بواسطة الحواس، وليست الحواس لوحدها فقط هي من تعرفنا على هذه العناصر، وإنما هناك من العناصر الموجودة بالعالم ما يفوق قدرات الحواس، ونعرفها عن طريق عناصر محايدة، وبالتالي فإن نظرية ماخ في الواحدية المحايدة تقر بأن العالم يتكون من عناصر، ووفقا لهذه العناصر يتشكل ما هو مادي، وما هو عقلي، وعليه يجزم أن العالم ليس بالشيء العقلي ولا بالشيء المادي كما يزعم البعض، وإنما هو من عنصر أخر محايد، هذا المحايد يجمع بقية العناصر في مُركب أو عنصر واحد.

نشر سلسلة من الأعمال أهمها، المعرفة والخطأ، تحليل الإحساسات. انظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص ص 616-627

[4]Ibid, p 100

[1] صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، ج2، المرجع السابق، ص 548

أما راسل فكانت نظرته عن الواحدية المحايدة نظرة معتدلة من حيث جوهرها، فهو يرى أن الاختلاف الموجود بين المادة والعقل ليس اختلافا مطلقا، أو اختلافا متناقضا، وإنما هو اختلاف تنسيق وتنظيم، لأنهما يتدخلان فيما يسمى بالعنصر الحيادي، وعلى سبيل المثال نجد راسل يقر بإمكانية الجمع بين مواضيع في علم النفس مع مواضيع في علم الطبيعة، وهذا الأمر ليس بجديد أو ابتكار عصري، لأن الواحدية في نظره هدفها الجمع بين ما هو عقلي وما هو مادي.

وعلى هذا الأساس فإن هذه النظرية هي عبارة عن أداة تأليف، أي أن الكون لا يكون بوجود العقل فقط ولا بوجود المادة، وإنما بعنصر يجمع بين الاثنين، وبما أن العقل والمادة يتكونان من مادة محايدة فقد ذهب راسل إلى إبراز رأيه حول العقل والمادة على حد السواء قائلا" كلاهما يتكون من مادة محايدة، قوانينهما السببية لا تتصف بالثنائية كتلك التي يتصف بها علم النفس، لكنها تشكل الأساس التي تقوم عليه كل من الفيزياء، وعلم النفس[1]".

أصبح الوجود عند راسل، هو الوجود المادي والعقلي معا، لا يمكننا تقديم احد عن الأخر، فقولنا بأسبقية أحدهما على الآخر قد يكون جائزا في مواضيع محددة، لكن أن نفصل بينهما، ونرجح كافة أحدهما على الأخر قد يكون ضربا من المستحيل، لأنه لا يوجد شيء في العالم نكون من المادة البحتة دون تدخل العقل، ولا يوجد موضوع أو عنصر عقلي بحت، دون تدخل المادة، والمادة التي نتحدث عنها ليست المادة الفيزيقية بمعناها العام،بل هي بما تحتويه من معطيات حسية تستند إلى التجربة والخبرة بجميع أصنافها.

إن نظرية المعرفة المباشرة عند راسل وبعد أن تعززت بنظريته في الواحدية المحايدة،فرضت تقليصا كبيرا في مجال المفردات اللغوية، إذ أنها لم تعمل على استبعاد أسماء الإعلام النحوية بردها إلى الجزئيات التأكيدية، ولكنها ترد هذه الجزئيات إلى أداة

[1] رسل برتراند ، تحليل العقل،المرجع السابق، ص 295

الإشارة، "هذا" أو "ذاك"، اللذان وحدهما يمثلان المثال النموذجي لأسماء الإعلام المنطقية،وبهذا تكون نظرة راسل في المعرفة المباشرة ونظريته في الواحدية المحايدة قد عملتا على[1]:

1- حصر مجال الكائنات الحقيقية في الجزئيات التي نعرفها مباشرة، وهي كالمعطيات الحسية والتي تشكل الحد الأدنى من الكائنات الضرورية لتفسير الواقع.

2- حصر مجال الرموز الحقيقية في الجزئيات التأكيدية التي تشتق منها أسماء الأعلام المنطقية التي وحدها تسمى تلك الجزئيات.

يمكننا القول إن راسل قد أجاب عن الأسئلة المتعلقة بعلاقتنا بالمعرفة، فعندما نقول كيف نعرف يجيبنا بأننا نعرف بواسطة اتصالنا المباشر بالأشياء دون وسائط، لأنه مع نظرية الواحدية المحايدة قد استطعنا الوصول إلى مبتغى التحليل عند راسل ألا وهو الاقتصاد الفكري للألفاظ، وقد يقول قائل إن ذلك تحقق مع نظرية الأوصاف، لكن هذه الأخيرة بالرغم مما حققته إلا أنها لم تكن كافية للإجابة عن سؤالنا المتعلق بماذا نعني أننا نعرف ؟

« يعتقد راسل أن مجرد اتصالنا بالاسم الجزئي مباشرة يكون كافيا لوعينا بما نعرفه،فالاسم الذي معناه جزئي بالمعنى المنطقي الضيف للكلمة، يمكن أن يطبق على الجزئي الذي يكون المتحدث على اتصال مباشر به، لأنه لن يمكنك أن تسمي أي شيء أنت لست على اتصال مباشر به.[2]»

المبحث الثالث: التحليل المنطقي للغة وتقويض الميتافيزيقا.

كثير هم خصوم الميتافيزيقا*، منذ شكاك اليونان إلى غاية تجريبية القرن التاسع

[1] حمود جمال ، المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص246

[2]B.Russell, the philosophy of logical atomism, in logic and knowledge, Op Cit, p 205

عشر، لتبلغ ذروتها مع التحليل اللغوي في مطلع القرن العشرين، وقد تنوعت الانتقادات بتنوع أصحابها، فمنهم من يرى أنها غير قابلة للاستيعاب البشري، ومنهم من رأى أنها لا تتوافق مع النزعة الامبريقية، ومنهم من يرى أنها لا تحمل في طياتها أي شيء مفيد للإنسان كالرياضيات مثلا أو العلوم الطبيعية.

مع مطلع القرن العشرين لم تُرفض الميتافيزيقا لأي سبب من الأسباب التي ذكرناها،وذلك لأن تلك الأسباب صارت غير مجدية لأن الفكر الإنساني بصفة عامة عرف تحولات على مستوى اللغة، فكانت موجة النقد شديدة للميتافيزيقا هذه المرة عن طرق اللغة،وعندما نتكلم عن اللغة فهي نفسها اللغة التي كانت عند الإغريق وفي العصور الوسطى والعصور الحديثة، لكن اللغة التي نتكلم عنها هي التي خضعت لسطوة التحليل،وبرهان المنطق ويقين الرياضيات.

قد يبدو للبعض أن استبعاد الميتافيزيقا باسم العلم، دعوة جديدة استحدثتها الوضعية المنطقية في وقتنا الحالي، والحق أنها قديمة قدم بيكون، الذي يعد أول فيلسوف منطقي دق شعاب الطريق نحو استبعاد الميتافيزيقا، فهو أول من أقام التفرقة بين الميتافيزيقا والعلم من حيث المنهج، فالميتافيزيقا تستخدم المنهج التأملي، بينما العلم يستخدم منهج الاستقراء، أو بعبارة أخرى، المذاهب الفلسفية هي من صنع الخيال، تقابلها النظريات العلمية التي هي من صنع الواقع[1].

* لم تظهر كلمة"الميتافيزيقا" Metaphysics في الفلسفة اليونانية بأسرها، فلم يستخدمها واحد من فلاسفة اليونان، بل ظهرت في العصر الهلنستي، فكان اندرونيقوس الرودسي Andronicus of Rhodes الرئيس الحادي عشر لمدرسة المشاءين هو أول من أطلق كلمة الميتافيزيقا على مجموعة البحوث الأرسطية التي تعرف الآن بهذا الاسم في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وقد قيل انه أطلق الاسم لأنه وضع هذه البحوث الفلسفية بعد مؤلفات أرسطو الطبيعية، فكأنه أراد بهذا الاسم "ما بعد الطبيعة" البحوث التي تلي كتب الطبيعة الفيزيقا في ترتيب المؤلفات الأرسطية، فجاء الاسم عرضا، ثم أصبح صحيحا في وصفه لطبيعة الموضوعات التي يدرسها هذا العلم. انظر: إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا مع ترجمة الكتب الثمانية الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، دار النهضة، مصر، ط2، 2007، ص ص 2-21

[1] رجب محمود ، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1986، ص 334

« إن معارضة بيكون للميتافيزيقا أقل عنفا من المناطقة الوضعيين لها، ذلك أن معارضته للميتافيزيقا ما هي إلا مجرد معارضة لمنهجها، وحتى بيكون يرى أننا نستطيع أن ننهض بالميتافيزيقا عن طريق طلوع سلم الاستقراء درجة درجة لنتحصل على ما يسميه هو بالميتافيزيقا العلمية، ولقد دافع كل من ديكارت وكانط عن الميتافيزيقيا العلمية واعتبراها بداية للبحث العلمي على عكس بيكون، بيد أن كلا منهما نظر إلى العلم بوصفه يقينيا، والتسليم بأن الميتافيزيقا لا بد أن تكون علمية، وإلا استبعدت، تجعلهما مختلفين عن بيكون، فهو لم يستبق الميتافيزيقا ولم ينقذها لمجرد أنه جعلها علمية تستخدم المنهج الاستقرائي، لأنها في هذه الحالة لا تخرج عن ميدان العلم[1].»

1- الخطاب الميتافيزيقي في لغة فيتغنشتاين وكارناب

وفي القرن العشرين صب فيتغنشتاين جل اهتمامه في كتاب "الرسالة المنطقية"1921، على ترسيم حدود بين العلم والميتافيزيقا بمعناها الضيق، وهو المنحى الذي اتبعه أعلام جماعة فيينا، وهذا لا يعني أن فيتغنشتاين كان السباق لذلك، فهو نفسه يعترف بجهود الفلاسفة والمناطقة الذين سبقوه في إيضاح المعنى العلمي والمعنى الفلسفي الميتافيزيقي،وذلك الإيضاح كان عن طريق التحليل اللغوي، فقد كان متعلقا بشدة بأفكار أستاذه راسل في مراحله الفكرية الأولى، وأفكار فريجه، وكل هذه الأفكار كانت تصب في رد الرياضيات إلى المنطق، وبعد ذلك بإمكاننا أن نُخضِع اللغات المستعملة لمخبر المنطق الرياضي، وهذا كان إيعاز مباشر باستئصال ورم الميتافيزيقا من اللغة الفلسفية واللغة العادية.

وهكذا توجهت الوضعية المنطقية بالنقد والتحليل للأفكار والقضايا الميتافيزيقية،فانتقلت من كون موحد متصل الأجزاء لا يمكن قول الحق عن أجزائه بمعزل

[1] المرجع السابق، ص 335

عن الكل العام، إلى التعدد والقول بإمكان النظر إلى كل جزء بصفته مستقلا بذاته, فأرادوا وهم من رجال العلوم الطبيعية والرياضية أن تقام فلسفتهم على أسس لا ترتكز على غائب،مهما يكن نوعه، فالجملة المعروضة للحكم إما أن تكون صادقة وإما أن تكون كاذبة أو تكون بغير معنى فلا هي مما يوصف بالصدق ولا هي مما يوصف بالكذب وتلك هي أقوال الميتافيزيقيين الخالية من كل معنى، لذلك تقرر الوضعية المنطقية أن القضايا الوحيدة ذات المعنى هي قضايا العلم، لأنها بالمطابقة مع وقائع العالم الخارجي، لكن إذا كانت الأقوال الميتافيزيقية عند جماعة الوضعية المنطقية وعلى رأسهم كارناب خالية من المعنى فماذا يريد هؤلاء للفلسفة أن تكون ؟ الجواب : يريدونها أن تكون تحليلا لقضايا العلوم; فليس للفلسفة موضوع خاص بها وإنما موضوعها هو نفسه موضوع العلوم التجريبية والعلوم الرياضية، فعمل الفلسفة هو توضيح العلم، لا إضافة حقائق جديدة تقال عن العالم[1].

وإذا كان النقد التي تعرضت له الميتافيزيقا قبل القرن العشرين، نقد مبنيا على ظهور الاورغانون الجديد، الذي ارتقى المنهج العلمي التجريبي إلى اعلي درجات التطور، فإن نقدها في هذا العصر أصبح مرتبطا بنقد اللغة، فكلما قمنا بتحليل لغتنا، زاد استئصالنا للميتافيزيقا، وكأنها علاقة طردية، وحتى نوضح الأمر بصورته المنطقية، يمكننا القول إن استبعاد الميتافيزيقا ما هو إلا استبعاد للفلسفة بطريقة غير مباشرة، وقد أعلنها فيتغنشتاين مباشرة، إذ يرى أن المنهج الصحيح للفلسفة هو البرهان على أن أي قضية ميتافيزيقية هي قضية خالية من المعنى.

ورغم اعتراف الكثير من علماء العصر الحاصر بحاجة العلم إلى الميتافيزيقا، أي حاجة التجريب إلى التأمل فإن الدعوة إلى استبعاد الميتافيزيقا لا تزال تسري في أفكار بعض الفلاسفة المعاصرين وهم المناطقة الوضعيون، بل لقد نشر أحدهم وهو كارناب، بحثا بعنوان : استبعاد الميتافيزيقا من خلال التحليل المنطقي، وإذا تساءلنا ما الذي يفهمه كارناب من

[1] نقلا عن فليب فرانك، فلسفة العلم، تر علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983، ص 8

الميتافيزيقا التي يحاول أن يستبعدها ؟

إن الميتافيزيقا في رأيه، محاولة للتعبير عن أشياء لا يستطيع العلم التجريبي تناولهما،ولا يقوى على الوصول إليها ويقسم كارناب كل القضايا التي تحمل معنى ثلاث فئات :

1- قضايا صادقة بالنسبة لصورتها وحدها (المنطق والرياضيات)

2- قضايا تنطوي على تناقض منطقي (قضايا كاذبة بالنسبة لصورتها)

3- قضايا التجربة (تتعلق بالعلم التجريبي)

ويذهب كارناب بعد ذلك إلى القول بأن القضايا التي لا تنتمي إلى أي من هذه الفئات الثلاث هي خلو من كل معنى وقضايا الميتافيزيقا هي في نظره من هذا القبيل، ولقد دفع هذا النقد بكارناب إلى وضع مشروع جديد على مرحلتين هو لغة العلم : "تمثل اللغة الفيزيائية مرحلته الأولى، واللغة الموحدة مرحلته الثانية[1]".

وقد سار كارناب على نهج فيتغنشتاين، فأنصار الوضعية المنطقية ينظرون إلى فيتغنشتاين نظرة الأب الروحي لفلسفتهم، وقد اتخذوا من رسالته المنطقية مصدرا لأعمالهم،والفلسفة عند فيتغنشتاين ليست إقامة انساق ميتافيزيقية أو نظريات في الوجود واصل الكون،بقدر ما أضحت كلها تحليلا ونقدا للغة، فقد أكد في رسالته أن موضوع الفلسفة هو توضيح للمعاني، إذ أننا لا ننتظر من الفلسفة أن تضيف لنا الجديد، فمهمتها محصورة في تحليل اللغة، أما الميتافيزيقا فحكمها كحكم القضايا المنعدمة الوجود، إذ لا يمكننا التعامل مع قضايا فارغة المعنى لأن الواقعة الذرية بدلالتها في الواقع لا تتطابق مع صدق معناها.

لقد ربط فيتغنشتاين قصور اللغة العادية في توضيح المعاني لأنها لم تحدد بضبط

[1] كارناب رودولف ، البناء المنطقي للعالم، تر يوسف تيبس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011، ص 90

العلاقة بين موضوع القضية ومحمولها، وقبل أن يشرع في إيضاح تلك العلاقة، بين لنا أن تحليل العالم سابق عن تحليل اللغة، بمعنى أخر قبل أن نبحر في تحليل اللغة المراد دراستها، يجب علينا أن نكون ملمين بحقائق العالم، والعالم الذي يقصده، هو العالم الفعلي،وهو العالم الممكن حدوثه من خلال إعادة تنقيح اللغة العادية، فإن سلمنا أن العالم هو بناء مركب من وقائع بسيطة، فإن اللغة ما هي إلا ذرات وواقعات مصغرة، ولابد لهما أن يتداخلا لتتضح صور القضايا اللغوية، وهذا ما جعل الميتافيزيقا في محل الحاضر الغائب،بمعنى أنها حاضرة من حيث الألفاظ والعبارات،وغائبة من حيث تطابقها مع وقائع العالم.

لقد فند فيتجنشتاين التفسيرات القائلة بكذب وبطلان القضايا الفلسفية، لأنها في الأساس فارغة في المعنى، وما هو فارغ من المعنى لا يمكننا الحكم عليه بالصدق أو الكذب، فنحن نعبر عن أنفسنا بواسطة اللغة والتي هي في نهاية الأمر مجرد قضايا،والقضية هي ما نفهمه من الجملة اللغوية سواء بالصدق أو بالكذب، والقضايا لا تخضع لمبدأ الصدفة، بل تحليلنا المنطقي هو الذي يحدد لنا حكمها، وهذا ما يشبهه بنظرية الألعاب اللغوية، وكأن اللغة هي لعبة نلعبها، إن لم نفهم وندرك قواعدها يستحيل لنا أن نستطيع لعبها.

وكما هو معروف فإن فيتجنشتاين في مراحله الفكرية الأخيرة قد عدل من نظرته تجاه الميتافيزيقا، ولنقل إنه قد خف غلوه المعادي لكل ما هو ميتافيزيقي، وهذا لا يعني أنه ألغى كل فلسفته وإنما سلك مسلك المُعدل للفلسفة، بينما أنصار الوضعية المنطقية قد ربطوا اللغة بالتجربة ربطا علميا، وهذا الربط عن طريق التحليل المنطقي من اجل صياغة تفكير فلسفي خال من المعاني الزائفة، فكانوا يعتقدون أن نجاح اللغة الفلسفية مرتبط نوعا ما بخصائص المعرفة العلمية: كالوضوح و الاتساق الباطني و القابلية للفحص والتكافؤ والدقة الموضوعية.

« لقد مكن تطور المنطق الحديث من طرح إجابة جديدة ودقيقة للسؤال المتعلق بمصداقية ومشروعية الميتافيزيقا، فلقد أفضت أبحاث المنطق التطبيقي إلى توضيح المحتوى المعرفي الكامن في القضايا العلمية ومن ثم توضيح الحدود الواردة فيها، أقول إن هذه الأبحاث قد أفضت إلى نتيجة ايجابية وأخرى سلبية، النتيجة الايجابية تم تطبيقها في مجال العلم الامبيريقي حيث وضحت مختلف المفاهيم في مختلف فروع العلم، أما النتيجة السلبية فهي أن القضايا المزعومة فيه لا تخلو من أي معنى، فضلا عن ذلك، فقد تم استئصال الميتافيزيقا جذريا، وهذه مهمة لم يتسنى انجازها من منظور النزعات اللا ميتافيزيقية السالفة[1]».

عندما نقول عن عبارة إنها تخلو من المعنى هذا يعني أنه لا توجد ثمة جدوى من تقريرها، فعندما أقول " سرعة الضوء تساوي لأن القاضي حكم القمر" فإن هذه الجملة ليست كاذبة فحسب، بل هي بلا معنى، فلا جدوى من إقامة التحليل المنطقي عليها فهي ليست بقضية وليست من أشباه القضايا.

لذا نجد أن الحكم على قضية ما بصدقها أو بعدم صدقها عند كارناب مرتبط بمدى حضورها في الواقع، وقد اعتبر كارناب أن الميتافيزيقيين يعتمدون على أسلوب التضليل، فإذا اعتبرنا أن اللغة الميتافيزيقية لا تشير إلى حقائق فكيف نفسر وجودها في اللغة العادية وتداولها بين جميع طبقات المجتمع الواحد؟ يفسر كارناب ذلك الوجود بأنه تأصيل العدم من خلال الوهم، بمعنى أن الميتافيزيقي يجعل من اللغة الخالية المعنى أداة لتضليل المستمع حول صدقه من عدمه، وفي هذا الصدد يعتبر كارناب أن الشاعر بلغته الميتافيزيقية قد يكون أوضح من اللغة الميتافيزيقية الموجودة في اللغات العادية، لأن الشاعر يعبر عن إحساس وشعور قد يصدق على حالته فقط أو يصدق على غيره، دون أن يجعل من لغته

[1] مور جورج ادوارد ، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تر نجيب الحصادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،ليبيا، دط، دت، ص ص 140-141

معيارا للبحث في أصل الأشياء، أما الميتافيزيقي فهو يدافع عن لغته بدحضه لأراء مخالفيه وشتان بين الاثنين(الشاعر والميتافيزيقي) فالفرق هنا شاسع حسب كارناب.

2- الذرية المنطقية والكشف عن المعنى المستتر(الميتافيزيقا)

اعتبر راسل تاريخ الفلسفة(الفلاسفة الذين سبقوه) مليئا بالزيف والإطناب الفارغ، إلا إذا استثنينا بعض الشذرات العلمية، وهذا في نظره راجع إلى افتقار الفلاسفة إلى الروح العلمية للتفلسف، اعتبر أن النظريات السابقة كانت مجرد أوهام ومعتقدات لا ترقى لما يؤهلها أن تكون نظرية علمية ممنهجة، فكانت مجرد أضغاث أحلام لأصحابها.

لقدا أراد أن يتجاوز ما يعرف بالفلسفات الكلاسيكية، بفلسفة جديدة، فلسفة علمية،ذات منهج تحليلي منطقي، لأن الفلسفات التقليدية غلب عليها المنهج التأملي، فكان بإمكان أي شخص طبيعي أن يسرد أحلامه وأفكاره في شكل فلسفة ما، ولهذا من الضروري – في نظر راسل– أن نتفلسف وفقا للنزعة العلمية، لأننا بذلك نحقق جملة من المزايا التي ترتقي بالفكر الإنساني إلى مكانه الطبيعي.

لم يتعرض راسل للنقد المباشر للميتافيزيقا مثلما فعل تلميذه فيتغنشتاين أو وكارناب،لكنه حدد قيمتها ودلالاتها في الفكر الإنساني، فالفلسفة لا ترتقي بالمنهج التأملي التقليدي، وإنما ينبغي عليها أن تساير التطور العلمي وتتقبل ذاتها فيه وإلا ستصبح جوفاء لا تنفع ولا تضر، وقد نتوقف هنا لبرهة ونتساءل عن موقع الميتافيزيقا من فلسفة راسل،والإجابة تكمن في منهجه التحليلي للقضايا، فمع نظريته في الأوصاف والأنماط، قد وضح بان اللغة الميتافيزيقية لا ترقى لأن تكون قضايا مستدل عليها، فالواقعة الذرية يقابله وجود ذري في العالم، واللغة الفارغة من المعنى ليست مؤهلة للتعبير بها في مجال العلوم، فعندما عمد غالى صورنة ورمزية اللغة كان يهدف إلى تقليل ذالك الكم الهائل من المفردات الجانبية،وهذا لا يعني أن الميتافيزيقا رفضت عند راسل بشكل كامل.

لقد فرق راسل بين ما ننطقه وما نكتبه، فليس بالضرورة أن كل ما ينطبق يكتب على شاكلته، فحتى ترابط الكلمات مع معانيها لا بد أنه نما وفق عملية طبيعية ما، رغم أن طبيعة هذه العملية مجهولة حتى اليوم في نظر راسل

«ليست الكلمات المنطوقة والمكتوبة، هي الطريقة الوحيدة لنقل المعنى، فجزء كبير من أحد مجلدي "وندت" حول اللغة، يهتم باللغة الحركية، فالكتابة على ما يبدو كانت تتألف بالأصل من صور، أصبحت تدريجيا نوعا من المصطلحات، ثم توصلت مع الزمن لأن تمثل مقاطع وأخيرا أحرفا وفق المبدأ الهاتفي " ت تمثل تومي"، لكن يمكن أن يبدو أن الكتابة لم تبدأ في أي مكان كمحاولة لتمثيل الخطاب، فعندما نتساءل ما الذي يشكل المعنى، لا يكون تساؤلنا ما هو معنى هذه الكلمة بعينها أو تلك، أن كلمة "نابليون" تعني فردا معينا، لكننا لا نتساءل من هو الفرد المعني، بل ما هي علاقة الكلمة بالفرد التي تجعل احدهما يعني الأخر[1].»

يضعنا راسل أمام خيارين، الخيار الأول يتمثل في اللغة الخالية من المعاني، بكل ما تشمله من مجالات انفعالية وقيمية وميتافيزيقية، والخطاب اللغوي الرياضي، والذي يستند إلى ثلاثة أسس :

1- تقوم القضايا الرياضية على التحليل.

2- القضايا الرياضية صادقة وذات معنى حتى وان كانت لا تتواجد في الواقع.

3- القضايا الرياضية صادقة لأنها تقوم على جملة من الثوابت والمصادرات.

وكان راسل بهذا التفريق يدعونا إلى التخلي عن اللغة الميتافيزيقية بما أن البديل اللغوي متوفر، فنحن إذا ما أردنا الوصول إلى نتائج دقيقة ينبغي علينا التماس لغة مضبوطة نحويا ومنطقيا.

[1] رسل برتراند ، المرجع السابق، ص ص 191-192

يمكن القول إن التعمق في دراسة المنطق والرياضيات وتطورهما على يد الرياضيين والمناطقة، قد كان لهما اثر بالغ في المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ابتدأ من لايبتنس ومحاولتها في إقامة لغة شاملة بأبعادها الجوهرية والرياضية، مرورا إلى رواد التحليل وأبرزهم راسل وتلميذه فيتغنشتاين، اللذان أكملوا النهج الذي سار به لايبتنس عن طريق أبحاث فريجه وكانتور، ونتيجة لهذا عرف القرن العشرين عدة تسميات للغات المنشود إبرازها في الأفق الفكري الإنساني، وهدفها هو التخلص من الركاكة اللغوية الزائفة ومسايرة اللغة العلمية، فالفلسفة اليوم لا تفسر الوجود واصل الكون،بل تفسر كيف نعرف أن معرفتنا بالوجود حقيقية أم كاذبة، أو بمعنى أخر وظيفتها تحليل اللغة والألفاظ، أما المسائل الميتافيزيقية فنطويها طي النسيان، لأنها لن تزيد من حيرة الحيران إلا تبلدا وتشويشا .

الفصل الرابع

حدود المنهج التحليلي وآفاقه

المبحث الأول : فلسفة اللغة تحت معول التحليل بين النجاح والفشل .

المبحث الثاني : الفلسفة المعاصرة من التحليل اللغوي إلى التحليل العلمي

المبحث الثالث : الفلسفة التحليلية وعلاقتها بالعلم .

المبحث الرابع : التحليل اللغوي بداية النهاية أم نهاية البداية للفلسفة .

الفصل الرابع: حدود المنهج التحليلي وآفاقه

لقد كان التحليل إذن السمة البارزة في القرن العشرين، كيف لا وهو الذي غير مسار الفكر العلمي والفلسفي إلى نمط جديد من التفكير، وقد كانت اللغة في محل المفعول به، من طرف التحليل ورواده ومنهجه، فكان هذا المنعطف اللغوي قد رسم بوادر جديدة للتفكير العلمي والتفلسف، وبعد أن وضحنا آلية نشأة التحليل كمنهج فلسفي وعرضنا أهم أعلامه ونظرياتهم، سنشرع بعد ذلك في دراسة هذا الأخير من زاوية نقدية، نبرز فيها مدى نجاح التحليل كمنهج فلسفي، وذلك بالوقوف على مكانة اللغة في الفلسفة المعاصرة،فالتحليل لم يأخذ منحى واحد أو نسق واحد متكامل، لأنه قد تفرع هو الأخر ولم يقتصر على الفلسفة وحدها، بل شمل جل المعارف الإنسانية، وقد انعكس ذلك على الفلسفة.

المبحث الأول : فلسفة اللغة تحت معول التحليل .

لا يمكننا الحديث عن فلسفة اللغة كمصطلح أو مفهوم كغيره من المفاهيم الفلسفية،فهي ببساطة إخضاع اللغة نفسها للتحليل وجعل ذلك التحليل موضوعا للغة، كما أنها ليست وليدة القرن العشرين، بل تضرب بجذورها في الفلسفة اليونانية، إلا أن الطرح اللغوي لدى فلاسفة اليونان ليس بالضرورة أن يتفق بمبحث فلسفة اللغة الحالي، وسنعرض بعض الجزئيات للغة في الفلسفة اليونانية باختصار.

1- التحليل كمنهج في فلسفة اللغة

يوجد من عرف فلسفة اللغة "بأنها ذلك الجزء من الفلسفة الذي يبحث في المعرفة الذهنية، انطلاقا من الطريقة التي يعبر بها عن تلك المعرفة، كما يبحث في كيفية لإيصال تلك المعرفة بواسطة اللغة[1]"

«ويعد الفيلسوف الايطالي "بندتو كروتشه" Benedetto Croce هو أول من استعمل مصطلح "فلسفة اللغة"، ولعله من المفارقة أن يكون هذا الفيلسوف الهيغلي هو أول من طرح هذا المصطلح، إذا علمنا أن الفلسفة اللغوية كما أسسها جورج.ا.مور وراسل وفيتغنشتاين كانت محاولة للقضاء على الفلسفة عموما، والفلسفة الهيغيلية على وجه الخصوص،[2]» وهذه المفارقة ليست الأولى في الممارسات الفلسفية، إذ أننا نجد مقابل ذلك أن الفيلسوف النمساوي ذو العرق الجرماني فيتغنشتاين يعتبر بمثابة الأب الروحي لرواد التيار التحليلي المتأخر ومدرسة فيينا، وهذا ما يعتبر مفارقة أخرى.

ولعل السبب الذي يجعل العديد من الفلاسفة والمفكرين لا يذكرون اسم كروتشه في المجال اللغوي التحليلي، هو توجهه، ولا نقصد بتوجهه الهيغلي فقط، بل نقصد السياق الذي طرح من خلاله فلسفة اللغة، إذ نجد يربط ذلك بعلم الجمال، وبكل ما لديه علاقة بالشعور

[1]Jerrold Katz, La Philosophie du langage, trad, de Janick Gazio, éd, Payot, France, 1966, p 15

[2] بغورة الزواوي ، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 195

والانفعال والإحساس وما إلى غير ذلك، إذ يرى كروتشه أن اللغة ليست مرتبط بالفكر فقط،بل تتجاوز ذلك إلى علم الجمال، وما يظهر من صور بيانية في الشعر دليل على أنه بإمكاننا دراسة اللغة دراسة جمالية.

وقد كثرت الاختلافات حول موضوع فلسفة اللغة، فهناك من يعتقد أن فلسفة اللغة مجرد فرع فلسفي، وسمي هكذا نظرا للتركيز على دراسة اللغة من عدة جوانب،يعني مثله مثل فرع فلسفة العلوم أو فلسفة الأخلاق وغيرها، وهناك من يرى بأنه موضوع مستقل بذاته،أي لديه موضوعه الخاص وهو اللغة ومنهجه الخاص وهو المنهج التحليلي التأويلي،ونجد تودوروف رديكرو في تعريفه لفلسفة اللغة يصنفها إلى:

1- معنى خارجي: يعتبر اللغة موضوعا معروفا، ولذا وجب دراسة علاقته بالموضوعات الأخرى مثل علاقة اللغة بالفكر، وهذا ما يطبع أعمال الفلاسفة المثاليين مثل برانشفيك في كتابه "مراحل الذكاء 1947"، أو برغسون في كتابه "التطور الخلاق 1907"،أو يبحث في دور اللغة في التاريخ، وهو ما يظهر في أعمال المدرسة الألمانية في القرن التاسع عشر، وخاصة في أعمال هيغل وشلايشر.

2- معنى داخلي: يجعل من هذا التوجه من اللغة مجالا للبحث أو موضوعا للدراسة،هذا التوجه تعكسه أساسا الفلسفة التحليلية التي أطلقت على نفسها اسم "الفلسفة اللغوية" أو "فلسفة اللغة" أو "فلسفة التحليل"، وجعلت من اللغة موضوعا للفلسفة[1].

ومما يتضح فإن تسمية "فلسفة اللغة" لا تأخذ منحى أحادي، أي اتجاه واحد بل هي تسمية أطلقت تقريبا على كل من يدرس اللغة دراسة تفصيلية، فكروتشة مع علم الجمال وفلاسفة التأويل مع مفهوم الهيرمونيطيقا، والرياضيين مع الرياضيات في تناولهم للمسائل اللغوية، والمناطقة مع المنطق(فريجه) وفلاسفة التحليل مع التحليل المنطقي، وبالرغم من تعدد الاتجاهات التي تصب في فلسفة اللغة، إلا أن الفلسفة التحليلية على وجه الخصوص هي التي استطاعت أن تخرج اللغة من براثين الركود، وهي من بفضل دراسة فلاسفتها استطاعت أن تجعل من اللغة دارسا ومدروسا، ، فاللغة كانت مجرد أسلوب تواصل، ووسيلة

[1] المرجع السابق، ص 198

لتبادل المعارف والخبرات، ولا ينظر إليها إلا كجسر عبور للأفكار، أما اللغة مع فلسفة التحليل ، فقد سطرت لنفسها مكانة لا تقل أهمية عن بقية العلوم، بل الأساس في العلوم،وأكثر من ذلك فإن تقييم صدق العلوم مرتبط بصدق اللغة المستخدمة، وكل هذا كان من ظهور التحليل كمنهج فلسفي.

إن اللغة في الفلسفة التحليلية ليست مجرد وسيلة للتخاطب والتواصل بل هي هدف للبحث الفلسفي، والواضح أن الاهتمام الكبير باللغة من جانب فلاسفة التحليل على شاكلة راسل، مور، فيتغنشتاين، دفع بعض الباحثين إلى تعريف الفلسفة التحليلية بأنها مدرسة فلسفية معاصرة تتخذ من دراسة اللغة موضوعا له[1].

ولا يجب علينا أن نحصر دراسة اللغة، في فلسفة التحليل المعاصر دراسة تقتصر على تحليل القضايا فقط، لأن الفلسفة التحليلية بذاتها قد تفرعت إلى عدة اتجاهات وقد اشرنا إلى ذلك في الفصل الأول، لقد كان السجال الواقع بين فلاسفة التحليل حول اللغة يدور حول إنشاء لغة اصطناعية بديلة، أو الإبقاء على اللغة العادية مع تعديلها، وبهذا تكون الفلسفة التحليلية قد انقسمت إلى اتجاهين هما:

1- اتجاه يرى في اللغة الاصطناعية ضرورة لتجاوز المشكلات الفلسفية، وقد كان هذا الاتجاه يصبو إلى إيجاد لغة بديلة غير اللغة التي نعرفها، وطبعا تلك اللغة لن تخرج من إطار التحليل المنطقي، وقد كان لايبتنس أول من أشار ذلك، في محاولة منه لإنشاء لغة كونية كاملة، وبعده راسل في محاولة إنشاء لغة كاملة منطقيا، وبعده فيتغنشتاين تلميذه الذي تحدث عن ضرورة تجاوز لغتنا الجارية بلغة المنطق الرياضي وهو ما كان مضمونا لرسالته المنطقية، وان اختلفت تسميات اللغات الاصطناعية التي كانوا يهدفون إلى إنشائها،إلا أنهم في الأخير يشتركون في نفس الهدف الذي مفاده إنشاء لغة جديدة تكون لغة علم ومنطق وليست لغة ألفاظ ومعاني ميتافيزيقية، تتسبب للغة بتشويش يفقدها مصداقيتها بين سائر العلوم.

2- اتجاه يرى بعدم إمكانية نجاح اللغات البديلة، إذ يعتبرون أن اللغة العادية أو

[1]Rossi Jean.G, La philosophue analytique, Presses Universitaires de France, 2e édition, 1993, P 3

الطبيعية أو الجارية، تبقى هي الأساس اللغوي لمعارفنا ومهاراتنا في اللغة، فقط نجري عليها تعديلات بخصوص ما يستحق التعديل، أو تنقيح إن صح القول، مع الحفاظ على نسقها المتكامل، إذ يرى رواد هذا الاتجاه أن تجاوز المشكلات الفلسفية مثلا تعود في الأصل إلى مشاكل لغوية، وبالتالي يكون في مقدورنا الوقوف على تلك المشكلات بغية إصلاح ما يمكن إصلاحه، وإلغاء ما يجب إلغاؤه.

لكن الشيء الملفت للانتباه عند فلاسفة التحليل بمختلف اتجاهاتهم أنهم بالغوا في تحليل اللغة، وتجاوزوا حدود المعقول، وهذا ما يُعاب عليهم حاليا، فلا يشك احد في الأهمية والقيمة التي عرفتها اللغة وسائر العلوم مع فلسفة اللغة التحليلية، إلا أن البعض من أعلامها لم يكتف بالتحليل اللغوي، بل شنها حربا على كل اللغات باستثناء اللغة العلمية والمنطقية الدقيقة، وكان لسان حاله يقول بان جل المعارف الإنسانية السابقة ستؤول إلى الصفر، هذا لا يعني القول بان هناك رواد معتدلين في طرحهم اللغوي، إلا أن البعض الأخر استغل اللغة لأدلجة العلم، إذ أصبحت اللغة خادمة للعلوم الطبيعية وما شابه ذلك، وحتى الفلسفة التي أثيرت المشكلة اللغوية من صُلبها لم تسلم من غلو رواد الفلسفة التحليلية.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال " قصة الطالب الصيني الذي جاء ليتتلمذ على يد مور، وبعد أن أنهى دراسته قال: لقد عرفت القليل عما كنت أعده فلسفة، ولكن بلا شك عرفت الكثير من قواعد اللغة الانجليزية[1]"، ولعل هذه القصة تحمل في طياتها الكثير مما قال به النُقاد حول مبالغة فلاسفة اللغة التحليلية في تعاملهم مع اللغة كموضوع للدراسة.

قبل ظهور الفلسفة التحليلية ومنذ الفلسفة اليونانية تقريبا، لم تنتقد اللغة في ذاتها بالطريقة التي تعرضت لها مع بداية القرن العشرين، صحيح كانت هناك دراسات حول اللغة وكانت هناك بحوث، بل ومؤلفات لكنها كانت تفصل اللغة عن ذاتها، ففرانسيس بيكون مثلا عندما انتقد لغة المنطق الأرسطي لم ينتقد لغة أرسطو بحد ذاتها، بل كان نقدا للمنطق الأرسطي، وما اللغة إلا وعاء لفكر أرسطو، وحينما نرى ذلك السجال بين المذهبين العقلي والتجريبي لم نكن نرى أن أصل المعرفة هو جزء من اللغة، سواء كانت معرفتنا الأولى

[1] مهران محمد رشوان ، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، دط، 1998، ص 17

تجريبية أم عقلية، فكان النقد بينهم يُرد إلى الحجج التي يقدما كل مذهب وليس إلى اللغة المستعملة في إيصال تلك المعلومات إلى الغير، وحتى ذلك الصراع المثالي والواقعي كان صراف فكري من حيث المبادئ والأفكار، ولم تكن اللغة سوى ناقل عصبي بينهما.

إن الانتقادات التي وجهت إلى فلسفة اللغة لم تكن انتقادات للغة بقدر ما كانت انتقادات لتوجهات فلاسفة اللغة، وسوف نركز على عرض الانتقادات الموجهة للاتجاه التحليلي دون غيره من الاتجاهات اللغوية الأخرى كالتأويلي أو التفكيكي أو اللسان، وابرز المآخذ التي تعرض إليها فلاسفة اللغة التحليليين كانت كالتالي:

1- المبالغة في تحليل الألفاظ والعبارات، فهؤلاء الفلاسفة لم يكتفوا بتوضيح المشكلات اللغوية في الفلسفة فقط بل خلقوا مشاكل لغوية لم تكن لتوجد لولا الغلو في التحليل.

2- قداسة العلم على اللغة، قد يعتقد البعض أن هذه المسالة كانت تطرح حول علاقة العلم بالفلسفة أو علاقة العلوم بعضها ببعض، إلا أنه ومع فلاسفة التحليل أصبحت اللغة أداة تحليل للعلم وفقدت خاصيتها الجوهرية.

3- التقليل من الكلمات والعبارات اللغوية، وهنا يمكن القول أن الآراء اختلفت حول هذه المسالة، بين مؤيد ومعارض، صحيح هناك من الكلمات والعبارات التي تُخل بالمعنى وتحرفه عن معناه الحقيقي، لكن هذا لا يعني إلغاءها جملة وتفصيلا.

4- تقويض اللغات العادية، حاول فلاسفة اللغة التحليلية تقويض اللغة الطبيعية،وعزلها عن الساحة اللغوية، وهذا ما سبق وذكرناه مع راسل وفيتغنشتاين وكارناب وغيرهم، لأن اللغة العادية في نظرهم كانت هي سبب الوقوع في الزلات والأخطاء.

5- التأكيد على تطابق الفكر مع المعنى في الوجود، وهذه النقطة بالذات استفزت الكثير من الفلاسفة والعلماء ورجال الدين وغيرهم، فأن ترفض العبارات الميتافيزيقية من اللغة العلمية يعتبر أمرا مقبولا إلى حد ما، لكن حينما يصبح معيار صدق القضية اللغوية مرتبطا على مقابلها في الواقع، فإننا نتصادم بإلغاء الجوانب المعيارية والأخلاقية وحتى الدينية، فإن تكلمنا عن الخير أو العدالة أو الجمال، يجب علينا أن نبرهن على صدق هذه

العبارات واقعيا وإلا فسيكون مكانها سلة المهملات بالنسبة لفلاسفة التحليل، وخاصة الوضعية المنطقية، وبالرغم من تراجع البعض منهم عن أفكاره المتشددة إلا أن صداها قد تجاوز الآفاق ، وامتد إلى الكثير من الجهات التي استغلت هذه الأفكار لزرع إيديولوجيات مختلفة،كالإلحاد مثلا.

كانت هذه أبرز الانتقادات التي وجهت للفلسفة اللغة(فلاسفة التحليل) ، ولا يمكننا التغاضي عن تلك الانتقادات التي لم تكن مجرد مآخذ فقط، بل كانت بمثابة حجج وبراهين لتعيد فلسفة اللغة إلى رشدها الطبيعي، وهذا النقد الموجه لفلسفة اللغة لا يُردُ إلى فشلها أو عدم قدرتها على محايثة التطور العلمي، وإنما هو نقد لتطوير لغة قادرة على توضيح الأفكار والمعاني التي يصادفها الإنسان في الحياة اليومية، سواء كان عالما أو منطقيا أو فيلسوفا أو فلاحا، لأن اللغة هي نسق متكامل في جسم واحد، إذا ما استثنينا عضو ما من هذا الجسم، سوف تختل الموازين بالطبع، فاللغة التي تجعلنا نتخبط في الأوهام والخرافات والخزعبلات الفكرية تحمل فشلها في ذاتها، وهي غير مرحب بها بأي شكل من الإشكال،واللغة العلمية التي تقصي بعض الفئات ليست بلغة شاملة ولا بلغة منطقية كاملة،لأنها تعتبر لغة خاصة، أو خاصة الخاصة إن صح التعبير،وهذا ما يجعل قيامها أمرا مستحيلا.

المبحث الثاني: الفلسفة المعاصرة من التحليل اللغوي إلى التحليل العلمي.

لقد احتل العلم في القرن العشرين مكانة بارزة إذ لا صوت يعلو فوق صوته،اكتشافات علمية مذهلة، اختراعات أبهرت العالم، انجازات تقنية لم يسبق لها مثيل، وغزو فضائي، كل هذا كان يُنسب للعلم وحده، ونحن لا نختلف أو نشكك في أهمية العلم، لأنه بالفعل قد قدم خدمات مذهلة للإنسانية، لكن هناك أسئلة اختفت من الوجود العلمي، فلم نعد نستمع إلى تلك الإشكاليات التي تثير الدهشة والفضول للعلماء ولم نعد نسمع بالأسباب التي جعلت العلم يبدع إلى هذا الحد، وما هي حافة هذا العلم وعواقبه أو آفاقه، كل ذلك التقدم العلمي كان على حساب الفلسفة، نعم هذه الأخيرة كانت بمثابة جسر عبور للعلم، وما إن حقق المطلوب رُميت خلف الكواليس.

لطالما شغلت هذه الأفكار العديد من المفكرين والفلاسفة وعلى رأسهم راسل الذي تساءل بجد عن السبب الذي جعل الفلسفة تكتفي بدور المشاهد فقط، وقد ذهب اغلب الفلاسفة ومن بينهم راسل أن السبب واضح ولا يحتاج إلى بحث معمق، ألا وهو غياب النزعة العلمية عن الفلسفة، فالفلسفة بمنهجها التأملي الاستنباطي لن تتمكن من مجاراة العلم الذي يخطو خطوات مذهلة نحو الأمام، وستفقد بريقها الذي استمر لقرون عديدة.

1- من التحليل اللغوي إلى التحليل العلمي

إن الحديث عن هيمنة العلم في بداية القرن العشرين إلى غاية القرن الواحد والعشرين،يحيلنا إلى إعادة نظر في جميع المناهج العلمية، وبالتالي نجد أنفسنا أمام تاريخ العلم الذي لا يكفينا المقام للخوض في غماره، وبما أننا قد عرفنا سابقا الظروف التي أدت إلى ظهور ما يعرف بالمنهج التحليلي وبسط نفوذه على الفلسفة، فإننا سوف نعرف السبب الذي حول مسار التحليل سواء منطقيا كان أو فلسفيا، إلى التحليل العلمي، وسنذكر هذه الأسباب على شكل نقاط وهي كالتالي:

1- تأثير الاكتشافات العلمية(الرياضية والفيزيائية): قد يقول قائل أن الاكتشافات العلمية لم تقتصر على تلك الفترة من الزمن، إذ نجد أن التاريخ قد عرف الكثير من

الاكتشافات العلمية، ومع ذلك لم يحدث تحول سريع في المناهج بهذه السرعة، صحيح أن الاكتشافات العلمية تضرب بجذورها حتى في الحضارات الشرقية القديمة، لكن الفترة التي تزامنت مع ظهور المنهج التحليلي على يد مجموعة من العلماء والفلاسفة كمور وراسل وفيتغنشتاين وحلقة فيينا، عرفت تحولات علمية استطاعت أن تغير موازين الكون ككل،فعندما نطلع على انجازات ألبرت اينشتاين وكيف استطاع العالم من خلالها أن يعيد كل حساباته،فلا المطلق أصبح مطلقا مع النسبية الخاصة، ولا قوانين نيوتن أصبحت صادقة في تفسيرها للذرة، ولا التفسير الجسمي للضوء بقي على حاله، وكل هذا انعكس على جميع العلوم ومن ضمنها الفلسفة، بالإضافة إلى ذلك نظرية الكوانتم مع "ماكس بلانك"، قد أحدثت ثورة في مجال الفيزياء امتدت جذورها إلى جميع العلوم بما فيها الدين، ليأتي بعد دلك "هايزنبرغ" بمبدأ الريبة أو الشك أو اللاتعين، والقاضي بعدم قدرة قوانين الفيزياء على التنبؤ بحركات الفوتونات والبروتونات داخل الذرة فإذا ما تم تعين مكان الفوتون، لم نستطع قياس سرعته، والعكس صحيح، كل هذا كان يعيشه فلاسفة التحليل اللغوي، وهو ما جعلهم يتأثرون بتلك الاكتشافات العلمية، التي بالفعل أجبرت الجميع على الخنوع لها.

«وبشكل عام أدى المنطق الرياضي إلى إزالة مواطن لبس وغموض رانت طويلا على صدر الفلسفة متذرعة بالخلط اللغوي، مثلا توصل راسل إلى نظرية الأوصاف المنطقية وعن طريقها تستطيع الفلسفة – أخيرا – إثبات أن غولا أو دائرة مربعة مفاهيم لا وجود لها[1]»

2- اشتغال فلاسفة التحليل الذين كانوا السبب في ظهور المنهج التحليلي بالعلوم الرياضية والفيزيائية، ولا يكاد يخفى علينا أن اغلب رواد هذا الاتجاه هم في الأساس مناطقة وعلماء في تخصصاتهم، فإن كانت البداية مع "لايبتنس"، فهذا الأخيرة تنسب لها دالة في الرياضيات، وان كانت لأبحاث "فريجه" و"كانتور" دور في بلورة فلسفة التحليل فإن كليهما له دور كبير جدا في تطور الرياضيات المعاصرة، بالإضافة إلى "بيانو" و"دي مورغان" وغيرهم من المناطقة، هؤلاء كانوا بمثابة الأسس التي قام عليها التحليل ليشيد أعمدته من طرف جورج مور في تفنيده للمثالية الهيغيلية، "وراسل" و"وايتهد" اللذين عملا على تأليف أهم المؤلفات (برنكيبا ماتيماتيكا) التي استفاد منها التحليل كمنهج علمي رياضي، أو ذري

[1] الخولي يمنى طريف ، المرجع السابق، ص 248

منطقي إن صح القول، و"لودفيغ فيتغنشتاين" ذي النزعة الرياضية البحتة، والذي برع أيضا في هندسة الطيران، كما لا ننسى رودولف كارناب ولغته الفيزيائية المشهورة، وكل أعضاء حلقة فيينا كانوا كلهم ملمين بالعلوم الدقيقة، هذا الإلمام لرواد التحليل في بدايته الأولى جعله يشدوا ويحن إلى النزعة العلمية، لأن الرحم الخصب الذي ترعرع به كان رحما علميا بامتياز.

وبعد أن عرضنا توجهات اغلب وابرز مؤسسي الفلسفة التحليلية، نحن الأن نقف على مفارقة بإمكانها أن توضح لنا السبب الحقيقي للتحول من الفلسفة التحليلية إلى التحليل العلمي، وهي باختصار مقارنة بين "جورج مور" وغيره من بقية رواد التحليل، مور لم يبرع في العلوم الرياضية والفيزيائية كما برع الآخرون، لهذا نجد أن طرحه متسم بالاعتدال، وحتى نظرته للميتافيزيقا اختلفت عن البقية لأن الجانب العلمي لم يؤثر فيه بشدة كما فعل مع راسل وكارناب مثلا، هذا لا يعني أنها صفة ملازمة وضرورية تصدق في كل الحالات، لكننا عرضناها لتوضيح مدى مساهمة العلوم الدقيقة في تغيير مسار المنهج التحليلي.

3- التطور التقني، عندما نتكلم عن تطور العلم فإن هذا الأخير يوحي إلى تطور مادي وتطور نظري، لكن التطور التقني لطالما اقترن بالمادة، بالتقنية، أصبحت المادة مقياسا لصحة المناهج والعلوم، وانبهر المجتمع المعاصر بما تقدمه هذه الأخيرة من انجازات، لذا بدا التحليل هنا يركز على الوجود المادي في الواقع قبل أن يركز في صدق القضايا أو كذبها، فالقضية التي ليس لها وجود في الواقع لا بجدر بنا تحليلها أصلا، لأن التطور العلمي أضحى مرتبط بما يقدم من انجازات مادية ملموسة.

بعد معرفتنا أن العلم قد تطور بشكل كبير جدا، مقابل جمود الفلسفة، ارتأى الكثير من الفلاسفة إلى ضرورة التوجه العلمي، لكن قبل أن تتوجه الفلسفة إلى العلم يجب علينا أن نوضح أن الانطلاقة تكون من المنهج وليس من الموضوع، فالعلوم الطبيعية ارتقت بمنهجها، ولم ترتقي بموضوعها، فعلم الأحياء مثلا، يدرس الكائنات الحية، والإنسان كائن حي، وقد تطور علم الأحياء، في المقابل نجد الفلسفة تدرس الإنسان أيضا، لكنها بقيت حبيسة في أفكار الماضي، والسبب هنا لا يتلخص في الموضوع بقدر ما يتلخص في المنهج، وقد صرح راسل في أكثر من مرة على أن المنهج العلمي هو الوحيد الذي يستطيع

أن يعيد الفلسفة إلى واجهة العلم.

2- علاقة المنهج التحليلي بالمنهج التجريبي

إن النتائج التي توصل إليها المنهج التجريبي كانت نتائج مذهلة، وحين اعتبره البعض اورغانون جديدا كان بالفعل قد اثبت مدى صدقه، مقابل الاستقراء الأرسطي، ونحن هنا لا ندرس المنهج التجريبي من حيث نشأته وخصائصه وما إلى غير ذلك، ولا حتى علاقته مع الاستقراء الأرسطي، لكننا نتقفى الأثر التحليلي المركب داخل المنهج التحليلي، فإذا كانت دعوة راسل مثلا تلح على تبني منهج علمي للنهوض بالفلسفة، يتوجب علينا أولا تحديد بنية هذا المنهج، هل هو العلمي العام أم التجريبي؟ لأننا في المقابل مثلا نجد كارناب لا يرى للفلسفة مخرجا سوى في اللغة الفيزيائية بمنهجها، لذا سوف نشرح هذه العلاقة حتى نتمكن من معرفة المقصود بالمنهج العلمي المتبع في الفلسفة المعاصرة.

وإذا سلمنا جدلا أن فلاسفة التحليل وعلى رأسهم الوضعية المنطقية يريدون من الفلسفة أن تكون علمية، فإنهم بذلك يلحون على التزامها بطرق علمية والطرق العلمية في اغلبها تتبع المنهج التجريبي، أو الفرضي الاستنباطي الفيزيائي، فهل فعلا بإمكان الفلسفة أن تتبنى منهجا تجريبيا وفق قواعده المنصوص عليها؟ وان لم يحدث ذلك التبني ألا يعتبر التحليل المنطقي تجريبيا أكثر من اللازم؟

يتحدث راسل عن الاستقراء ودوره في تكوين المعارف، والاستقراء عند راسل متضمن في التحليل فعندما نقول على سبيل المثال "تعاقب الليل والنهار" نحن كلنا مدركون بان هذه القضية صادقة من حيث الماضي والحاضر والمستقبل ما لم تتدخل قوى طبيعية في مسار الكرة الأرضية، ومعنى ذلك أننا نسلم بكل أريحية بان تعاقب الليل والنهار مستمران باستمرار دوران الكرة الأرضية، ولا يوجد أدنى شك بان هذه القضية صادقة في كل الأزمنة، إذا بقيت قوانين الحركة ثابتة، أم طريقة قولنا عن ذلك التسليم فهي الملاحظة والتجربة، فالإنسان منذ ولادته يعتاد على تعاقب الليل والنهار وفي فترة مراهقته، وفي شبابه، فلا تجد أحدا يشكك في الأمور المستدل عليها عن طريق تجربة صادقة في كل الحالات، ونفس الشيء يحدث حتى مع الحيوانات.

يمكن تسمية هذا المبدأ "بمبدأ الاستقراء"، ويمكن صياغته عند راسل صياغة جزئية على النحو التالي:

«(a) عندما نجد أن شيئا من النوع (A) مرتبطا بشيء من النوع (B) ، ولم نكتشف حالة ينفصلان فيها، فإن عدد حالات الارتباط بينهما يتناسب طرديا مع احتمال ارتباطهما في الحالة الجديدة التي نعرف فيها وجود احدهما»[1].

ما يتكلم عنه راسل حول المنهج التجريبي واضح للغاية، فهو يعتقد أن التطور التقني لا يرقى لدرجة العلم بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو يقدم أمثلة من التاريخ على أن الإنسان عرف الآلات البسيطة بالرغم من عدم معرفته للآليات النظرية الخاصة بكل آلة،فالفلاح البسيط يعتمد في سقي الأراضي على عجلة تدور بواسطة قوة تحركها، متداخلة بمجموعة من المسننات، وهذا الانجاز لا يقال عنه علم بقدر ما يقال عنه آلات بسيطة، أما العلم بالمعنى الدقيق هو المتمثل في ابتكار أشياء لم تكن لتوجد، ولا دخل للطبيعة في معرفتنا بها، أي أننا نستدل عليها بواسطة التحليل الفكري.

إذن يمكننا القول أن المنهج العلمي الذي يقصده راسل وفلاسفة التحليل بصفة عامة،ليس منهجا كما يتصور من لفظته، سواء كان تجريبيا أو فرضيا، وإنما يقصد النزعة العلمية بصفة عامة، فالعلم الذي يتكلم عنه فلاسفة التحليل يتضمن الطبيعي والصوري، لأن القول بالمذهب التجريبي يعتبر جنونا وليس غلوا، لأن المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية ولم يسلم من النقد فما بالك في قضايا اللغة والفلسفة.

لقد أراد راسل وفلاسفة اللغة أن يجعلوا من قضايا الفلسفة قضايا علمية ودقيقة، وذلك لمسايرة التطورات الحاصلة في المجال العلمي، وأهم القضايا التي وجب على الفلسفة أن تتضمنها حتى تصبح فلسفة علمية هي:

1- الاستغناء على الاعتقادات القبلية، وهي التي لا تستند إلى دليل أو حجة منطقية،وفي غالب الأحيان تكون من منطلقات ذاتية وإيديولوجية ومثل هذه الأفكار في نظر فلاسفة التحليل تعتبر قضايا ذاتية تفتقر إلى سمة العلم.

[1] برودي باروخ ، فلسفة العلوم، تر نجيب الحصادي، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1970، ص 541

2- التركيز على لغة الرياضيات والمنطق، والاستغناء عن العلوم المعيارية.

3- الحد من القضايا الميتافيزيقية والتخلي عنها.

لقد ميز راسل بين قضايا العلم التجريبي وبين القضايا الفلسفية، وذلك ليبين أي منهج علمي نتبعه في الفلسفة العلمية، وفي حقيقة الأمر فإن اغلب الفلاسفة التحليليين، قد وضحوا في مؤلفاتهم ما ينبغي للفلسفة أن تكون عليه إذا أرادت مسايرة العلوم الأخرى، كالرياضيات مثلا، لكننا سنطرح أهم المميزات التي تميز الفلسفة من حيث قضاياها، وسنكتفي بنموذج راسل، وهذا لنوضح أنها- أي القضايا الفلسفية- تختلف عن القضايا الأخرى، وهذا ما يجعلها متميزة ومختلفة عن باقي العلوم.

أولا: إن القضية الفلسفية يجب أن تكون عامة، ولعل هذه العمومية هي التي أدت إلى الاعتقاد بان الفلسفة تتحدث عن العالم ككل، وليس هناك ما يبرر هذا الاعتقاد، وكل ما هنالك أن القضية الفلسفية يجب أن تكون ممكنة التطبيق على كل شيء موجود أو محتمل الوجود، ولكن قد يقال هنا أن هذا القول لا يمكن تمييزه إلا بصعوبة من الرأي الذي يعارضه راسل[1].

ثانيا: يجب أن تكون القضايا الفلسفية، قضايا أولية أي يجب أن تكون على صورة لا يمكن معها أن يبرهن عليها بالدليل التجريبي أو أن تدحض به، فكثيرا ما نجد في الكتب الفلسفية حججا قائمة على مجرى التاريخ أو على تلافيف المخ أو على عيون المحارة، ولكن مثل هذه الوقائع العارضة الخاصة لا تناسب الفلسفية التي يجب أن تقوم بعمل تقريرات تصدق مهما يكن تكوين العالم الخارجي[2].

إن منهج الفلسفة التحليلية كفيل أن يكون بمثابة منهج علمي قائم بذاته، وهذا عن طريق نتائجه الجزئية والاحتمالية، فالنتائج التي نتوصل إليها عن طريق تحليل اللغة تحليلا فلسفيا، لا تكون بالضرورة نتائج قطعية مطلقة، ولكنها تتسم باحتمالية الصدق أو الكذب،وأحيانا تتجاوز حدود نتائج العلم بان تكون صادقة وكاذبة معا، وقد يتبين أن هذا

[1] نقلا عن مهران محمد ، المرجع السابق، ص 386

[2] المرجع السابق، ص 387

يناقض مبادئ المنطق، ومبدأ الثالث المرفوع، لكن كذبها وصدقها معا في الأن نفسه يكون متغير حسب تغير الحالة، ومثال ذلك كقولنا:" الفلسفة العربية ما هي إلا فلسفة يونانية كتبت بأحرف عربية"، قد تكون نتيجتها صادقة بالنسبة للباحثين الغربيين الذين نسبوا تطور الفكر الفلسفي إلى الحضارة الغربية وبالأخص اليونان، والغوا الفلسفات الشرقية والعربية، وقد تكون كاذبة إذا نظرنا إلى السياق التاريخي، إذ نجد أن جذور الفكر الفلسفي قد امتدت إلى حضارات سابقة عن الحضارة الإغريقية بقرون، وقد تكون صادقة وكاذبة معا بالاحتمال الجزئي، أي ما يصدق عن الباحثين الغربيين ليس هو بالضرورة ما يصدق عند الباحثين العرب، تكون صادقة عندهم وكاذبة عندنا في الوقت نفسه، واغلب القضايا الفلسفية تقريبا تتخذ هذا النمط الاحتمالي.

والاحتمال الجزئي ليس احتمالا ميتافيزيقيا مبنيا على الصدفة والعشوائية، فحتى راسل نفسه نجده يرى أن الاحتمالية والجزئية هي جزء من العلوم نفسها، وهذا ما يجعل الفلسفة تقترب شيئا فشيئا من العلم، عن طريق الصيرورة الفكرية، فالنتائج المتوصل إليها عن طريق الفلسفة التحليلية تكون قاصرة نوعا ما، وقد تكون خاطئة أحيانا، وهذا ما يجعل اللاحق يصحح السابق، مثل النظريات العلمية، كانت بدايتها تقريبا تشبه الأسطورة والخرافة، ثم بالتدريج بدا العلماء يبنون صدق قضاياهم على حساب القضايا الخاطئة التي سبقتهم، حتى يتوصلوا في الأخير إلى نتائج صادقة متوافقة مع الوجود الفعلي

«إن المنهج الذي نتناول به المشكلات بالتحليل مشكلة مشكلة ليصل بنا إلى نتائج جزئية ومحتملة، لا نتوقع منه أن يهدف إلى إقامة نسق فلسفي كالأنساق الفلسفية المعروفة،وهو في ذلك يشارك المنهج المستخدم في العلوم الخاصة في نفوره من جعل النسق هدفا من أهدافه»[1].

إن من الأخطاء الشائعة لدى معظم الفلاسفة ولعهم بإقامة الأنساق الفلسفية، ولذلك ترى الواقعة الصغيرة التي لا تدخل في مجال الفلسفة يأبى الفيلسوف إلا أن يقحمها فيها إقحاما على وجه تبدو معه مقبولة، إلا أن تلك الواقعة الصغيرة قد تكون بالنسبة للمستقبل

[1] المرجع السابق، ص 391

أكثر أهمية من النسق الذي أقحمت فيه، «فقد أقام فيثاغورث نسقا جهزه بطريقة عجيبة بكل ما عرفه إلا من نظريته عن المثلثات القائمة الزراية، إلا أن اكتشاف هذه الواقعة يعتبر بالنسبة لنا الاكتشاف الخالد لفيثاغورث، في حين أن نسقه قد أصبح مجرد حب استطلاع تاريخي، فالرغبة في إقامة هذه النتيجة أو تلك أو بوجه عام إيجاد الدليل على النتائج المقبولة من أي نوع كانت تمثل العقبة الرئيسية في وجه التفلسف النزيه»[1].

[1]Russell,B, Our Knowledge of External world,2nd, ed, Georg Allen and Unwin, London, 1926, P 241

المبحث الثالث: الفلسفة التحليلية وعلاقتها بالعلم.

لقد سعى فلاسفة التحليل إلى تطبيق المنهج العلمي على الفلسفة حتى تكون فلسفة علمية، لا فلسفة ميتافيزيقية، وبالرغم من اختلاف القضايا العلمية عن القضايا الفلسفية، إلا أن رواد التحليل وفلاسفة اللغة يعتقدون أن ذلك التمايز والاختلاف موجود فعلا، لكنه ليس بالعائق الابستيمولوجي، الذي يحول بيننا وبين جعل الفلسفة علمية من حيث المنهج وليس من حيث النتائج، وهذه الدعوى تحيلنا إلى إشكالية قديمة قدم الفلسفة والعلم، إلا وهي العلاقة بين الفلسفة والعلم، لكن ما نقصده نحن بهذه العلاقة لا يخص الفلسفة بكل مباحثها وإنما يخص الفلسفة التحليلية وعلاقتها بالعلم المعاصر، إذ لا يكاد يخفى على احد اليوم أن طابع الفلسفة أصبح طابعا علميا أكثر من الطابع التأملي.

لا يعني هذا أن الفلسفات السابقة لم تعالج هذا الموضوع، لكن طريقة تناولها لهذه الإشكالية تختلف عن طريقة الفلسفة التحليلية، فالعلاقة بين العلم والفلسفة قبل ظهور التيار التحليلي كانت مقتصرة على دراسة الظواهر العلمية من منظور فلسفي أو إجابة العلوم على الأسئلة التي يطرحها الفلاسفة، لكن مع الفلسفة التحليلية أصبح الفلسفة بحد ذاتها مطالبة أن تكون علما كسائر العلوم، وإلا فستبقى محصورة في قضايا فارغة من المعنى، وهذا يعني إقصاءها من الساحة الفكرية.

1- الصدع القائم بين الفلسفة والعلم

يبدو أن الفلسفة قد احتوت في وقت ما جميع العلوم تقريبا، سواء كانت تلك العلوم نظرية أم تجريبية أم معيارية، وكلنا نعرف أن العلوم قد استقل عن الفلسفة، وكان ذلك الاستقلال الفكري على مراحل، إلى أن اكتمل انفصال العلوم عن الفلسفة مع نهاية القرن التاسع عشر تقريبا، هذا يعني أن العلاقة بين العلم والفلسفة وطيدة جدا، حتى وان كان بينهما الكثير من الاختلاف، لأن هناك من ينسب التطور العلمي إلى ذلك الاختلاف الذي كان بين الفلسفة والعلم، وهو الذي ساهم إلى حد كبير في تلك الطفرة العلمية التي عرفتها العلوم.

ومهما يكن لدينا من معرفة، فهي إما معرفة حقائق خاصة أو معرفة علمية، والحقائق الخاصة متعارف عليها بشكل بسيط وهي واضحة في العلم والفلسفة، لكن المشكلة الرئيسية والتي كانت سببا في اتساع الفجوة بين الفلسفة والعلم حسب فلاسفة التحليل تعود إلى التمييز بين النظريات العلمية من باقي النظريات الأخرى، والحد الذي يمكننا عنده اعتبار النظريات العلمية أصح من غيرها

ويمكن القول إن التمييز بين النظريات بلغ أوجه مع نظريات نيوتن التي استطاعت آنذاك أن تستحوذ على العقول بشكل شبه مطلق، وقد تزامن مع ذلك نفور اغلب المجتمعات الأوروبية من هيمنة الكنيسة، وقد كان الدين سببا في تشويه الصورة الحقيقية للميتافيزيقا،وهذا ما صرح به راسل في أكثر من مناسبة حينما اعتبر أن التسلط الكنسي على الشعوب تولد عنه كره لكل ما هو غيبي ولكل ما هو غير متواجد.

وفي القرن العشرين صب فيتغنشتاين جل اهتمامه في كتابه "الرسالة" على ترسيم الحدود بين العلم والميتافيزيقا بمعناها الضيق وعلى ترسيم الحدود بين العلم والدين، وهو المنحى الذي اتبعته جماعة فيينا أيضا، ومن المؤكد أن مشكلة الترسيم هي احد الموضوعات الرئيسية التي تضمنها أول عمل فلسفي لفيتغنشتاين، ألا وهو كتابه الرسالة، فقد كتب إلى راسل عن الرسالة قائلا: "إني اعتقد أن المشكلة الأساسية للفلسفة هي التمييز بين ما يمكن التعبير عنه أو التفكير فيه استنادا إلى دعامات معينة، وبين ما لا يمكن التعبير عنه وإنما يشار إليه فحسب[1]"،أما راسل فقد رأى أن الفرق بين العلم والفلسفة يكمن في " أن العلم يدور حول ما نعرفه، أما الفلسفة فتدور حول ما لا نعرفه، إنه تعريف بسيط ولذا تجد أن المسائل تنتقل على الدوام من مجال الفلسفة إلى مجال العلم كلما تقدمت المعرفة[2]"، فالفلسفة إذن هي تعطي الدافعية للتأمل في الأشياء التي لم تخضع بعد للمعرفة العلمية.

وقد انفصلت العلوم عن الفلسفة بعد أن اتخذت موضوعاتها ومناهجها المستقلة، بل وحتى العلوم المستقلة انشقت في داخلها إلى فروع جزئية، فالرياضيات أصبحت علما بشقيها

[1] Wittgenstein, L, Remarks on the Foundations of Mathematics, Blackwell, 1967, p 118

[2] راسل برتراند ، محاورات برتراند راسل، تر محمد عبد الله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دط، 1961، ص 7

الهندسي والجبري، والفيزياء أصبحت فيزياء نظرية وتجريبية وحتى التطبيقية، والبيولوجيا تجزأت إلى علم الوراثة وعلم الأحياء الدقيقة، وغيرها من الفروع، وهذه الانقسامات الداخلية للعلوم كانت توحي بمدى دقة التطور العلمي الذي سعى فلاسفة التحليل إلى تطبيقه في الفلسفة حتى تكون فلسفة علمية.

«تظهر الفلسفة التحليلية باعتبارها فلسفة تتطابق مع العلم التجريبي وتتخذه مثالا ونموذجا، ومن هنا ترفض الميتافيزيقا وتقصي قضاياها باعتبارها فارغة من المعنى ولا تلقي بالا بتاريخ الفلسفة والقضايا الأخلاقية والمعيارية، والإغراق في هذه النزعة العلمية المنطقية قد يؤدي أو أدى بالفعل إلى شق الفلسفة إلى اتجاهين مختلفين متباعدين متضادين; التحليلية لدى فلاسفة الانجلوسكسون وتلاميذهم وامتدادها لدى الأمريكيين من جهة، وبين الفلاسفة الألمان والفرنسيين – اي الفلسفة القارية – باتجاهاتهم المختلفة، المثالية والفينومينولوجية والوجودية والاتجاهات البنيوية والتفكيكية والتأويلية من جهة أخرى»[1].

لقد اعتقد رورتي بجرأته المعهودة التي لم تنج من اعتراض النقاد، انه لا وجود اليوم لشيء يمكن نعته بسمة الفلسفة التحليلية، في حين أن بعض الذين تفهموا مقاصده رأوا أن نقده الصريح للتحليلية لم يكن بقصد الحط من قيمتها بقدر ما تصورها مشروعا قد توارى وخبا، فهي قد استنفذت فكرتها في جعل الفلسفة على طريق العلم السليم، لذا سعى إلى التوسع في فكرة الجمع بين المذهب الكلي البراغماتي.

لقد كان النقد الموجه للفلسفة التحليلية يصبو إلى مدى الأثر الذي خلفه المنهج التحليلي في بنية جميع العلوم، فالنقد لم يكن بالضرورة نقدا للقواعد والأسس التي تتميز بها الفلسفة التحليلية وإنما كان نقدا للنتائج والأفاق المترتبة عن تطبيق المنهج التحليلي في الفلسفة، وعند تطبيق التحليل واعتباره منهجا علميا في الفلسفة، انتقل التفكير من جعل الفلسفة علما إلى علمنة العلوم نفسها، والمقصود بذلك هو التفصيل الدقيق في حيثيات العلوم كالرياضيات والبيولوجيا وعلم الفلك وغيرها من بقية العلوم.

[1] احمد عبد الحليم عطية، الفلسفة التحليلية ماهيتها ومصادرها ومفكروها، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت، ط1، 2019، ص 134

المبحث الرابع: التحليل اللغوي بداية النهاية أم نهاية البداية للفلسفة .

تمهيد

إن التغيير الذي طرأ على الفلسفة في الفترة المعاصرة كان قوامه المنهج التحليلي الذي استطاع أن يتغلغل إلى جميع المعارف والعلوم ومن ضمنها الفلسفة، وقد اعتبر بعض النقاد والفلاسفة أن الفلسفة مع نهاية القرن العشرين ستصبح علما فلسفيا وليست فلسفة كما كانت عليه من قبل، وهذا التحول هو نتيجة للتطور العلمي وسيطرة النزعة العلمية على النزعة، قد كان التحليل هو السمة البارزة في الفلسفة المعاصرة حتى أصبح التحليل كمنج مرادف للفلسفة المعاصرة، وبالرغم من التغير الذي طرا على الفلسفة كما سبق وان اشرنا إليه، إلا أن الفلسفة التحليلية لا ترمي إلى إلغاء الخطاب الفلسفي، وإنما هدفها الأساسي يتمثل في الارتقاء بالخطاب الفلسفي لمواكبة التطورات العلمية التي يشهدها العالم.

1- حدود الطريقة الفلسفية

بعد أن أثبتت العلوم مصداقيتها في الواقع وجسدت ذلك بدراسات وأبحاث واكتشافات مادية أصبح من خلالها الكل يُمجد العلم التقني ويبجله، فكان لزاما على العلوم النظرية أن تواكب هذا التطور وذلك من وجهة تكامل معرفي شامل بين جميع العلوم التي كانت في وقت ما تحت مظلة الفلسفة، لكن بعد التطورات التي عرفتها البشرية وتنامي تيارات فلسفية علمية بامتياز أصبح الفكر الفلسفي عيش لحظة فراغ، وكانت الفلسفة تدور في حلقة مفرغة لا لشيء سوى لأنها مطالبة بمواكبة ومطابقة التطورات العلمية الحاصلة، فبعد محاولة فلاسفة التحليل فصل الابن المدلل للفلسفة–الميتافيزيقا– فقدت جوهرها وميزتها التي عرفت بها منذ الحضارات الشرقية القديمة.

إن علاقة العلم بالفلسفة والميتافيزيقا خاصة لطالما كانت الشغل الشاغل للفلسفة التحليلية، فالهدف من الفلسفة التحليلية للغة لم يقتصر على تجاوز المشكلات اللغوية الزائفة فقط، بل كان يهدف إلى جعل الفلسفة علما دقيقا، وهذه المحاولة تُحيلنا إلى النظر في خصوصية كل من العلم والفلسفة، فالعلم الذي يقصده فلاسفة التحليل هو العلم الرياضي

والفيزيائي الذي عمد إلى وجوب قطيعة مع اللغة الخالية من المعنى، فصدق القضايا واللغة المستعملة يُقاس بمدى تطابقها للواقع، وهذا ليس هو العلم الذي يتداوله عامة الناس، لأن المجتمع لا يتكون من الرياضي والفيزيائي فقط إذ هو مزيج من رجال الدين والعلماء والفلاسفة وذوي الخبرات المهنية وغيرهم مما يوحي باستحالة تطبيق لغة العلم على الفلسفة التي لم تكن يوما حكرا على احد.

إن العلم أكثر قربة من الأسطورة الميتافيزيقية، وان الدعوة إلى التخلص من الميتافيزيقا في حد ذاتها, دعوة ميتافيزيقية فالعلم مجرد صورة من الصور التي طورها الإنسان لكنها ليست بالضرورة الأحسن، "فالميتافيزيقا تخرج العلم للواجهة إذ نجد إدوارد تايلور يقول أنه ما من فكرة ميتافيزيقية عظيمة إلا وكان لها تأثير على مسار التاريخ العام للعلم وفي المقابل فإن كل تقدم في مجال العلم له تأثير على تطوير الميتافيزيقا وأن النظريات قد تكون في بدايات أمرها نظريات ميتافيزيقية غير أنها قد تتحول تدريجيا لتصبح في نهاية المطاف فروضا علمية، و هذا ما يؤكده كارل بوبر في كتاباته[1]".

وهناك نظريات علمية كثيرة قد تطورت عن أساطير مرحلة ما قبل العلم وكانت نظريات غير قابلة للاختيار – أي لا علمية أو ميتافيزيقية – أصبحت الأن نظريات يعتمد عليها في الدراسات المعاصرة، «فمثلا المذهب الذري عند ديمقرطس الذي أدخل إضافات هامة على النظرية الذرية, التي كان أبوها لوقيبوس فقد تصور أن الكون مكون من جزيئات بالغة الصغر توصف بأنها جامدة وصلبة تسمى atome، ومع القرن 17م عادت النزعة الذرية القديمة إلى الحياة في أوروبا وتناولها العلماء في ذلك الوقت بالدراسة ونظر إليها أنها نظرية ميتافيزيقية لا فرض علمي، لكن مع مطلع القرن 19م أعاد "دالتون" تقديم هذا المذهب من أجل حل بعض المشكلات التي برزت في عدة مجالات وعلى رأسها الكيمياء،وفي حوالي منتصف القرن التاسع عشر استعان بها ماكسويل في مجال الفيزياء الرياضية والنظرية الديناميكية للغازات، وفي نهاية القرن 19م أصبح من الممكن تماما النظر إلى التفسير الذري بوصفه فرضا علميا وبدون هذا المذهب الذري بوصفه نظرية ميتافيزيقية

[1] حسين علي، المرجع السابق، ص 88

ما كان ممكنا لهذا التطور العلمي أن يتحقق[1]».

2- العلم يعيد البشرية إلى الميتافيزيقا

«يتفق كثير من العلماء مع بوبر أن مشكلات العلم لها جذور في الفلسفة إن مشكلات العلم لها جذور في الفلسفة لكن من زوايا أخرى تبادلية ففي مقال كتبه بعنوان "طبيعة المشكلات الفلسفية وجذورها في العلم "يوضح فيها كيف أن المشكلات الفلسفية والميتافيزيقية دوما ذات جذور علمية واجتماعية ودينية وسياسية وأنها لتنهار و تتحول إلى لغو إذا ما أنكرت عليها تلك الجذور أو استؤصلت منها، ويذهب بوبر إلى إثبات دعواه بشروح مستشهدا بذلك بعدة أمثلة كالمثل الأفلاطونية والأعداد الفيثاغورية والمقولات الكانطية ليثبت جذورها في حدود علم عصرها»[2].

ومع دخول القرن 20م وقيام بلانك بعزل ظواهر الكم وظهور نظريتي النسبية الخاصة والعامة، وصولا إلى عشرينيات القرن 20م إلى قيام " بوهر و برغ " وزملائهما بصناعة ميكانيكا الكم والتي اكتملت معالمها مع ماكس بلانك و تعرضها لبنيات العلم الحديث الكلاسيكي الراسخة والمقيمة منذ أمد طويل للتفويض الجذري, وبالإكتشاف المذهل والمتمثل في الفيزياء المعاصرة حظيت نظرية المعرفة بالسلطة التي تخول لها أن تقرر إما الدين وإما العلم، وأن كل واحد منهما مصر على أن يلغي الأخر ما إن يثبت أحقيته لتنتقل العدوى الفكرية بعدها إلى الساحة الفلسفية التي كان يطرح فيها السؤال حول علاقة العلم بالفلسفة لكن الفلسفة سلمت المشعل هذه المرة للميتافيزيقا فأصبحت المتحدث الرسمي بلسان الفلسفة.

ولو تأملنا في تاريخ الفكر عامة والفلسفة خاصة لوجدنا حالتين حالة أولى تنتهي بالقرن 19م وتكتم فيها الميتافيزيقا وحالة ثانية تبدأ بانتهاء المرحلة الأولى تعرف بالعقلانية العلمية وكلتا الحالتين " الميتافيزيقا والعلم " هما شريك ومحدد للإنسانية عموما لذا ينبغي على العالم أن يبتعد عن الزعم بأن الفلسفة يمكن أن تكون بديلا أو منافسا للعلم، فالكل هدفه

[1] كون توماس ، وظيفة تجارب الفكر في الثورات العلمية، تر السيد نفادي،دار المعرفة الجامعية، (دط) ، 1986، ص 49

[2] الخولي يمنى طريف ، المرجع السابق، ص 333

واحد و مشترك.

«لقد ظل العلم حبيس الفلسفة فلم يكن يفرق بينها وبين العلم وبين الميتافيزيقا وكان أرسطو يعطي معنى واسع للفلسفة بحيث كانت تشمل كل المعارف العقلية، ولكن هذا المعنى المتسع للفلسفة تغير مع أوائل العصر الحديث، بعد أن ظلت عشرين قرنا هي النظام المعرفي الوحيد وقد اقترن ظهورها بالحضارة اليونانية، فانفرط هذا العقد بدخول القرن 15م إلى مجموعة من العلوم المتخصصة، بعد أن كانت أم العلوم وحاضنتها وكان الفيلسوف هو الملم بهذه المعارف»[1].

إلا أن العلوم بدأت بالإستقلال وكان أول هذه العلوم هي الفيزياء في حوالي القرن السابع عشر بفضل جاليليو، ديكارت، نيوتن، لأنها رأت أنها ينبغي ألا تستند إلى مقولات ميتافيزيقية بل إلى التجربة والملاحظة وحدهما دون أي فروض ميتافيزيقية.

واستقلت الرياضيات في القرن السابع عشر أيضا, وخصوصا علم الفلك عند غاليليو و في القرن التاسع عشر استقلت العلوم الحيوية، الفسيولوجية، فالتشريح والطب بوجه عام،وفي النصف الثاني من القرن 19م وبفضل أوغست كونت أخذ علم الإجتماع في الإنفصال هو الأخر ليقيم علم قائم بذاته.

هذا فيما يخص العلوم التي كانت تحت حضن الفلسفة، لكن الميتافيزيقا بقيت حبيسة الفلسفة ولازالت كذلك وفية للفلسفة، وإن كان هذا الوفاء ليس طواعية بل قسريا بطبيعة الميتافيزيقا و بطبيعة موضوعها، لأنها تأخذ الصبغة التجريدية ولا يمكن إخضاعها لطرق العلوم التجريبية في سبيل دراستها، وبعد أن استقلت جميع العلوم عن الفلسفة اكتفت هذه الأخيرة بدراسة المبادئ الأولى التي تفسر المعرفة تفسيرا عقليا كفلسفة العلوم وفلسفة التاريخ وفلسفة الحقوق، وانحصرت علوم الفلسفة اليوم بأربعة فقط هي الفلسفة العامة والميتافيزيقا وعلم الأخلاق الجمال وعلم المنطق والمعرفة.

وإذا تكلمنا عن موضوع العلم و الميتافيزيقا بلغة أرسطو فإن موضوع الفلسفة الأولى (الميتافيزيقا) هو الوجود بما هو موجود وذلك هو الجوهر، لكن الجوهر يقال على المادة

[1] قنصوة صلاح ، فلسفة العلم، هيئة الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط) ، 2002، ص 18

التي تدخل في تركيب الأجسام، ويقال على الصورة التي تتخذها تلك المادة لتغدو جسما ما،ويقال على المركب منهما أي الأجسام كالجمادات والحيوانات و النباتات، «أما العلم فسواء أخذناه بمعنى المعارف المتراكمة أو بمعنى أسلوب معالجة المشكلات (المنهج العلمي) ، فلا توجد له علاقة في كلتا الحالتين بالميتافيزيقا أو ما بعد الطبيعة، ذلك لأنه من حيث هو علم لا يقدم إلينا مذهبا في الكونيات(كوزمولوجيا) ، أو في الوجود ذاته (لانطولوجيا) ، حتى من حيث هم أفراد، ويكاد كل منهم يسترشد في حياته اليومية بالعرف والسلطة، مثلما يفعل أكثرنا أغلب الأحيان، أي أن بعض العلماء قد يكونون بدون فضول ميتافيزيقي أو قلق ميتافيزيقي، شأنهم في هذا شأن كثير من البشر، ولعل هذه النقطة تمثل موضوعا لا تعرف عند علماء النفس كثيرا، ولكن ما أن سأل العلم نفسه أيا من هذه الأسئلة الكبرى، ويحاول الإجابة عنها»[1].

إن تأثير المنهج التحليلي على الفكر الفلسفي المعاصر كان بليغا جدا، فقد كان التحليل في بدايته منصبا على اللغة، لكن بعد المنعطف اللغوي الذي عُرف في الفلسفة المعاصرة اتجه التحليل صوب العلوم التجريبية والدقيقة قصد تحليل نتائجها وصدق قضياها وهذا ما استدعى قراءة جديدة لهاته العلوم التي لطالما عُرفت بدقتها وصرامتها العلمية، إلا أن تلك الصرامة قد فُقدت مع بروز التحليل كمنهج لغوي، فالرياضيات التي ترتكز على المنطق الاستنباطي كوسيلة إثبات لا يمكنها بالموازاة التخلص من مجموعة الافتراضات التي لا نهاية لها، في بلورة المنهج التحليلي من خلال دراستهم للمشكلات الرياضية، فان ما قاموا به كان ضمن سياق رياضي بحت، وبعد أن سيطر التحليل على عقول الرياضيين والعلماء أظهرت الدراسات المعاصرة نسبية الرياضيات التي كانت في الماضي القريب تعتبر يقينية،ونحن لا نسعى للكشف عن مطلقية أو نسبية الرياضيات بقدر ما نسعى إلى إبراز دور التحليل في تغيير وجهة نظر العلماء للعلوم التي كانت تتسم بالمطلقية، ويبدو أن تأثير المنهج التحليلي لم يتوقف عند الرياضيات فقط، بل نجد أثره واضح في الفيزياء، فأزمة الفيزياء المعاصرة أظهرت للجميع أهمية ودور التحليل في كشفه للحقائق التي تظهر جلية إذا ما تم ضبط لغتنا المستعملة، فدراسات نيوتن في الجاذبية وأبحاثه الفيزيائية كانت صادقة إلى

[1] كرين برينكو، تشكل العقل الحديث،تر شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (دط) ،1984، ص 123

عصر ما بعد الذرة، والمقصود بهذا العصر هو عصر الكوارك، و مع اكتشافات هايزنبرغ في مبدئه القائم على اللاتعين (الريبة) اختلت موازين القوانين الفيزيائية وأصبحت النظريات المعاصرة كلها تتسم بالغرابة.

3- عودة الفلسفة (الميتافيزيقا) من بوابة الفيزيقا

إن التطور السريع في مجال الفيزياء في بداية القرن العشرين قد مهد لظهور نظريات جديدة غيرت رؤية الإنسان للكون، فالذرة ليست هي اصغر جزء في الطبيعة والأمواج الضوئية ليست أمواجا فقط وليست جسيمات فقط، وتلك الحركات الفوضوية في الطبيعة ليست عدم اتساق بقدر ما هي نظام يقتضي التداخل وعدم التمايز، والجدران السميكة والجبال لن تصمد كرة صغيرة من البلاستيك حسب قوانين فيزياء الكم، وهذه الأمور التي سبق وتحدثنا عنها ليست خرافات أو أساطير وإنما هي حقيقة مثبة علميا، لكن تطبيقها في الواقع ليس بالأمر السهل، بل وهو ما جعل العلماء يقفون في حالة تيه نظرا لعدم تطابق النظريات الفيزيائية الحديثة مع الواقع رغم تأكيدها علميا ومخبريا، فالضوء في تعريفه المعاصر يختلف عما كان يُعرف به، إذ نجده في الفيزياء التقليدية عبارة عن موجات فقط،لكن مع بلانك واينشتاين وشرودينغر تبين أن للضوء طبيعة مزدوجة بين ما هو موجي وما هو جسيمي، هذا التعريف احدث ضجة فكرية بين العلماء والمفكرين، فكيف يمكن للضوء أن يكون مزدوج الطبيعة في نفس الوقت؟ وقد اعتبر إسحاق نيوتن أن الضوء عبارة عن جسيمات واعتبر كريستيان هيجنز أن الضوء عبارة عن أمواج وقد صدق كليهما لكن نسبيا لأن خصائص الضوء ومكوناته عرفت مع نسبية اينشتاين وكوانتم بلانك.

4- التفسير الميتافيزيقي لنظريات الفيزياء المعاصرة

إن الهجوم العنيف التي تعرضت له الميتافيزيقا مع نهاية القرن التاسع عشر كان وقعه أليما فقد وصفت بأنها جوفاء ودون معنى ولا يمكنها أن تقدم جديدا أو تعدل قديما،وهذا النقد لم يكن موجها للميتافيزيقا على وجه الخصوص، بل كانت الفلسفة هي المقصودة بذلك،إلا أن علماء الفيزياء اليوم استنجدوا بالتفسير ألما ورائي لأغلب النظريات المعاصرة

والتي سنوجزها كالتالي:

الاحتمال الكمي ومشكلة القياس، وهذا ما يعرف بقطة شرودينغر والتي مفادها وجود جسيم في نقطة معينة، وهذا الوجود مبني على الاحتمال، وللبرهنة على صدقه نلجأ إلى القياس، لكن عند قيامنا بالقياس للعمل الكمي تنتقل دالة التراكيب من موقعها الأصلي إلى مواقع أخرى خارج نطاق الاحتمال.

مبدأ عدم اليقين لهايزنبرغ، تكمن المشكلة هنا في صعوبة تحديد موقع الإلكترون مع تحديد قياس سرعته في نفس الوقت.

الأوتار الفائقة، تستند هذه النظرية إلى أن الكون عبارة عن أوتار لا متناهية، فلا يمكننا اعتبار الفوتونات والكواركات هي اصغر ما يمكن للمادة أن تكون عليه، وهذه الأوتار تتميز بتعدد أبعادها التي لا تتوقف على ثلاث أبعاد فقط بل تتجاوز ذلك إلى عشرة أبعاد.

الأكوان المتعددة أو المتوازية، تكمن مشكلة الأوتار في أنها تفترض وجود عدة عوالم ممكنة الوجود، فهي لا تتنبأ بصيغة واحدة للزمكان مما يفترض وجود أكوان موازية للكون الذي نعيش فيه، وقد أقيمت عدة مؤتمرات لهذه النظرية التي انقسمت بين العلماء إلى مؤيد لها ومعارض لها، وأخر مؤتمر كان سنة 2018، وقد تعرضت للعديد من الانتقادات التي وصفت هذه النظرية بأنها مجرد تخمينات وتخيلات علمية لا تستند لحقائق مثبتة علميا.

هذه النظريات الفيزيائية المعاصرة قد أعادت التفكير الميتافيزيقي إلى الواجهة، فإذا كانت هذه النظريات مجرد فرضيات لم تطبق على ارض الواقع فإنها حتما بلغة التحليل اللغوي مجرد تخمينات، وكأن العلم يقف عاجزا بعد أن اعتقد الجميع أنه بلغ ذروته في التطور ليتوقف مجددا عند حافة الميتافيزيقا ليعيد شحن نفسه مجددا، وهذا الدور كانت تقوم به الفلسفة، والعلم يقدم إجابات للتساؤلات الفلسفية.

إن الانتقادات التي طالت فلسفة التحليل المعاصر تمثلت بشكل مباشر في تجريد الفلسفة من خصوصيتها، فالفلسفة ليست مجبرة بالضرورة أن تقدم إجابات كافية مانعة لكل التساؤلات والإشكاليات التي تتعرض لها، لأنها طريقة في البحث بغير موضوع، فإذا كان المنهج الاستنباطي الرياضي يعتمد على البراهين والمسلمات الدقيقة فإن الفلسفة تعتمد على

عمق التفكير الذي لا يخضع لأي برهان أو مسلمة تقيده، وهذا ما يميزها عن غيرها.

يبدو أن الفلسفة التحليلية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها قد سعت إلى تجريد الفكر الفلسفي من الأفكار الميتافيزيقية، كما حاولت أن تجعل منها علما يساير علم الفلك والفيزياء والرياضيات، لأن نمط التفكير الإنساني الحالي ليس هو النمط السائد في الحضارة اليونانية أو في العصور الوسطى أو في عصور النهضة، لذا فإن اغلب فلاسفة القرن الواحد والعشرين يتفقون على علمية الفلسفة إن لم يكن ذلك ممكنا في مواضيعها فسيكون ممكنا في مناهجها المعاصرة، وإذا سلمنا جدلا بالرأي الأول الذي يؤكد على ضرورة تبني الفلسفة منهج رياضي منطقي فإنها حتما ستؤول إلى طريق مسدود لأنها بلغة المنطق تكون مصادرة عن المطلوب، بمعنى أننا نطالب الفكر الفلسفي بتقديم الإجابات والاختراعات العلمية التي هي في الأساس ليست من اختصاص الفلسفة.

أما الرأي الثاني فهو القائل بوجوب تعديل على الفكر الفلسفي دون المساس بجوهره،أي إعادة نظر في بعض المسائل التي بالفعل تحتاج إلى رسكلة وتغيير، أما دور الفلسفة وحلها من تقدم العلوم فهو بحد ذاته جواب ضمني، لأن التكامل المعرفي لا يبنى على أساس علم واحد أو علمين بل هو سلسلة مترابطة من العلوم وكل ما تداخلت العلوم في بعضها كلما زاد تطورها، لذا لا يمكن القول بان الفلسفة ليست ذو أهمية أو أن عباراتها وقضاياها مجرد لغو، بل يتوجب علينا أن نبحث في إمكانية دمج وتفعيل الفكر في الفلسفي في مجالات الحياة المتعددة.

خـــــاتمة

خاتمة

يمكننا القول إن فلسفة مور ساهمت في حد كبير إلى تطور المنهج التحليلي بشكل واضح بالرغم من أنه لم يشر إلى هذا المنهج في مؤلفاته، وإنما رفضه للهيغلية السائدة آنذاك جعله يتدارك تأثره بأفكار برادلي وبوزانكيت، وقد اعتبر مور أن أصل المشكلات الفلسفية يعود بالدرجة الأولى إلى سوء استخدام الألفاظ والعبارات من طرف الفلاسفة، هذا الاستخدام يختلف عما يتداوله عامة الناس من ألفاظ، فما يراه الفيلسوف حقيقة ويعبر عنها بلغة خاصة قد لا تتأتى للإنسان العادي في صورة حقيقية، وإنما تترجم بأنها عبارات خالية من المعنى، لذا يتوجب علينا إذا أردنا أن نتجاوز تلك المشكلات الفلسفية أن نعتمد على تحليل العبارات وصولا إلى معاني ذات دلالة حقيقية.

ولم يكن تمرد مور وحده على المثالية الهيغلية آنذاك ، إذ لم يلبث راسل أن أعلن عن موقفه المناهض للمثالية الهيغلية والأفلاطونية، ليسلك مسلكا جديدا غير الذي كان سائدا آنذاك، ليؤكد أن العمل الأساسي للفلسفة هو التحليل المنطقي المتبوع بتأليف منطقي لذرات و وحدات يتألف منها العالم ككل بما في ذلك اللغة التي هي جزء مصغر من الوقائع الذرية.

إن الطابع العام التي اتسمت به الفلسفة المعاصرة كان طابعا تحليليا واقعيا بامتياز، إذ أصبحت مهمة الفلسفة مقتصرة على التحليل، تحليل الألفاظ والقضايا وحتى النتائج المتوصل إليها من طرف العلوم الأخرى كانت تختبر في مختبرات الابستيمولوجيا، فموضوع الفلسفة لم يعد مثلما كانت عليه، فإذا كانت الفلسفة تسال والعلم يجيب قديما فإنها اليوم تحلل ما ينتجه العلم، هذا التحليل يتطلب لغة دقيقة ذات تسلسل منطقي.

إن الفلسفة التحليلية قد ضمت في طياتها الكثير من الفلاسفة والمدارس وقد اختلفوا في العديد من المسائل والطرق لكن ذلك الاختلاف كان تحت سقف واحد متمثل في التحليل بمعناه الكامل، لذا لا في وجود فلاسفة تحليليين لأنهم في نهاية المطاف يبررون فعالية

ومدى أهمية استخدام التحليل المنطقي العلمي تجاوز مشكلات فلسفية لطالما أعاقت تطور الفلسفة منذ القدم، أما الفلسفة التحليلية فهي تلك التي اهتمت باللغة ودورها في صقل المعارف الإنسانية بشتى أنواعها، كما أنها تصبو إلى تبسيط القضايا والتعرف على أجزائها البسيطة التي يدركها الإنسان في صورتها المركبة.

إن فلسفة التحليل المعاصر ليست وليدة اليوم، فبإمكاننا أن نلتمس أصولها عند سقراط الذي انصرف إلى تحليل الألفاظ المتداولة آنذاك في محاوراته مع السفسطائيين، وهذا لا يعني أنها قد عرفت بالشكل التي أصبحت عليه اليوم، وان كان التحليل قديما قدم الفلسفة فإنه قد امتزج برؤية ميتافيزيقية جعلت من الفلاسفة المعاصرين يفصلون بين ما هو تحليلي منطقي علمي، وبين ما هو تحليلي ميتافيزيقي، لذا نجد راسل يعتقد أن التحليل في أصوله الحقيقية يعود إلى دراسات الرياضيين والمناطقة أمثال فريجه وبيانو وكانتور، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى المنطقانية التي بثها راسل في الفلسفة التحليلية.

إن فلسفة التحليل المعاصر والنقد اللغوي يندرجان في إطار فلسفي معاصر يهدف إلى إزاحة الميتافيزيقا من الفلسفة سواء على المستوي اللغوي كالعبارات الفارغة من المعنى أو على المستوي الموضوعي، هذا التقويض الميتافيزيقي لم يكن بالجديد على الميتافيزيقا التي لطالما تعرضت لانتقادات شديدة لكن هذه المرة لم تتعرض لموجه نقد فقط بل تعرضت إلى محاولة استئصال من جذورها، فالروح العلمية السائدة ومنجزات العصر قد طمست الأفكار الميتافيزيقية وصرفت أنظار الناس عنها، حتى وان كان هناك العديد من الفلاسفة الذين احتضنوا الميتافيزيقا في أفكارهم وذلك من خلال تمييز أنواع ميتافيزيقية فليس كل ما هو ميتافيزيقي قابلا للرفض، إلا أن نمط الحياة المتطور جعل من الأفكار القابلة للتحقق هي معيارا للصدق على عكس الأفكار التي يستحيل تطبيقها حتى لو تم التفكير فيها، وهذا ما يتمثل اليوم في سطوة المادة والشيئية.

أما الحديث عن مدى تطبيق الفلاسفة للمنهج التحليلي في الفلسفة فقد لا يظهر بصورة جلية نظرا للأغراض و الغايات التي طمح إليها فلاسفة التحليل، ففي هذا الموضوع لا يمكننا الجزم بمدى التطبيق الحرفي لمنهج التحليل ونقده للغة، نظرا لطبيعة التربة التي تحتضنه ألا وهي الفلسفة، فإذا كانت الفلسفة في طبيعتها تختلف عن العلوم التي انفصلت عنها من حيث الموضوع والمنهج واللغة المستخدمة فإننا سنواجه عوائق لا عائقا واحدا في تطبيق المنهج التحليلي إلا إذا تم تجريد الفلسفة من خصوصيتها.

لقد حاول فيتغنشتاين أن يرسم حدودا بين العلم والميتافيزيقا وذلك عن طريق اللغة المنطقية التي استخدمها في رسالته المنطقية، والتي كانت مصدر الهام لأنصار جماعة فينا وأثرت فيهم بشكل واضح، وعلى الرغم من تأثر فيتغنشتاين بأستاذه راسل بأنهما يختلفان في علاقة العلم بالفلسفة، إذ نجد أن راسل في لغته الكاملة منطقيا ونظرية الأوصاف والدلالة حاول أن يقرب بين الفلسفة والعلم وذلك التقريب نابع من روح فلسفته العلمية، بينما نجد فيتغنشتاين يوسع الفجوة بين العلم والفلسفة.

لقد ربط راسل بين التحليل اللغوي والمنطق الرياضي لأنه يرى بان مشكلات الفلسفة متضمنة أساسا في قصورها اللغوي رغم كثرة مفرداتها التي هي في الغالب فارغة من المعنى، من هنا كانت اللغة الاصطناعية أمر لا بد منه لأن اللغة العادية تضللنا بأفكار لا أساس لها من الصحة المنطقية وتوهمنا بحقائق زائفة.

قائمة المصادر والمراجع المصادر

قائمة المصادر والمراجع المصادر

1- المصادر

ا) - باللغة العربية:

1- راسل برتراند ، مشكلات الفلسفة، تر سمير عبده، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2016.

10- راسل برتراند ، فلسفتي كيف تطورت، تر و تق عبد الرشيد الصادق، زكي نجيب محمود، مطبعة الجنة البيان العربي، القاهرة، ط1، 1960.

11- راسل برتراند ، محاورات برتراند راسل، تر محمد عبد الله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دط، 1961.

12- راسل برتراند ، مدخل إلى فلسفة الرياضيات، تر عبد اللطيف الصديقي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2009.

13- راسل برتراند ، ما وراء المعنى والحقيقة، تر محمد قدرى عمارة والهامى جلال عمارة، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2005.

14- راسل برتراند ، مقدمة للفلسفة الرياضية، تر محمد مرسى واحمد فؤاد الاهواني، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، دط، 1980.

2- راسل برتراند ، أصول الرياضيات، تر محمد مرسي احمد واحمد فؤاد الاهواني، ج1، دار المعارف، مصر، دط، دت.

3- راسل برتراند ، الفلسفة بنظرة علمية، تر زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، دط، 1960.

4- راسل برتراند ، النظرة العلمية، تر عثمان نويه، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ط1، 2008.

5- راسل برتراند ، بحوث غير مألوفة، تر سمير عبده، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، دط، 2009.

6- راسل برتراند ، تاريخ الفلسفة الغربية، تر فتحي الشنطي، ج3، الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية، دط، 1977.

7- راسل برتراند ، تحليل العقل، تر عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2016.

8- راسل برتراند ، حكمة الغرب، تر فؤاد زكريا، ج2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1983.

9- راسل برتراند ، فلسفة الذرية المنطقية، تر ماهر عبد القادر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1998.

ب) باللغة الأجنبية:

1- Russell Bertrand, Human Knowledge its Scops and Limits American Books NewYork, 1948.

2- Russell Bertrand, Knowledge by Acquaitance and Knowledge by Description in Mystism and Logic, Doubleday and Company, London, 1957.

3- Russell Bertrand, My Philosophical Development, George Allen and Unwin, London, 1959.

4- Russell Bertrand, On Denoting in Logic and Knowledge Essays, George Allen and Unwin,London,1950.

5- Russell Bertrand, Our Knowledge of External world,2nd, ed, Georg Allen and Unwin, London, 1926.

6- Russell Bertrand, Problémes de philosophie, trad de, Guillemen 17eme édition,payot,1972.

7- Russell Bertrand, the philosophy of logical atomism, in logic and knolege, London, 1950.

2- المراجع

ا) باللغة العربية:

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جروج سنتيانا في الوجود والمعرفة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1994.

2- أبو النور احمد أنور ، المنطق الطبيعي دراسة في نظرية الاستنباط الأساسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993.

3- إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا مع ترجمة الكتب الثمانية الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، دار النهضة، مصر، ط2، 2007.

4- بدوي عبد الرحمن ، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، ج2، 1984.

5- بدوي عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

6- برودي باروخ ، فلسفة العلوم، تر نجيب الحصادي، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1970.

7- بغورة الزواوي ، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

8- بلانشي روبير، المنطق وتاريخه من ارسطو حتى راسل، تر خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 2002.

9- الجابري محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 2002.

10- جرايلينج ايه سي ، برتراند راسل مقدمة قصيرة جدا، تر إيمان جمال الدين الفرماوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2014.

11- جعفر أل ياسين، فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، ط1، 1971.

12- جلال كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار العلم، بيروت، دط، دت.

13- الجلالي دلاش، مدخل الى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992.

14- جون ر سول، الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، تر أميرة غنيم ومحمد الشيباني، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2015.

15- حسين علي،الأسس الميتافيزيقية للعلم، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة,(دط) 2003،

16- حمود جمال ، المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، منشورات الاختلاف،بيروت، ط1، 2011.

17- حمود جمال ، فلسفة اللغة عند لودفيغ فيتغنشتاين، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2009.

18- الخولي يمنى طريف ، فلسفة العلم في القرن العشرين، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، دط، 2000.

19- رجب محمود، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1986.

20- رشوان محمد مهران، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984.

21- زروخي الدراجي، المذاهب الفلسفية الكبرى، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2015.

22- زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر للنشر والتوزيع،القاهرة, ط1، 1968.

23- زيدان محمود فهمي، المنطق الرمزي نشأته وتطوره، دار النهضة العربية، الإسكندرية، ط2ر 2009.

24- زيدان محمود فهمي، في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980.

25- زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، 2003.

26- زيدان محمود، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، دط، 1977.

27- صالح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993.

28- طرابيشي جورج ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.

29- عبد الحليم عطية احمد ، الفلسفة التحليلية ماهيتها ومصادرها ومفكروها، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط1، 2019.

30- عزمي أسلام، فيتغنشتاين، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، دط،دت.

31- عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، دط، 2007.

32- علي عبد المحسن جمعي، السيميوطيقا ومشكلات الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1998.

33- غريلو اريك ، فلسفة اللغة، تر عفيف عثمان، دار المعارف الحكمية، بيروت، ط1، 2018.

34- غيوة فريدة، اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، شركة دار الهدى، الجزائر، دط، 2002.

35- الفارابي أبو نصر ، كتاب الحروف، تح محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1990.

36- فرانك فليب، فلسفة العلم، تر علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983.

37- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.

38- فيتغنشتاين لودفينغ، رسالة فلسفية منطقية، تر عزمي إسلام تق زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، دط، 1968.

39- فيتغنشتاين لودفينغ، رسالة فلسفية منطقية، تر عزمي إسلام تق زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، دط، 1968.

40- قنصوة صلاح ، فلسفة العلم، هيئة الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، (دط) ، 2002.

41- كارناب رودولف، البناء المنطقي للعالم، تر يوسف تيبس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011.

42- كارناب رودولف، مدخل إلى فلسفة العلوم، تر السيد نفادي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، (دط) ، 2003 .

43- كرم يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفة، مصر، دط، 1986.

44- كرين برينكو، تشكل العقل الحديث،تر شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (دط) ،1984.

45- كوبلستون فريدريك، تاريخ الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى لايبتنس،تر سعيد توفيف واخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، دط، 2013.

46- كون توماس ، وظيفة تجارب الفكر في الثورات العلمية، تر السيد نفادي،دار المعرفة الجامعية، (دط) ، 1986.

47- لايبتنس جوتفريد فيلهام ، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تر احمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، دط، 1983.

48- لايبتنس جوتفريد فيلهلم ، المونادولوجيا، تر عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1978.

49- ليكيرك ايفور ، ميتافيزيقا وايتهد، تر علي عبد المعطي محمد، ملتقى الفكر للنشر، الإسكندرية,(دط) , 1999.

50- ماكوفلسكي الكسندر، تاريخ علم المنطق،تر نديم علاء الدين وإبراهيم فتحي، دار الفارابي، بيروت، دط، 1987.

51- ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980.

52- ماهر عبد القادر محمد علي، نظريات المنطق الرياضي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2005.

53- محمد قاسم، جوتلوب فريجه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1991.

54- محمد كامل عويصة،الفرد نورث وايتهد، فيلسوف العلم والعلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

55- محمود زكي نجيب ، برتراند راسل، دار المعارف، مصر، ط2، دت.

56- محمود زكي نجيب ، من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993.

57- محمود زكي نجيب ، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993.

58- مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط5، 1983.

59- مهران محمد رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، دط، 1998.

60- مهران محمد، فلسفة برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، دط، 1976.

61- مهران محمد، محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2004.

62- مور جورج ادوارد ، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، تر نجيب الحصادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،ليبيا، دط، دت.

63- موساوي احمد ، مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة، معهد المناهج، الجزائر، دط، 2007.

64- وود ألان، برتراند راسل بين الشك والعاطفة، تر رمسيس عوض، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1984.

65- وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، تر أبو العمر عفيفي،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، (دت) .

ب) باللغة الأجنبية

1-Ammerman,R.R.Classics of Analytical Philosophy, Tata McGrawn-Hill, Pombay-New Delhi, 1965.

2-Austin,J,L, Langage de la perception, Librairie Armand colin, Paris.

3-Burtt, E.A, In Search of Philosophical Understanding, George Allen and Unwin, London, 1967.

4-Carnap, R, Introduction to Semantics, Harvard, Cambridge, MA, 1942.

5-Carnap, R, The Logical Syntax of Language, Routledge & Kegan Paul, London, 1951.

6-Carnap,R, Meaning and Necissity, The University of Chicago Press, 2nd ed, 1956.

7-Charles hartshorne et w.creightion peden, whitehead’s view of reality, combridge scholars,new castle, 2010.

8-Charlesworth, M.J.Philosopy and Linguistic Analyais, Duquense Studies, Philosophical Sacrics Duquense University, Pattsburgh, 1959.

9-Gottlob Frege, The Foundations of Arithmetic,John Wiley & Sons; Édition,Revised 2nd Edition,1980 .

10-Hintikka,Jaakko and Hintikka,Merrill,B, Some Remarks (Wittgensteinian),Logical Form, Synthese, 1983.

11-J. Passmore, A Hundred Years of Philosophy, Penguin Books, London, 1975.

12-Jerrold Katz, La Philosophie du langage, trad, de Janick Gazio, éd, Payot, France, 1966.

13-Malcom, N, Moore and Ordinary Language, un The philosophy of G.E.Moore, edited by Schilpp.P.A, 2nd ed Tudor Publishing Company, New York, 1952.

14-Purt, E,A, In scarch of philosopical undeerstanding, George Allen & unwin, London, 1967.

15-Quine,W, Le mot et la chose, tr Joseph Dopp et Paul Gochet, éd Flammarion, Paris, 1977.

16-Rossi Jean.G, La philosophue analytique, Presses Universitaires de France, 2e édition, 1993.

17-Schillp. P.A, The Philosophy of G.E.Moore, Northwestern University, 1942.

18-Skolimowski, H, Polish Analytical philosophy, Routledge Kegan Paul, London, 1967.

19-Wittgenstein Ludwing, philosophical investigations, Translated by G.E.M, Anscombe, Basil Blackwell, Oxford, 1963.

20-Wittgenstein Ludwing, Remarks on the Foundations of Mathematics, Blackwell, 1967.

21-Wittgenstein Ludwing, Tractatus Logico-philosophicus, Traduit de l'Allemand par Pierre Klossowski, éditions Gallimard,(F.r.c) .

قائمة الفهارس

فهرس الأعلام

ابيقور Épicure (341 ق م – 270 ق م) فيلسوف يوناني أسس مدرسة فلسفية سميت باسمه هي المدرسة الابيقورية.

صفحات: 130

ادموند هوسرل Edmund Husserl (م1859–1938م) فيلسوف ورياضي ألماني يرجع إليه الفضل في تأسيس الظاهريات

صفحات : 36 39 69 155

أرسطو Aristote (384 ق م– 322 ق م) فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون، له كتابات عديدة في مجالات مختلفة ، كالسياسة والشعر و الموسيقى و الميتافيزيقا.

صفحات 91 116 122 125 128 129 169 175

ارفين شرودينغر Erwin Schrödinger (1887م– 1961 م) فيزيائي نمساوي معروف باسهما ته في مجال فيزياء الكم، صاحب معادلة شرودينغر التي بفضلها تحصل على جائزة نوبل سنة 1933م.

صفحات: 120

ارنست ماخ Ernst Mach (1838م–1916م) فيزيائي وفيلسوف نمساوي درس حركة الأجسام بسرعتها القصوى خلال الغازات، كان له تأثير كبير على أنصار الوضعية المنطقية.

صفحات : 39 151

إسحاق نيوتن Isaac Newton (1642م–1727م) عالم إنجليزي يعد من أبرز العلماء

مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية.

صفحات: 33 130 132

اف اتش برادلي Francis Herbert Bradley (1846م–1924م) فيلسوف مثالي بريطاني وقد تأثر بأفكار هيغل المثالية.

صفحات: 18 22 23 25 35

أفلاطون Platon (427 ق م–347 ق م) اهتمَّ بمجال التعليم، والعدالة، والطبيعة البشريّة، والفلك، والرياضيّات، وكرّس حياته لدراسة الفلسفة؛ فأخذ علومها من الفيلسوف الشهير سقراط، وتتلمذ على يده فيلسوف شهير آخر وهو أرسطو.

صفحات : 34 43 70 94 104 109 122 141 168 169

انباذوقليدس لا يُعرف تاريخ ميلاده ونشأته بالضبط ويعتبر واحد من فلاسفة الطبيعة أو الحكماء السبع، يعتبر هذا أن مصدر الكون هو المحبة والنفور بين العناصر الأربعة(الماء والهواء والنار والتراب) والنار هي عامل التغيير من عنصر إلى آخر

صفحات: 106

انكساغوراس واحد من بين الحكماء السبع لا تتوفر معلومات دقيقة حول ميلاده و وفاته، يرى أنكساغوراس أن العقل خلق المادة ونظم الوجود بعدما كانت المادة في فوضى وفرض النظام والجمال.

صفحات: 105

أوغست وايزمان August Weismann (1834م–1914م) عالم أحياء تطوري ألماني. صنّفه إرنست ماير كثاني أكبر منظّر تطوري مرموق من القرن التاسع عشر، بعد تشارلز داروين.

صفحات: 54

أوغست كونت Auguste Comte (1798م–1857م) عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي يعتبر بمثابة الأب الشرعي والمؤسس الحقيقي للوضعية المنطقية

صفحات : 154

ايمانويل كانط Emmanuel Kant (1724م–1804م) فيلسوف ومفكر ألماني، يعتبر من بين أهم الفلاسفة تأثيرا على الفكر الغربي في القرن الثامن عشر، لديه العديد من المؤلفات المتنوعة ما بين نظرية المعرفة والأخلاق والتربية.

صفحات: 17 18 23 25 35 157

باروخ سبيونزا Baruch Spinoza (1632م–1677م) فيلسوف هولندي من أصول يهودية، قدم مجموعة من الأعمال عن الأخلاق والدين والفلسفات الخاصة بالله والوجود الإنساني.

صفحات: 131

ألبرت اينشتاين Albert Einstein (1879م–1955م) عالم فيزياء ألماني من أصول يهودية تخلى عن الجنسية الألمانية بعد حصوله على جنسية سويسرية وأمريكية، عرف بنظريتي النسبية العامة والخاصة، كما أنه تحصل على جائزة نوبل سنة 1921.

صفحات: 66 130

برتراند راسل Bertrand Russell (1872م–1970م) فيلسوف ومنطقي رياضي بريطاني، نال جائزة نوبل للآداب سنة 1950، كان من بين المعارضين للحزب النازي ولشمولية ستالين عرف بمبادئه السلمية ومساندته للتحرر من الاستعمار بكل أنواعه.

صفحات: 02 03 04 05 06 07 08 09 10 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 23 24 25 26 27 29 32 33 34 36 37 57 58 59 60 61 62 64 67 69 72 74 76 79 80 81 82 83 87 88 90 92 93 94 95 96 98 99 100 102 103 104 105 106 107 108 109 111 116 117 118 119 121 137 142 143 144 145 146 148 149 173 176

بروتاغوراس Protagoras (487 ق م–420 ق م) فيلسوف يوناني ويعتبر زعيم الفكر السفسطائي وهو صاحب مقولة الإنسان هو أصل كل شيء.

صفحات: 26

بينيدتو كروتشه Benedetto Croce (1866م–1952م) فيلسوف وسياسي ايطالي، تأثر بمثالية هيغل، إسهاماته تنوعت في العديد من المجلات كالفن والفلسفة والتاريخ والسياسة.

صفحات: 170 171

جان بول سارتر Jean-Paul Sartre (1905م–1980م) فيلسوف وروائي فرنسي، يعد من ابرز فلاسفة المذهب الوجودي، رفض استلام جائزة نوبل سنة 1964، عرف بمساندته للثورات التحررية.

صفحات: 29

جورج ادوارد مور George Edward Moore (1873م–1958م) فيلسوف بريطاني ورائد النزعة التحليلية في الفلسفة، وأحد مؤسسي مذهب الواقعية الجديدة neo-realism في

إنكلترا. اشتهر بلقب فيلسوف المعنى meaning.

صفحات: 18 24 25 27 28 29 31 33 34 43 44 57 64 67 92 97 99 104 121 132 133 134 135 136 138 142 155 171 172 175 178 179

جورج بركلي George Berkeley (1685م–1753م) فيلسوف أيرلندي من أصل إنكليزي، هو أحد ممثلي النزعة التجريبية، ومؤسسا للفلسفة المثالية الذاتية في القرن الثامن عشر.

صفحات: 17 34

جورج فيلهام فريدريش هيغل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (1770م–1831م) فيلسوف ألماني، يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

صفحات: 17 23 33 171

جورج كانتور Georg Cantor (1845م–1918م) عالم رياضيات ألماني هو مبتكر نظرية المجموعات Set Theory

صفحات: 57 72 165 179 199

جون لانجشو أوستن John Langshaw Austin (1911م–1960م) فيلسوف وعالم لغوي بريطاني أُشتهر أوستن بمساهماته بما يسمى بـ "الظواهرية اللغوية"، وهو منهج فلسفي يُعنى بالتحليل المفصل والشامل لأساليب ومفاهيم تعبيرات لغة الحياة اليومية، كما عُرف بإطلاقه نظرية "أفعال الكلام"

صفحات: 43 38 139 140 141

جون لوك John Locke (1632م–1704م) فيلسوف وسياسي انجليزي، أبدى جون لوك اهتمامًا بالشؤون الطبية وتابع دراسته ليصبح طبيبًا فيما بعد، كما ساهم كثيرًا في أفكار الجمهورية الكلاسيكية والنظرية الليبرالية

صفحات: 17 18 33 34 124 155

جيوسيبي بيانو Giuseppe Peano (1858م–1932م) رياضي وفيلسوف ايطالي اشتهر بيانو بأعماله حول المنهجية الرياضية وطريقة التفكير الرياضي والكتابة الرياضية، خصوصا في ما يتعلق بوضع المسلمات

صفحات: 24 61 72 86 179

ديفيد هيوم David Hume (1711م–1976م) فيلسوف ومؤرخ وعالم اقتصاد اسكتلندي كانت فلسفه ديفيد هيوم قائمة على مبدأ (عدم الثقة) فكان دائم التأمل والتشكيك في الشعور والعقل الإنساني

صفحات: 17 18 33 35

دي مورغان Auguste De Morgan (1806م–1871م) عالم رياضيات ومنطق بريطاني. صاغ قوانين دي مورغان وقدّم مصطلح الاستقراء الرياضي.

صفحات: 160

ديمقريطس Démocrite (460ق م–370 ق م) عالم يوناني ولد في اليونان في مدينة أبديرة ، اهتم العالِم بالمعرفة والعلوم العامة لكن جلّ اهتمامه كان بالذرات وعلومها والفيزياء، درس ديمقريطس على يد أستاذه العالم والفيلسوف ليوكيبوس

صفحات: 105 106 122 130 169

رودولف كارناب Rudolf Carnap (1891م–1970م) فيلسوف ومنطقي ألماني، يهودي

الأصل، وأحد أبرز زعماء الفلسفة التجريبية المنطقية.

صفحات: 49 50 51 52 53 54 55 56 92 93 155 157 158 195 161 162 174 176 179 181

رينيه ديكارت René Descartes (1596م–1650م) فيلسوف ورياضي فيزيائي فرنسي، لقب بأبو الفلسفة الحديثة، صاحب الكوجيتو الديكارتي في الفلسفة والجداء الديكارتي في الرياضيات

صفحات: 34 122 123 127 128 131 142 157 194

سقراط Socrate (470ق م–399ق م) فيلسوف وحكيم يوناني لم يُعرف الكثير عن حياته وقد نُقلت إلينا عن طريق تلاميذه وأبرزهم أفلاطون

صفحات: 34 70 76 88 104 108 116 168 191 197

صمويل الكسندر Samuel Alexander (1859م–1910م) فيلسوف بريطاني، من فلاسفة الواقعية الجديدة

صفحات: 37

طاليس المالطي Thalès (624ق م–546ق م) فيلسوف وعالم فلك رياضي يوناني، أحد الحكماء الإغريق السبعة الذين سبقوا سقراط.

صفحات: 17

غوتفريد فيلهيلم لايبنتس Gottfried Wilhelm Leibniz (1946م–1716م) فيلسوف ألماني وعالم طبيعة، أسس لايبتنس علم التفاضل الرياضي، كما أنه يعرف بدالة لايبتنس، كان يصبوا من خلال الرياضيات والفلسفة إلى خلق لغة شاملة.

صـــــفحات: 60 69 106 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 142 144 153 154 165 173 179

جوتلـوب فريجـه Gottlob Frege (1848م–1925م) فيلسـوف لغـوي وعـالم رياضـي منطقي، من أصل ألماني، يعتبر أول من مهد لمشروع المنطقانية، كما كانت دراسته في مجال الرياضيات والمنطق مدخلا للعديد من فلاسفة التحليل بعده.

صفحات: 21 27 36 47 57 60 61 72 84 5 6 91 92 121 157 165 179

فرانز برنتانو Franz Brentano (1838م–1917م) فيلسوف وعالم نفس ألماني، تأثر به تلميذه هوسرل إلى حد كبير خاصة في فكرة القصدية

صفحات: 32

ألفرد آيـر Alfred Jules Ayer (1910م–1989م) فيلسـوف بريطـاني اشـتهر بنقـد الميتافيزيقا والتأكيد على خلوها من المعنى.

صفحات: 28 29

الفرد نـورث وايتهـد Alfred North Whitehead (1861م–1947م) فيلسوف وعـالم رياضيات انجليزي من أهم أعماله كتاب مبادئ الرياضيات الذي كتبه مع برتراند راسل

صفحات: 17 21 26 45 46 47 48 49 52 55 56 72 117 179

فريـدريش نيتشـه Friedrich Nietzsche (1844م–1900م) فيلسـوف ألمـاني، أثـرت كتاباته حول التفرد والأخلاق على العديد من المفكرين والكتاب البارزين في القرن العشرين.

صفحات: 51 147

فيرنـر هـايزنبرغ Werner Heisenberg (1901م–1976م) فيزيـائي ألمـاني نـال جـائزة

نوبل للفيزياء سنة 1932 عُرف بأنه مكتشف مبدأ عدم التأكيد والريبة

صفحات: 178

كارل بوبر Karl Popper (1902م–1994م) فيلسوف نمساوي انجليزي، من أصول يهودية، اشتهر بمبدأ التفريق أو ما يسمى بقابلية الدحض

صفحات: 192

لودفيغ فيتغنشتاين Ludwig Wittgenstein (1889م–1951م) فيلسوف نمساوي وعالم هندسة، تاثر ببرتراند راسل وغوتلوب فريجه، طبق فيتغنشتاين المنطق الحديث على الميتافيزيقيا، حيث قدم تعريفًا جديداً للعلاقات بين العالم والفكر واللغة، موضحًا بذلك طبيعة الفلسفة.

صفحات: 27 29 33 34 44 90 91 11 126 137 138 139 141 154 157 158 159 160 162 165 171 172 173 179 182 188

لوقيبوس Leucippe فيلسوف وفيزيائي يوناني، يرجح أنه عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، عرف بأنه مؤسس الذرية

صفحات: 105 106

مارتن هيدغر Martin Heidegger (1889م–1946م) فيلسوف وسياسي ألماني، ارتبطت فلسفته بشكل مباشر بالمذهب الوجودي، عرف بارتباطه بالحزب النازي.

صفحات: 29

موريس ميرلوبونتي Maurice Merleau-Ponty (1908م–1961) فيلسوف فرنسي تأثر بأعمال هوسرل في مجال الفينومنولوجيا.

صفحات: 29

ماكس بلانك Max Planck (1858م–1947م) عالم فيزيائي ألماني، يعتبر المؤسس لنظرية الكم الفيزيائية، تحصل على جائزة نوبل للفيزياء سنة 1918م.

صفحات: 81 178

موريتز شليك Moritz Schlick (1882م–1936م) فيلسوف وفيزيائي ألماني من أصول يهودية، كان من ابرز فلاسفة الوضعية المنطقية.

صفحات: 39 40 54

ويلارد فان أورمان كواين Willard Van Orman Quine (1908م–2000م) فيلسوف أمريكيّ، وأحد أبرز المؤثّرين في الفلسفة الأنجلو أمريكية بالنصف الأخير من القرن العشرين. أنتجَ كواين أعمالًا مبتكرةً ومهمةً في العديد من مجالات الفلسفة، كالمنطق والانطولوجيا

صفحات: 93 94

ألكسيوس ڤون ماينونغ Alexius von Meinong (1853م–1920م) فيلسوف وعالم نفس نمساوي. درس المنطق ثم الفلسفة على فرانز برنتانو، اشتهر في عدة مجالات كمعلم النفس والمنطق وفلسفة اللغة

صفحات: 32 75 76

فهرس المحتويات

Sommaire

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: كرونولوجيا الفلسفة التحليلية كمنهج نقدي 2

المبحث الأول : برتراند راسل وفلسفته 3

المبحث الثاني : المنهج التحليلي نشأته وتطوره 10

خصائص الفلسفة التحليلية 10

المبحث الثالث : المنهج التحليلي عند وايتهد 28

1- المنهج التحليلي عند كارناب ونقد الميتافيزيقا 33

المبحث الرابع: الفلسفة التحليلية عند راسل وفيتغنشتاين 41

1- أدوات التحليل عند راسل 41

2- هدف التحليل عند راسل 46

الفصل الثاني: دلالة النقد اللغوي و التحليل المنطقي عند راسل 58

المبحث الأول : نظرية الأوصاف 59

المبحث الثاني : نظرية الدلالة والإشارة 68

1- مبرهنة لايبتنس وفريجه: 70

2- نقد فيتغنشتاين 75

3- نقد كارناب 77

4- نقد كواين 78

المبحث الثالث :نظرية راسل في النحو الفلسفي 81

1- الثوابت الصفرية 82

1-1- مجموعة الثوابت الثانية 82

1-2- مجموعة الثوابت الثالثة 82

المبحث الرابع: مفهوم الذرية المنطقية عند راسل..... 90

1- نبذة تاريخية عن المذهب الذري..... 90

2- تصور المنطق الذري (الوقائع والقضايا) 92

5- موقف راسل من القضايا الحملية 101

6- حساب المحمول عند راسل..... 102

7- التحليل اللغوي تحت معاول الذرية المنطقية 103

الفصل الثالث: اللغة الكاملة منطقيا بين يقين المنطق واستبعاد الميتافيزيقا 107

المبحث الأول: مواقف فلسفية من اللغة العادية..... 108

1- موقف مور 108

1-1- شروط التحليل عند مور..... 110

2- موقف فيتغنشتاين 112

3- موقف جون لانجشو أوستن من اللغة العادية مقابل فيتغنشتاين 114

4- انتقادات اللغة العادية 118

5- هل حقق راسل اللغة الكاملة منطقيا ؟..... 120

المبحث الثاني: المعرفة والدلالة في اللغة الكاملة منطقيا عند راسل..... 122

1- المعرفة المباشرة..... 123

2- المعرفة بالوصف 125

3- أسماء الأعلام المنطقية 126

4- الجزئيات التأكيدية..... 128

5- الواحدية المحايدة 130

المبحث الثالث: التحليل المنطقي للغة وتقويض الميتافيزيقا. 132

1- الخطاب الميتافيزيقي في لغة فيتغنشتاين وكارناب..... 134

2- الذرية المنطقية والكشف عن المعنى المستتر(الميتافيزيقا) 139

الفصل الرابع: حدود المنهج التحليلي وآفاقه 143

المبحث الأول : فلسفة اللغة تحت معول التحليل 144

1- التحليل كمنهج في فلسفة اللغة 144

المبحث الثاني: الفلسفة المعاصرة من التحليل اللغوي إلى التحليل العلمي. 150

1- من التحليل اللغوي إلى التحليل العلمي 150

2- علاقة المنهج التحليلي بالمنهج التجريبي 153

المبحث الثالث: الفلسفة التحليلية وعلاقتها بالعلم. 158

1- الصدع القائم بين الفلسفة والعلم 158

المبحث الرابع: التحليل اللغوي بداية النهاية أم نهاية البداية للفلسفة 161

1- حدود الطريقة الفلسفية 161

2- العلم يعيد البشرية إلى الميتافيزيقا 163

3- عودة الفلسفة (الميتافيزيقا) من بوابة الفيزيقا 166

4- التفسير الميتافيزيقي لنظريات الفيزياء المعاصرة 166

خاتمة 171

قائمة المصادر والمراجع المصادر 175

فهرس الأعلام 185

فهرس المحتويات 195

الملخص

برز منهج التحليل في الفلسفة كرد فعل لتنامي التيار الهيغيلي وسيطرة الفكر المثالي على عقول الفلاسفة والمنشغلين بها، وركزت الفلسفة التحليلية على المنطق واللغة ودورهما في تجاوز المشكلات الزائفة.

إن الغاية المنشودة من طرف برتراند راسل في منهجه التحليلي هي الرجوع إلى العناصر الأولية البسيطة التي تتكون منها اللغة، فإذا كانت اللغة تتكون من قضايا بسيطة وجزيئية، فإنها بذلك موازية تماما للعالم الذي يتكون من وقائع ذرية ومركبة ضمن نسق كلي متكامل، وقد اعتمد راسل في منهجه التحليلي على الرياضيات والمنطق لإنشاء لغة كاملة منطقيا.

abstract

The method of analysis in philosophy has emerged as a response to the growth of the Hegelian current and the domination of idealistic thought over the minds of philosophers and those who were preoccupied with them. Analytical philosophy has focused on logic and language and their role in overcoming false problems.

The desired goal of Bertrand Russell in his analytical method is to return to the simple elementary elements that make up language. Language is but a similar part of the world, which in turn consists of several simple and partial issues within an integrated holistic order. Russell has relied in his analytical method on mathematics and logic to create a logically complete synthetic language.